لا أحد يتعلم من التاريخ
مقالات

لا احد يتعلم من التاريخ

مقالات

تأليف :
بيشوي القمص
تصميم الغلاف:
أحمد مراد
تحرير أدبي:
سندس الحسيني
مراجعة لغوية:
محمد حمدي

رقم الإيداع: 2016/22450
الترقيم الدولي: 978-977-820-002-7

إشراف عام:
محمد جميل صبري
نيفين التهامي

***

كيان للنشر والتوزيع
٢٢ ش الشهيد الحي بجوار مترو ضواحي الجيزة - الهرم
هاتف أرضي: 0235688678 -0235611772
هاتف محمول: 01001872290-01000405450-01005248794
بريد إلكتروني: info@kayanpublishing.com - kayanpub@gmail.com
الموقع الرسمي : www.kayanpublishing.com

©جميعُ الحقوقِ محفوظةٌ، وأيُ اقتباسٍ أو إعادةِ طبعٍ أو نشرٍ في أي صورةٍ كانتْ ورقيةً أو الكترونيةً أو بأيةِ وسيلةٍ سمعيةٍ أو بصريةٍ دون إذنٍ كتابيٍ من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلةِ القانونية.

لا أحد يتعلم من التاريخ
يبشوي القمص

مقالات

إهداء إلى

رنـــــا ..
دمتِ لي حبيبة وصديقة وزوجة وابنة وأختًا وأمًا.

وإلى
العم ر.ر. وصديق العمر ج. ك.
الذين علموني حب القراءة والمعارضة والسياسة..
شكرًا لكما أينما كنتما..

وإلى كل من قالوا لا في وجه من قالوا نعم.

التاريخ بيعيد نفسه..
لأن الحمقى لم يصغوا جيدًا من المرة الأولى!

د. أحمد خالد توفيق

مقدمة أفضل من أفضل مقدمة

(مزج أول)
المجد للشيطان.. معبود الرياح
من قال لا في وجه من قالوا نعم
من علّم الإنسان تمزيق العدم
من قال لا.. فلم يمت
وظلّ روحا أبديّة الألم!

(مزج ثان)
معلّق أنا على مشانق الصباح
وجبهتي بالموت محنيّة
لأنّني لم أحنها.. حيّة!
يا إخوتي الذين يعبرون في الميدان مطرقين
منحدرين في نهاية المساء
في شارع الإسكندر الأكبر
لا تخجلوا.. ولترفعوا عيونكم إليّ
لأنّكم معلقون جانبي.. على مشانق القيصر
فلترفعوا عيونكم إليّ
لربّما.. إذا التقت عيونكم بالموت في عينيّ

يبتسم الفناء داخلي.. لأنّكم رفعتم رأسكم.. مرّة!
سيزيف لم تعد على أكتافه الصّخرة
يحملها الذين يولدون في مخادع الرّقيق
والبحر.. كالصحراء.. لا يروي العطش
لأن من يقول لا.. لا يرتوي إلا من الدموع!
فلترفعوا عيونكم للثائر المشنوق
فسوف تنتهون مثله.. غدا
وقبّلوا زوجاتكم.. هنا.. على قارعة الطريق
فسوف تنتهون ها هنا.. غدا
فالانحناء مرّ..
والعنكبوت فوق أعناق الرجال ينسج الردى
فقبّلوا زوجاتكم.. إنّي تركت زوجتي بلا وداع
وإن رأيتم طفلي الذي تركته على ذراعها بلا ذراع
فعلّموه الانحناء!
علّموه الانحناء!
الله... لم يغفر خطيئة الشيطان حين قال لا!
والودعاء الطيّبون..
هم الذين يرثون الأرض في نهاية المدى
لأنّهم.. لا يشنقون!
فعلّموه الانحناء..
وليس ثمّ من مفر

لا تحلموا بعالم سعيد
فخلف كلّ قيصر يموت.. قيصر جديد!
وخلف كلّ ثائر يموت.. أحزان بلا جدوى..

من قصيدة «كلمات سبارتكوس الأخيرة»
أمل دنقل

مقدمة

يقول الفيلسوف الألماني الشهير فريدرش هيجل «نتعلم من التاريخ، أنه لا أحد يتعلم من التاريخ».

ويقول الفيلسوف الألماني كارل ماركس «التاريخ يعيد نفسه مرتين، في المرة الأولى كمأساة وفي الثانية كمهزلة».

ويقول الفيلسوف الإسباني جورج سانتيانا «الذين لا يقرأون التاريخ محكوم عليهم أن يكرروه».

ويقول الرئيس الأمريكي هاري ترومان «لا جديد في هذا العالم إلا ما تجهله من التاريخ».

ويقول الكاتب والشاعر الفرنسي ستيفان هيسيل «الذين ينسون التاريخ يحكم عليهم بأن يعايشوه من جديد».

ويقول الأديب والكاتب المصري نجيب محفوظ «آفة حارتنا النسيان».

ويقول أمير الشعراء المصري أحمد شوقي «كل شيء في مصر ينسى بعد حين».

التاريخ يكرر نفسه بشكل منتظم ودوري، وأحداث التاريخ تتكرر تكاد تصل إلى حد التطابق، كما قال الفيلسوف الألماني كارل ماركس، لكن حتى مع هذا التكرار المنتظم للتاريخ نجد أن الشعوب تكرر نفس الأخطاء بحذافيرها ولا تتعلم من أخطائها.

ومن هذا المنطلق فإن هذا الكتاب يلخص بعض الأحداث التاريخية، التي كان لها أثر عظيم في الماضي، أحداث تتعلق بعلاقة الحاكم بالمحكوم، والسلطة بالشعوب، وبشكل خاص تلك التي تكررت في مصر في الأعوام الأخيرة، والتي يُحدث تذكرها

حالة من الدهشة الشديدة، لكم التطابق الذي تكاد تصل إليه!

فكيف يتوقع عاقل أننا حين نكرر الأخطاء ذاتها التي وقع بها أجدادنا، وبالأسلوب ذاته بحذافيره؛ أننا سنحصل على نتائج مغايرة!

مع أنه تكفينا نظرة مدققة للتاريخ حتى نتوقع العديد من الأحداث والأمور المستقبلية، لأن تلك الأحداث قد حدثت بالفعل في الماضي عدة مرات، حتى تكون دروسًا وعبرًا يستفيد منها العقلاء والخائفون بالفعل على أوطانهم.

كل تلك الأمور قد حدثت بالفعل، لكن لا حياة لمن تنادي، في ظل تجهيل وتغييب وتعتيم على التاريخ الذي تم بالفعل تزييفه، لأن التاريخ يكتبه المنتصر وفقًا لهواه وليس وفقًا للحقيقة، فصارت الهزيمة نكسة، والانقلاب ثورة، والثورة مؤامرة...

مقال بدون عنوان
الجزء الأول

---

*هـذا المقـال لا يعـبر عـن رأي كاتبـه، ولا يعـبر عـن أي رأي عـلى الإطـلاق، إنمـا هـو يـترك للقـارئ حريـة تكويـن رأيـه الخـاص، بعـد تسـليط الضـوء عـلى أحـداث حقيقيـة، لا يمكـن للكاتـب أو القـارئ تغييرهـا.

٢٨ سبتمبر ١٩٩٣

«اجتمع المجمع المقدس للكنيسة القبطية الأرثوذكسية برئاسة قداسة البابا شنودة الثالث، وقرر تأييد ترشيح الرئيس محمد حسني مبارك لفترة رئاسة ثالثة، وذلك لخير مصر وسلامتها واستقرارها، والمجمع المقدس يضع أمامه الإنجازات العظيمة التي قام بها الرئيس مبارك، بحكمته وحسن تصريفه للأمور، وما نشره من ديمقراطية وحرية للرأي، وأعضاء المجمع يهيبون بكل أبنائهم في شتى المحافظات أن يذهبوا جميعًا للإدلاء بأصواتهم يوم الاستفتاء، ليقوموا بدورهم الوطني في اختيار رئيس الدولة».

- نشر بمجلة الكرازة المرقسية الناطق الرسمي للكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

٢٩ مايو ١٩٩٩

«المجمع المقدس للكنيسة القبطية الأرثوذكسية المجتمع بالمقر البابوي بالعباسية، برئاسة قداسة البابا شنودة الثالث، يؤيدون ترشيح السيد الرئيس محمد حسني مبارك، لفترة رئاسة جديدة، نظرًا لما عاشته مصر تحت قيادته، تنعم بالديمقراطية، وحرية الرأي بسبب حكمة سيادته وبصيرته الثاقبة وحسن تصريفه للأمور، ويهيب قداسة البابا وأحبار الكنيسة بكل أبنائهم في شتى المحافظات أن يذهبوا جميعًا للإدلاء بأصواتهم يوم الاستفتاء، ليقوموا بدورهم الوطني في اختيار رئيس الدولة»

- نشر بمجلة الكرازة المرقسية الناطق الرسمي للكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

يوليو ٢٠٠٥

القس «فيلوباتير جميل» عضو حزب الغد المعارض ينشر مقاله «الأقباط بين مطرقة الحزب الوطني وسندان الإخوان المسلمين» فاضحًا لعبة النظام المصري لتدجين المسيحيين في مصر، ساردًا قائمة بكل الأحداث الطائفية التي حدثت في عهد مبارك، هادفًا بذلك إلى تحطيم الفكرة التقليدية التي يروج لها النظام والكنيسة، بأن نظام مبارك هو الذي يحمي المسيحيين في مصر، مؤكدًا أن الإخوان والحزب الوطني وجهان لعملة واحدة.

- نشرت المقالة بالعدد رقم ١١ من «مجلة الكتيبة الطيبية» الصادرة عن كنيسة العذراء والبابا كيرلس بعزبة النخل.

٢٩ يوليو ٢٠٠٥

«السيد الرئيس محمد حسني مبارك، سعدنا جدًا بخبر ترشحكم للرئاسة لمرة تالية، كلنا معك، نؤيدك بكل قلوبنا، وسوف نهنئكم بمشيئة الله»

- نص الخطاب المرسل من البابا شنودة الثالث إلى الرئيس محمد حسني مبارك ممهورًا بتوقيع البابا شنودة.

أغسطس ٢٠٠٥

«أصدر المجلس الإكليريكي الفرعي لإيبارشية الجيزة، قرارًا بأيقاف القس فيلوباتير عن ممارسة العمل الكهنوتي لمدة شهر ونصف، لأنه بحسب ما قاله الأنبا بيشوي سكرتير المجمع المقدس، فإن القس فيلوباتير قد جانبه الصواب في هذا المقال، لأنه قد خالف تقاليد الكنيسة والكتاب المقدس الذي يقول «لتخضعْ كل نفس للسلاطين الفائقة، لأنه ليس سلطانٌ إلا من الله، والسلاطين الكائنة هي مرتبة من الله» (رو ١٣: ١)،

و«خافـوا اللـه، أكرمـوا الملـك» (١بـط ٢:١٧)».

- العدد رقم ١٢ من «مجلة الكتيبة الطيبية».

أغسطس ٢٠٠٥

«البابـا شـنودة ومطارنـة وأسـاقفة الكنيسـة القبطيـة الأرثوذكسـية يسـعدهم اسـتمرارية الرئيـس حسـني مبـارك في رئاسـته لمـصر، لمـا يرونـه فيـه مـن حكمـة سياسـية وسـماحة وخـبرة عميقـة بـإدارة شـؤون البـلاد، لذلـك يناشـدونه الاسـتجابة لرغبـة الجماهـير بترشـيح نفسـه لرئاسـة الجمهوريـة لـدورة تاليـة والـكل يحبونـه ويؤيدونـه».

- نشر بمجلة الكرازة المرقسية.

٥ يناير ٢٠١٠

«يسـتحيل أن أقـول للمسـيحين لا تعطـوا أصواتكـم للحـزب الوطـني، لكـني أقـول لهـم أعطـوا أصواتكـم لمـن يرتـاح إليـه ضميركـم (ضاحـكًا)... أي الحـزب الوطـني، وجمـال مبـارك شـاب كويـس وممكـن يبقـى رئيـس جمهوريـة كويـس، ولا أسـتطيع أن أنكـر أني أرتـاح لفكـرة أن يصبـح جمـال مبـارك رئيسًـا لمـصر، فنحـن لا نؤمـن بالثـورة».

- مقتطفـات مـن حـوار أجـراه البابـا شـنودة مـع الإعلامـي عمـرو أديـب في برنامـج «القاهـرة اليـوم» قبـل الثـورة المصريـة بعـام واحـد تقريبًـا.

١١ أبريل ٢٠١٠

«الكتـاب المقـدس يدعونـا إلى تأييـد الرئيـس مبـارك.. وأنتظـر توجـه الكنيسـة في حـال ترشـح جمـال، والكنيسـة يجـب ألا تدخـل

في معركة سياسية (...) قبل أوانها، لأننا لا نعرف إذا كان مرشح الحزب الوطني هو الرئيس مبارك أم جمال مبارك، وعندما سألنا من قبل البابا شنودة عن رأيه في ترشيح جمال مبارك للرئاسة، أشاد البابا بجمال ومدحه، ولكنه طلب تأجيل رأيه في ترشيحه لوقتها، ومن الممكن أن تقول إن الكنيسة لديها التزام مع رئيس الجمهورية، لأن بولس الرسول يقول في الكتاب المقدس «إن السلاطين الكائنة هي بترتيب من الله ومن يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله»، وحتى الآن لا أعرف إذا كانت الكنيسة ستقول رأيا في هذا الموضوع أم لا، ولكني أقول إنه يجب على الكنيسة أن تضع في اعتبارها كلام بولس الرسول».

- مقتطفات من حوار الأنبا بيشوي سكرتير المجمع المقدس مع جريدة المصري اليوم.

٢٢ يناير ٢٠١١

«إحنا عارفين مين اللي بيقوم بالمظاهرات دي ويدعو للمظاهرات دي، ونحن لا نوافق على هذا وعايزين السلام للبلد، والأقباط شعب لا يثور ولا يعصي السلطة».

- جزء من حوار تليفزيوني أجرته لميس الحديدي مع البابا شنودة الثالث معلقًا على الدعوة لمظاهرات يوم ٢٥ يناير.

٢٢ يناير ٢٠١١

«من منطلق حبنا لمصر التي هي وطن يعيش فينا، ومن أجل أمنها واستقرارها ندعو للاحتكام للعقل والالتزام بالقانون، نحو مطالب مشروعة بالحقوق التي يقرها الدستور، وليست بمشاركة في فوضى هدامة، ومن هذا المنطلق نحث كافّة الشباب القبطي على عدم الخروج في مظاهرات ٢٥ يناير، لأنه ليست بالمظاهرات

وعلـو الحناجـر تحـل المشـكلات، وعـلى الأقبـاط عـدم الذهـاب يوم الاحتجـاج، لأن وراءهـا جماعـة الإخـوان والجماعـات السـلفية لإثـارة الشـغب، وعـلى جمـوع الأقبـاط بمـصر وبـلاد المهجـر بالاعتـكاف يـوم ٢٥ يناير للصلاة في الكنائس أو المنازل».

- مقتطفات من بيان أصدره القس عبد المسيح بسيط، أستاذ اللاهـوت الدفاعي في الكنيسـة القبطيـة الأرثوذكسـية وكاهـن كنيسـة العـذراء بمسـطرد.

٢٥ يناير ٢٠١١

«طالـب البابـا شـنودة الثالـث، الأسـاقفة في مختلـف المحافظـات، بتوعيـة الأقبـاط بعـدم المشـاركة في أي مظاهـرات أو احتجاجـات تنظمهـا بعـض الجماعـات والمنظمـات، الـتي وصفهـا بأصحـاب المصالـح الشـخصية. ووجـه البابـا للأسـاقفة بالتشـديد عـلى توعيـة الأقبـاط ضـد الجماعـات الـتي تحـاول ضرب الاسـتقرار، والتركـيز عـلى هـذه الأمـور خـلال العظـات بالكنائـس».

- كتب مايكل عادل بجريدة روز اليوسف.

٣١ يناير ٢٠١١

أكـد البابـا شـنودة الثالـث لبرنامـج «الحيـاة اليـوم» أنـه اتصـل بالرئيـس مبـارك هاتفيًـا أمـس، ليطمـئن عـلى صحتـه ويقـول لـه «إحنـا معـاك»، الأمـر الـذي اسـتعجب لـه مقـدم البرنامـج الإعلامـي عمـرو أديـب ليقـول للبابـا «أنـت الوحيـد الـلي قمـت بالحركـة دي.. نـاس كتـيرة مـن القريبـين مـن الرئيـس لـم يقولـوا رأيهـم بوضـوح»، وأضـاف شـنودة «نحـن بطبيعتنـا نـود أن نعيـش في هـدوء ولا نـود أن نشـارك في مظاهـرات أو أشـياء مـن هـذا النـوع»، ونفـى أن يكـون قـد أمـر الشـباب مـن الأقبـاط بعـد مشـاركتهم في المظاهـرات، وقـال

«هـم لـم يشـاركوا في المظاهـرات دون أن نأمرهـم».

- كتب مصطفى هاشم في جريدة الشروق.

٢ فبراير ٢٠١١

«إحنـا كلنـا بنتجمـع كمصريـين، مـش هاقـول أقبـاط ومسـلمين، لأن دي نغمـة مرفوضـة، لكـن أنـا بقـول إن المصريـين كلهـم خرجـوا للاسـتقرار، خرجـوا للأمـان، خرجـوا لمـصر كلهـا، أن يكـون الزعيـم مبـارك هـو القائـد الـذي يقـود مسـيرة مـصر لـبر الأمـان».

-مـن حديـث القمـص مـتى صليـب سـاويرس، للتليفزيـون المـصري، في أثنـاء قيادتـه لمسـيرة مـن الكهنـة مؤيـدة لمبـارك، في ميـدان مصطفـى محمـود بالمهندسـين.

٨ فبراير ٢٠١١

«نشـكر فـوق الـكل السـيد الرئيـس مبـارك عـلى تدخلـه في الأحـداث، وعـلى تعيينـه السـيد عمـر سـليمان نائبًـا لـه، والفريـق أحمـد شـفيق رئيسًـا للإدارة الجديـدة، ولقـد اتصلنـا بالسـيد الرئيـس نشـكره ونحييـه ونقـول لـه إننـا كلنـا معـه، والشـعب كل معـه».

- مـن مداخلـة البابـا شـنودة الهاتفيـة بالتليفزيـون المـصري عـلى الهـواء مبـاشرة، دعمًـا وتأييـدًا لمبـارك.. قبـل تنحـي هـذا الأخـير بثلاثـة أيـام فقـط.

١٥ فبراير ٢٠١١

«الكنيسـة القبطيـة تحـيي شـباب مـصر النزيـه، شـباب ٢٥ ينايـر، الـذي قـاد مـصر في ثـورة قويـة بيضـاء، وبـذل في سـبيل ذلـك دمـاء غاليـة، دمـاء شـهداء الوطـن الذيـن مجدتهـم مـصر قيـادة وجيشًـا،

بـل مجدهـم الشـعب كلـه، ونحـن نعـزي أهلهـم وأفـراد أسراتهـم، والكنيسـة القبطيـة تحـيي جيـش مـصر الباسـل، والمجلـس الأعـلى للقـوات المسـلحة، ونؤيـد موقفـه في حـل مجلـسي الشـعب والشـورى».

- جـزء مـن بيـان رسـمى أصدرتـه الكنيسـة القبطيـة الأرثوذكسـية عقـب خلـع مبـارك، ممهـورًا بتوقيـع البابـا شـنودة الثالـث.

٧ مارس ٢٠١١

«إحنـا كنـا مرعوبـين وخايفـين لحسـن ثـورة ٢٥ ينايـر تتخطـف بفعـل فاعـل وتحصـل فتنـة بـين الأقبـاط والمسـلمين».

- مـن لقـاء القـس عبـد المسـيح مـع الإعلامـي يـسري فـودة والكاتـب بـلال فضـل، في برنامـج «آخـر كلام» عـلى فضائيـة «أون تي في» محـاولاً تبريـر موقفـه المعـادي للثـورة في السـابق.

مارس ٢٠١١

«أولاً أنـا باحـيي هـذا الشـباب.. شـباب ٢٥ ينايـر ده أنـا بحييـه، لأنـه كان نقطـة فارقـة بـين تاريـخ مـصر قبـل ٢٥ ينايـر، والتاريـخ هيكتـب كـده، إن مـصر مـا قبـل ٢٥ ينايـر تختلـف تمامًـا عـن مـصر بعـد ٢٥ ينايـر، وأنـا كراجـل عشـت في العمـل السـياسي مـن سـنة ٦٣، باقـول إن هـذا الشـباب الحقيقـة ماكنتـش أتصـور أبـدًا في حيـاتي أن هـذا ممكـن أن يحـدث في جيلنـا، ولا أجيـال تـاني، لكـن همـا سـبقوا هـذه الخطـوة، وعملـوا هـذا العمـل البطـولي الـلي أنـا حاليًـا أنـا باحييـه وباشـكر هـذا الشـباب».

- جـزء مـن حـوار القمـص صليـب مـتى سـاويرس، كاهـن كنيسـة مـار جرجـس جيـوشي بشـبرا، عـلى قنـاة العربيـة مـع الإعلامـي حافـظ المـيرازي.

٩ أكتوبر ٢٠١١

«أكـد شـهود عيـان أن مئـات المتظاهريـن الأقبـاط الذيـن قطعـوا طريـق الكورنيـش، يقومـون برشـق جنـود الجيـش المكلفـين بتأمـين مبـنى ماسـبيرو بالحجـارة والزجاجـات الحارقـة... حـتى الآن هنـاك أكـثر مـن ثلاثـة شـهداء وعشريـن مصابًـا كلهـم مـن جنـود الجيـش، وبأيـدي مـن؟ ليـس بأيـدي الإسرائيليـين وليـس بأيـدي عـدو، ولكـن بأيـدي فئـة مـن أبنـاء الوطـن، هـذا الجيـش الـذي يـضُرب الآن، هـو الـذي وقـف بجـوار الثـورة، ورفـض أن تطلـق رصاصـة واحـدة عـلى أي مـن أبنـاء الشـعب المـصري، لنجـد اليـوم أنـه هنـاك مـن يطلـق الرصـاص عـلى أبنـاء الجيـش».

- مقتطفـات مـن تحريـض المذيعـة رشـا مجـدي في التليفزيـون المـصري، تزامنًـا مـع الفتـك بالمتظاهريـن.

١٠ أكتوبر ٢٠١١

٢٨ متظاهـرًا مسـيحيًا لقـوا حتفهـم، إمـا دهسًـا تحـت مدرعـات الجيـش المـصري، وإمـا برصـاص قـوات الجيـش أمـام مبـنى ماسـبيرو.

- من مانشيتات الجرائد المصرية.

١٢ أكتوبر ٢٠١١

«هنـاك شـهداء ومصابـون بـين القـوات المسـلحة نتيجـة أحـداث ماسـبيرو، إلا أن القـوات المسـلحة حريصـة عـلى عـدم ذكـر ذلـك حرصًـا عـلى الـروح المعنويـة داخلهـا، وعمليـة الدهـس الـتي حدثـت مـن مدرعـات الجيـش لبعـض المتظاهريـن لـم تكـن ممنهجـة، والجيـش المـصري لا يرتكـب مثـل هـذا التـصرف حـتى مـع العـدو،

والمجلس لم يتأكد بعد من طبيعة من أطلق النيران أمام ماسبيرو، مرجحًا أن يكون هناك من قام بإطلاق نيران على الطرفين، وبعض المتظاهرين أمام ماسبيرو كانوا يحملون أشياء غريبة جدًا وبكثرة، منها السنج والسيوف وأعواد خشبية».

- مقاطع من المؤتمر الصحفي الذي عقده عضوا المجلس العسكري اللواء أركان حرب عادل عمارة، واللواء أركان حرب محمود حجازي، حول أحداث ماسبيرو.

٧ يناير ٢٠١٢

«بدأ البابا شنودة الثالث كلمته في احتفالات قداس عيد الميلاد بكاتدرائية العباسية، وفي بدايتها قام بتحية القادة العسكريين، إلا أن الجميع فوجئ بالحضور يهتف يسقط يسقط حكم العسكر، وقام أعضاء الكشافة الكنسية بطرد الشباب الذين قاموا بالهتاف ضد دعوة بعض أعضاء المجلس العسكري لحضور قداس عيد الميلاد».

- نقلاً عن شاهد عيان.

٢٥ فبراير ٢٠١٢

«الأنبا بيشوي يستقبل سعد الحسيني، عضو المكتب التنفيذي بحزب الحرية والعدالة وعضو مجلس الشعب بكنيسة الأنبا أنطونيوس بالمحلة الكبرى، ومعه قيادات من الجماعة، ومن جانبه وجه الأنبا بيشوي الشكر لوفد الحرية والعدالة على هذه الزيارة».

– خبر بجريدة «اليوم السابع».

٢٧ يونيو ٢٠١٢

التقى الرئيس محمد مرسي بالقصر الجمهوري وفدًا من الكنيسة، على رأسها الأنبا باخوميوس قائم مقام البطريرك، في زيارة تهنئه الرئيس مرسي بالفوز ضم الوفد الكنسي الأنبا موسى والأنبا هدرا والأنبا إرميا والأنبا بيشوي.

- جريدة المدار.

٢٨ يونيو ٢٠١٢

«سعدنا بلقائنا مع الدكتور مرسي.. إذ تعرفنا على قلب مليء بالطيبة والمحبة والتواضع، وامتلأ قلبنا بالطمأنينة بمشاعره الجياشة نحو جميع المصريين بمن فيهم الأقباط».

- الأنبا موسى أسقف الشباب، تعليقًا على زيارته لمحمد مرسي رئيس الجمهورية، على موقع التواصل الاجتماعي تويتر.

٦ سبتمبر ٢٠١٢

هنأ الأنبا بيشوي سكرتير المجمع المقدس، المهندس سعد الحسيني محافظ كفرالشيخ الجديد، لثقة القيادة السياسية في تعيينه محافظًا، متمنيًا له وللمحافظة دوام الازدهار والتقدم».

- موقع صدى البلد.

٢١ سبتمبر ٢٠١٢

«الكنيسة تنسق لنجاح زيارة الرئيس مرسي لأمريكا، ولا شك أن مرسي هو رئيس كل المصريين، ويهمنا نجاح رحلته، لذا فالأنبا ديفيد يقوم بعقد اجتماع الآن في أمريكا لتنسيق زيارة الرئيس».

- تصريح الأنبا بولا أسقف طنطا وتوابعها والمتحدث الرسمي باسم الكنيسة لجريدة اليوم السابع.

١٣ يناير ٢٠١٤

«قول نعم يزيد النِعَم... وبناء على هذه المشاركة والتوافق حوله، صار حريا بنا جميعا أن نشارك بإيجابية في هذا الاستفتاء، وأثناء قراءتي لمواد الدستور تذكرت ذلك المثل العربي القديم والقائل قول نعم يزيد النِعَم».

- جزء من مقالة البابا تواضروس الثاني بجريدة الأهرام.

٢١ أبريل ٢٠١٤

«إنني وقبل رسامتي بطريركًا كتبت في ثورة ٢٥ يناير شعرًا، قلت فيه إنها ثورة قام بها أناس، وركبها آخرون وسرقوها»، نافيًا ما نسب إليه حول وجود أياد خبيثة تقف خلف ثورة ٢٥ يناير.

- من حوار البابا تواضروس الثاني مع صحيفة جود نيوز الكندية.

٤ نوفمبر ٢٠١٤

«الدين مثل البيضة والسياسة كالحجر، إذا اختلطا خسرناهما».

- من حوار البابا تواضروس الثاني مع قناة الكنيسة الروسية الأرثوذكسية.

٢٣ ديسمبر ٢٠١٤

«مبارك حكم مصر ما يقرب من ٣ عقود من السلام، ولا بد من الأخذ بالاعتبار عمره وحسن أفعاله، وما فعله خلال فترة ولايته، خاصة وأنه قضى أربع سنوات في السجن، وليس من الحكمة التطرق الآن عن حادث ماسبيرو، ولا أعلم بالتحديد من المسؤول عن الحادث، لأنه حدث قبل تعييني في منصب البابا، والمشكلة تنشأ ممن يخلط الدين بالسياسة، وبذلك فإنه يدمر الدين والسياسة حيث إنه يجب الفصل التام بينهما».

- مقتطفات من حوار البابا تواضروس مع صحيفة ألموندو الإسبانية.

٣ يناير ٢٠١٥

وصف الأنبا بولا، أسقف طنطا وتوابعها ورئيس لجنة العلاقات العامة للأقباط بالكنيسة، فترة حكم جماعة الإخوان بالفترة الأسوأ في تاريخ الأقباط الحديث، وأضاف الأنبا بولا أن الأقباط يعيشون أفضل فتراتهم التاريخية، منذ قيام ثورة ٣٠ يونيو وإسقاط حكم جماعة الإخوان.

- من كلمة الأنبا بولا ألقاها خلال ندوة «دور المسيحيين العرب» على هامش مؤتمر «المواجهة الفكرية للتطرف والإرهاب» المنعقد بمكتبة الإسكندرية.

٤ يناير ٢٠١٥

«حادث ماسبيرو كان خدعة من الإخوان للشباب المسيحي، استدرجوهم لمواجهة الجيش ثم تركوهم».

- جزء من حوار البابا تواضروس الثاني مع قناة «سكاي نيوز».

٧ يناير ٢٠١٥

«وفجأة كما ظهر الملاك مبشرًا بميلاد المسيح، فجأة نرى المسيح وقد ظهر داخل الكنيسة يوم ميلاد المسيح».

– نيافة الأنبا بولا معلقًا على زيارة السيسي للكاتدرائية المرقسية بالعباسية، في مداخلة هاتفية على قناة صدى البلد مع أحمد موسى.

١٥ يناير ٢٠١٦

«الرجـل ده مرسـل مـن السـماء لنـا وهـو عطيـة السـماء لشـعب مـصر.. مثلمـا كان النيـل هبـة اللـه لمـصر هكـذا أصبـح السـيسي.. أنـا أبصـم بالعـشرة أن السـيسي أفضـل رئيـس حكـم مـصر، ولـم يمـر بتاريـخ مـصر أحـد مثلـه».

– القــس مــكاري يونــان خــلال عظتــه الأســبوعية بالكاتدرائيــة القديمـة بكلـوت بـك، مهاجمًـا الشـباب الذيـن يعارضـون سياسـات الرئيــس الســيسي.

مقال بدون عنوان
الجزء الثاني
حتى لا ننسى...

هـذا المقـال لا يعـبر عـن رأي كاتبـه، ولا يعـبر عـن أي رأي عـلى الإطـلاق، إنمـا هـو يـترك للقـارئ حريـة تكويـن رأيـه الخـاص، بعـد تسـليط الضـوء عـلى أحـداث حقيقيـة، لا يمكـن للكاتـب أو القـارئ تغييرهـا.

٥ مايو ١٩٣٦

«مات الملك... يحيا الملك... مصر تفتقد اليوم بدرها في الليلة الظلماء، ولا تجد النور الذي اعتادت أن تجد الهدي على سناه... ومن للإسلام يعز شوكته ويعلي كلمته» .

– جريدة الإخوان المسلمين في رثاء الملك فؤاد.

١٦ يونيو ١٩٣٦

«جلالة الفاروق المثل الأعلى لأمته... الملك الجديد فاروق هو أسوة حسنة، وفخر الشباب، وحامي المصحف، وأمير المؤمنين، وحامي حمى الدين».

- جريدة الإخوان المسلمين في مناسبة اعتلاء فاروق عرش مصر.

٩ فبراير ١٩٣٧

«حامي المصحف.. قد ضم القرآن إلى قلبه ومزج به روحه، وإن ٣٠٠ مليون مسلم في العالم تهفو أرواحهم إلى الملك الفاضل الذي يبايعنا على أن يكون حاميا للمصحف».

– جريدة الإخوان المسلمين، ردًا على المظاهرات الشعبية المنددة بالسلوك المستهتر للأسرة المالكة، والتي هتفت لفاروق «ويكا يا ويكا هات أمك من أمريكا».

١٩٣٨

«الله مع الملك».

– من هتافات جموع الإخوان، ردًا على هتاف جماهير الشعب الغاضبة «الشعب مع النحاس»، والذي انطلق عندما حاول فاروق إقالة وزارة النحاس، بعد مطالبة الأخير بالحد من نفوذ الملك غير الدستوري على مؤسسات الدولة.

٢١ فبراير ١٩٤٦

«الإخوان غير جاهزين».

- رد حسن البنا على وفد اللجنة الوطنية للطلبة والعمال لدعوته للاشتراك في «مظاهرات القوى الوطنية»، بعد عشرة أيام فقط من مظاهرة تأييد ضخمة قادها مصطفى مؤمن، من قيادات الإخوان بالجامعة، في ١١ فبراير ١٩٤٦ والتي اتجهت نحو قصر عابدين، في حراسة البوليس، مرددة شعارات موالية للملك.

مايو ١٩٤٦

«واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبيًا».

– من خطبة مصطفى مؤمن مثنيًا على إسماعيل صدقي رئيس الوزراء الملقب بجلاد الشعب، مشبهًا إياه بالرسل والأنبياء، بعدما تم كسر أبواب قاعة الاحتفالات الكبرى عنوة بجامعة فؤاد، لإقامة مؤتمرهم لدعم صدقي.

ديسمبر ١٩٤٨

«إن ولاءنا للعرش لا ينكره إلا كل مكابر، وأنا ملتزم بقول الحسن البصري: لو كانت لي دعوة مستجابة لجعلتها للسلطان، فإن الله يصلح بصلاحه خلقا كثيرًا»

- من حوار حسن البنا مع كريم ثابت، المستشار الصحفي للملك فاروق، محاولاً حث الملك على التراجع عن قرار حل الجماعة الأول.

مايو ١٩٥١

«احتفلت البلاد يوم الأحد الماضي بعيد جلوس الملك فاروق الأول على عرش أجداده العتيد، كما احتفل بزواج جلالته بالملكة ناريمان، والدعوة إذ تتقدم بعظيم التهنئة بالعيدين، تبتهل إلى الله العلي الكبير أن يحفظ ذات الملك وأن يجعل أيامه كلها أعيادًا سعيدة وأن يعزه بالإسلام ويعز الإسلام به».

- مجلة الدعوة الصادرة من جماعة الإخوان المسلمين، مهنئة الملك فاروق بزواجه الثاني، بينما كانت المظاهرات تجوب شتى أنحاء البلاد، منددة بطلاقه من الملكة فريدة معشوقة الشعب هاتفة «خرجت الطهارة من بيت الدعارة»

١٤ نوفمبر ١٩٥١

«وذهب حسن الهضيبي المرشد الثاني للإخوان المسلمين، فور تعيينه مرشدًا، إلى قصر عابدين ليوقع في سجل التشريفات، مظهرًا تأييده وطاعته لفاروق، ويصحبه في ذلك لفيف من قادة الإخوان».

– خبر في صحيفة الجمهورية.

أبريل ١٩٥٢

«تحتفل مصر اليوم بعيد جلوس صاحب الجلالة فاروق الأول، ونحن إذ نرفع إلى مقام صاحب الجلالة الملك أجل تهانينا، ندعو الله مخلصين أن يجيء هذا العيد الميمون في العام المقبل، ووادي النيل يرفل في حلة قشيبة من حلل الحرية الحقة والاستقلال الكامل والوحدة المنشودة».

-- العدد ٦٤ من مجلة الدعوة.

٢٥ مايو ١٩٥٢

«نرفع فروض الولاء للملك المفدى، ونستنكر الصيحات التي تعالت ضد أعتابكم السامية، ونؤكد بُعد الإخوان المسلمين كل البعد عنها».

- الشيخ حسن الهضيبي موقعًا في سجل التشريفات في سراي عابدين.

أغسطس ١٩٥٢

عدد خاص من مجلة الدعوة يحمل صورة اللواء محمد نجيب على غلافه، بمناسبة ثورة ٢٣ يوليو، معلنة مباركتها للثورة المباركة التي قضت على الملك الفاسد والعهد البائد.

أغسطس ١٩٥٢

«هذه الحركات، أيا كانت بواعثها وأسبابها، لا تخيفنا كما قلت، لأننا كنا نتوقع ما هو أشنع منها، إن عهدا بأكمله يلفظ أنفاسه الأخيرة في قبضة قوية مكينة، فلا بد أن يرفس برجليه، وأن يطوح بذراعيه، ولكنه عهد قد انتهى».

– من مقال سيد قطب في جريدة الأخبار، مؤيدًا ومباركًا إعدام مصطفى خميس ومحمد البقري العاملين المتهمين ظلمًا في أحداث كفر الدوار.

١٥ أغسطس ١٩٥٢

«لقد دلت حادثة كفر الدوار على أن خصوم الأمة يتربصون بها الدوائر، ويكيلون لثورتها أرخص الكيد، من أجل ذلك يهيب الإخوان المسلمون بأبناء الوطن عامة، أن يتخذوا من أنفسهم حراسا لهذه النهضة وحَفَظَة على جلال خطواتها، بأن يتعقبوا البغاة والمفسدين، ويقدموا كل ما يسعهم من عون لإحباط أية محاولة يراد بها الإخلال بالأمن أو الإساءة إلى البلاد».

– من بيان جماعة الإخوان المسلمين الرسمي المؤيد والمبارك لإعدام مصطفى خميس ومحمد البقري العاملين المتهمين ظلمًا في أحداث كفر الدوار.

١٥ مايو ١٩٩٤

«هذه شَدة أُذُن وسيخرجون بعد شهرين».

- رد مأمون الهضيبي على ثروت الخرباوي عندما طلب منه تنظيم مظاهرة احتجاجية على اعتقال مختار نوح وأصحابه، الذين أصروا على المشاركة في الإضراب العام للمحامين، اعتراضًا على التعذيب الوحشي الذي تعرض له المحامي «عبد الحارث مدني» على الرغم من رفض مأمون الهضيبي لمشاركة المحامين الإخوان في هذه المظاهرات، لأنه اتفق على ذلك مع رئيس جهاز أمن الدولة

- من مقالة الأستاذ ثروت الخرباوي «الاخوان ومبارك يد واحدة».

٢٦ فبراير ٢٠٠٣

«أنا أدين لله أن المظاهرات لم ولن تكون على الإطلاق منهجا من مناهج التغيير، ممكن الناس تفضل ماشية في المظاهرة خمس ساعات وماتصليش الظهر، طيب بالله عليك الراجل عايز ربنا يغير وهو ماأداش الفرض».

– مقتطفات من خطبة الداعية السلفي محمد حسان، ساخرًا ومتهكمًا على المظاهرات المعارضة لنظام مبارك.

مارس ٢٠٠٣

عقد الحزب الوطني وجماعة الإخوان المسلمين وبشكل علني مؤتمرهم المشترك في استاد القاهرة، لدعم الدور المصري فيما يتعلق بحفظ الأمن في المنطقة، وخطبت قيادات الوطني والإخوان بينما كانت جماهير الفريقين تهلل وتكبر، في نفس الوقت الذي اعتقل فيه عدد من المحامين وعلى رأسهم زياد العليمي، وتم تعذيبهم في سجون العادلي، بعد قيامهم برفع قضية على الحكومة لإجبارها على منع استخدام القناة في أغراض حربية، وإجبار هيئة قناة السويس على منع السفن الحربية الأمريكية من المرور.

١ يناير ٢٠٠٥

«أكد المرشد أن الرئيس مبارك ولي الأمر وطاعته واجبه، وأكد حرصه على العلاقة بين الإخوان وبين النظام المباركي، فهو لا يقبل إفساد العلاقة بين مبارك وأبنائه من الإخوان المسلمين، وسخر فضيلته من المعارضة وأكد أنه لا توجد معارضة في مصر، والنظام لا يعيرها اهتمامه».

- مقتطفات من حوار المرشد مهدي عاكف مع جريدة المصري اليوم.

١٢ مايو ٢٠٠٥

«الإخـوان ليسـوا أهـل ثـورة، ولا مصلحـة لنـا في سـقوط النظـام، والثـورة ليسـت مـن مفرداتنـا، وأسـتغرب كثـيرا للأحاديـث الـتي تـردد ذلـك، وحركـة كفايـة لسـانها طويـل في شـعاراتها ضـد مبـارك وابنـه».

- من حوار مع المرشد مهدي عاكف بجريدة الشرق الأوسط.

٢٠ يوليو ٢٠٠٥

«أنـا أؤيـد ترشـيح مبـارك، وليـس عنـدي مانـع وأتمـنى الجلـوس معـه لنتشـاور في مصلحـة هـذه الأمـة».

– مـن حـوار المرشـد مهـدي عاكـف مـع الصحفـي حسـن عـلام، بعـد مـرور أقـل مـن شـهرين عـلى اعتـداءات الأربعـاء الأسـود عـلى الصحفيـات والتعـدي عليهـن جنسـيًا في ٢٥ مايـو ٢٠٠٥- نـشر بمجلـة آخـر سـاعة.

٩ أبريل ٢٠٠٦

«طـظ في مـصر وأبـو مـصر والـلي في مـصر، ويـا ريـت مسـلمي ماليزيـا يحكمـوا مصر»-مقتطفـات مـن حـوار المرشـد مهـدي عاكـف مـع الصحفـي سـعيد شـعيب.

- نشر بمجلة روز اليوسف.

٢٠٠٧

«إن الرئيـس مبـارك رمـز مـصر، وإنهـم يتوقعـون الخـير كل الخـير عـلى يديـه، والإخـوان المسـلمون لـم يشـككوا يومًـا في شرعيـة الرئيس مبـارك لأنـه رئيـس كل المصريـين».

– مـن تصريحـات د. عصـام العريـان في حفـل توقيـع قانـون جديـد للمعلمـين، بدعـوة رسـمية مـن رئاسـة الجمهورية.

منتصف ٢٠٠٩

«الإخـوان المسـلمون ليسـوا دعـاة ثـورة، وإن تلـك الثـورة إن قامت فلـن تكـون من صنـع الإخـوان».

– من كلمة د. محمد مرسي في إحدى مؤتمرات الجماعة.

٢٩ أكتوبر ٢٠٠٩

«حـدث اتفـاق مـا بـين الأمـن والجماعـة، بموجبـه لا يحـق للإخـوان الترشـح في أكـثر مـن ١٥٠ دائـرة، ولـم تكتمـل الصفقـة نظـرا لاكتسـاح الإخـوان مقاعـد لـم تكـن متوقعـة، والاتفـاق تـم بـين الشـاطر وحسـن مالـك مـن ناحيـة، وأحمـد عـز مـن ناحيـة أخـرى، في فنـدق البولمـان بالمعـادي».

– مقتطفـات مـن حـوار عبـد الحميـد الغـزالي، المستشـار السـياسي للمرشـد العـام لجماعـة الإخـوان المسـلمين، مـع جريـدة المـصري اليـوم.

١٧ أبريل ٢٠١٠

«إن الإخـوان يتعاملـون مـع مبـارك في منصبـه كرئيـس، كوالـد لـكل المصريـين، وليـس عندنـا تحفظـات عـلى أحـد يترشـح للرئاسـة، حـتى قلـت إن الأسـتاذ جمـال مبـارك يترشـح زيـه زي أي إنسـان».

– من حوار المرشد محمد بديع مع الإعلامية منى الشاذلي.

٢٥ نوفمبر ٢٠١٠

«إن الجماعة تنسق في دوائر مع الوطني والتجمع والوفد، ولدينا تفاهمات مع الأمن، ورفضنا الدفع بمرشحين أمام عزمي وغالي وعلام وأبو النجا، احترامًا لهم كرموز للوطن».

– مقتطفات من حوار د. محمد مرسي في جريدة المصري اليوم.

٢٠١٠

«هل فعلا مطلوب يا سعادة النائب، من السيد الرئيس حسني مبارك، أن كل مشكلة موجودة في مصر لازم يتدخل شخصيا لتعديل الأوضاع؟».. «إحنا بنعيش في عصر ماحدش يقدر ينكر إن التعبيرات عن الحرية وصلت إلى أسقف ماكانتش موجودة قبل كده».. «هل أن يترشح السيد جمال مبارك أو غيره، هل ده فيه شيء من العيب؟».. «ابن الرئيس بيطرح اسمه للنزول كمواطن له حق في مسألة الترشح للرئاسة، يستاهل ده التوتر اللي بنشوفه والمظاهرات والمناهضات وما شابه ذلك؟».

– مقتطفات من لقاءات الداعية الإسلامي خالد عبد الله التليفزيونية على قناة الناس قبل الثورة.

٩ يناير ٢٠١١

«يقول السائل، سأخرج إن شاء لله ومعي بعض أولادي يوم ٢٥ يناير بنية تكفير سواد غير الراضين عن الطوارئ، هل هذه نية طيبة؟ لا أرى لك الخروج ولا يراه لك المشايخ جميعهم، المشايخ تشاوروا وقالوا لن نشارك في هذه التظاهرات».

– مقتطفات من فتوى الداعية ياسر برهامي بحرمانية المشاركة في ثورة ٢٥ يناير على موقع أنا السلفي.

١٨ يناير ٢٠١١

«لـم توجـه لنـا دعـوة خاصـة حـتى نقـرر المشـاركة في مظاهـرات ٢٥ ينايـر، ومـا زلنـا نـدرس الموضـوع».

- تبريـر د. عصـام العريـان لرفـض الجماعـة مشـاركة القـوى الوطنيـة في مظاهـرات ٢٥ ينايـر المرتقبـة.

١٩ يناير ٢٠١١

«١٠ مطالب لتجنب الثورة الشعبية».

– عنـوان روشـتة الإصلاحـات الـتي قدمتهـا الجماعـة لمبـارك لتجنـب الثـورة، نـشر بموقـع إخـوان أون لايـن.

٢٠ يناير ٢٠١١

«انطلاقـا مِـن تمسـكنا بديننـا وشـعورنا بالمسـؤولية تجـاه بلادنـا وحرصـا عـلى مصلحتهـا، وتفويتـا لمقاصـد الأعـداء الـتي تهـدف إلى نـشر الفـتن نـرى عـدم المشـاركة في تظاهـرات الخامـس والعشريـن مـن ينايـر».

– فتـوى مكتوبـة مـن الداعيـة يـاسر برهامـي عـلى موقـع أنـا السـلفي.

٢٢ يناير ٢٠١١

«فلـن تخـرج أمتنـا مـن أزمـة الفقـر هـذه بالفهلـوة، ولا بالإضرابـات المخربـة الـتي تسـفك فيهـا الدمـاء، لـن يرفـع الفقـر بمثـل هـذا».

- مقتطفـات مـن خطبـة الشـيخ محمـد حسـان الخاصـة برفـض المشـاركة في مظاهـرات ٢٥ ينايـر.

٢٣ يناير ٢٠١١

«دي دعوات مراهقة».

– إجابة محمد مرسي على أحمد بهاء الدين شعبان، أحد قيادات حركة كفاية، عندما طالبه الأخير بإعلان الجماعة مشاركتها رسميًا.

١ فبراير ٢٠١١

«هل إحنا في مرحلة دلوقتي تحتمل إننا نختلف مع بعض؟ ما مش ممكن كل ١٣ واحد عايزين حاجة هنعملها، إحنا نمشيها بطريقة من أفسد شيئا فعليه إصلاحه.. هو اللي أفسد وهو اللي يصلح».

– مقتطفات من حوار الداعية خالد عبد الله للمتظاهرين في الميدان، الساعة الحادية عشرة مساء، محاولاً إقناع المعتصمين بفض الميدان قبل أن يقوم الجميع بطرده خارج الميدان.

٢ فبراير ٢٠١١

«أدعوا إلى وقف التظاهرات وعودة الحياة إلى البلاد درءا للمفاسد، وأدعوا المتظاهرين للصبر على مبارك ليتم فترته الرئاسية حتى نهايتها».

– من مداخلة الشيخ محمود المصري الهاتفية على قناة النيل التابعة للتليفزيون المصري.

٢ فبراير ٢٠١١

«مفسدون في الأرض، ويسعون في الأرض فسادًا».

– الشيخ محمد جبريل في مداخلته الهاتفية على القناة الأولى المصرية، واصفًا الثوار المعتصمين في الميدان.

٦ فبراير ٢٠١١

اجتمع د. محمد مرسي والكتاتني، ممثلين عن جماعة الإخوان المسلمين، على مائدة المفاوضات مع السيد عمر سليمان، بعدما أكدت الجماعة في السابق عدم المشاركة في أي مفاوضات إلا بعد رحيل مبارك، بقولهم لا حوار قبل الرحيل، واتفق ممثلو الجماعة مع عمر سليمان على سحب الشباب الإخواني من الميدان مقابل حزب وجمعية، والإفراج عن خيرت الشاطر وحسن مالك وبعض قيادات الجماعة، لكن الشباب في الميدان رفضوا ذلك، وبعد يومين خرج الإخوان لينفوا تصريحات سليمان التي تحدث فيها عن اتفاقهم معا، وصفقتهم التي باتت مفضوحة، لكن د. محمد حبيب النائب السابق للمرشد العام للإخوان المسلمين أمر بتلك الصفقة.

٩ فبراير ٢٠١١

«إن الحملة الإعلامية التي تشنها أجهزة الحكومة على جماعة الإخوان المسلمين، تتهمهم بأنهم وراء تلك الثورة، وأنهم السبب في تعطيل المؤسسات وقطع الأرزاق هو ادِّعاء باطل».

- كتب المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين د. محمد بديع على حسابه الشخصي في موقع فيسبوك.

١١ فبراير ٢٠١١

«نطالب بتشكيل حكومة وطنية يتولى تشكيلها أي شخصية وطنية مثل عمر سليمان.. برئاسة أحمد شفيق أو بغيره.. لتمثل الشعب المصري وتقود المرحلة الانتقالية... ونحن نؤكد على الموقف الثابت للإخوان المسلمين.. إننا كإخوان مسلمين لن نشارك لا في حكومة ولا في انتخابات رئاسية».

- د.عبد المنعم أبو الفتوح القيادي بجماعة الإخوان المسلمين وقتها، في مداخلة هاتفية على قناة الجزيرة، بعد دقائق من تنحي مبارك.

٢٧ مايو ٢٠١١

«ثورة ضد الشعب وأغلبيته، وتهدف للوقيعة بين الشعب والقوات المسلحة».

– تعليق جماعة الإخوان المسلمين على رفضها المشاركة في جمعة الغضب الثانية.

١٥ أغسطس ٢٠١١

«المشير حسين طنطاوي، هو أمير المؤمنين في مصر حاليا، بصفته الحاكم العسكري للبلاد، تنفيذًا لحديث رسول الله ص (السلطان ظل الله في الأرض، فمن أكرمه أكرمه الله ومن أهانه أهانه الله)».

- الشيخ محمود عامر رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية، بدمنهور بجريدة المصري اليوم.

١٨ نوفمبر ٢٠١١

«يا مشير يا مشير.. مِ النهارده انت الأمير.. يا مشير يا مشير.. ألف تحية من التحرير.. دقن جلابية.. العسكر مية مية».

– من هتافات الإسلاميين في جمعة قندهار الأولى، دعمًا للمجلس العسكري والمشير طنطاوي، بعد أقل من شهر واحد من مذبحة ماسبيرو.

٢٢ نوفمبر ٢٠١١

«بعض الناس يحاولون أن يدفعونا لمحمد محمود، محاولة منهم لتأخير العرس الديمقراطي».

– محمد بديع تعليقًا على رفض مشاركة الإخوان المسلمين في مظاهرات محمد محمود.

السبت ٢٦ نوفمبر ٢٠١١

«رفضنا نزول التحرير منعًا للدخول في الفتن، وضميرنا مرتاح جدًا».

– تصريح المرشد محمد بديع على رفضه مشاركة الجماعة للحركة الوطنية في مظاهرات شارع محمد محمود.

٣ يناير ٢٠١٢

«الجماعة لا تمانع في حصول المجلس الأعلى للقوات المسلحة على حصانة، ضد المساءلة القانونية في أحداث اشتباكات محمد محمود ومجلس الوزراء، لتسهيل نقل السلطة وتجنب حدوث مشكلات تضر البلاد».

– محمود غزلان في مداخلة هاتفية في برنامج الحقيقة للإعلامي وائل الإبراشي على قناة دريم.

٢١ يناير ٢٠١٢

«أرفض أن نجعل المجلس العسكري أعداء لنا، ونقوم عليه بثورة كما قمنا على النظام الفاسد المستبد، إذا كانت هناك أخطاء للمجلس العسكري، فيجب التقدم بها إلى الجهة القضائية بالأدلة والمستندات».

- محمد بديع في برنامج الحقيقة للإعلامي وائل الإبراشي على قناة دريم.

١١ يونيو ٢٠١٢

«وأنا قاعد مع حسن عبد الرحمن (رئيس جهاز مباحث أمن الدولة) خرج العريان من السجن، وكان هو آخر واحد، وخرج وأنا قاعد، وده مقابل إني أرشح ١٥٠ بدلاً من ٤٠٠ في انتخابات ٢٠٠٥، ومش باعتبر ده صفقة، وإنما خدمة لمصر على حساب الإخوان، وهابعتلكو النواب أ. خيرت ود. محمد حبيب تتفقوا معهم على العدد اللي مايزعجكوش».

– من حوار المرشد مهدي عاكف مع وائل الإبراشي، أجراه في مكتب الإرشاد بمقر الإخوان الجديد بالمقطم، ولم يعرض إلا في ١٩ يونيو ٢٠١٣.

٢ يناير ٢٠١٣

«تحدثت إليه (يقصد الشيخ ياسر برهامي) وطلبت منه الإدلاء بشهادته، ولكنه كان دائمًا يتحجج بأمن الدولة، وبأن هذا الجهاز يهدده إن أدلى بأي أقوال، وبعد الثورة حين طالبته بحق بلال، طلب مني أن أسكت قليلا بسبب وجود بعض المصالح التي لم تنته بعد مع هذا الجهاز».

– مقتطفات من حوار أحمد الشالي، محامي السيد بلال ضحية التعذيب في سجون أمن الدولة، معلقًا على رد فعل الداعية ياسر برهامي.

١٨ يناير ٢٠١٥

«هناك أشخاص استأجروا الغرف العلوية التي تطل على الميدان، وكانوا يحملون الأسلحة وتبين أنهم ينتمون إلى جهات سيادية يترأسها قائد الانقلاب (في إشارة إلى الرئيس عبد الفتاح السيسي) وأن هؤلاء الأفراد مسؤولون عن قنص المتظاهرين... لم أتسرع في إلقاء القبض عليه وقتها، عشان أحافظ على المؤسسة العسكرية من التجريح، وحتى لا يقال إن رئيسها مجرم، وانتظرت نتيجة التحقيقات حتى تبقى المؤسسة مصانة، ولذلك هم خافوا وما زالوا خائفين من ذلك، والأسماء موجودة والكارنيهات موجودة».

– مقطع من مرافعة محمد مرسي الرئيس الإخواني المعزول، أمام محكمة الجنايات في قضية التخابر.

مقال بدون عنوان
الجزء الثالث
حتى لا ننسى...

*هـذا المقـال لا يعـبر عـن رأي كاتبـه، ولا يعـبر عـن أي رأي عـلى الإطـلاق، إنمـا هـو يـترك للقـارئ حريـة تكويـن رأيـه الخـاص، بعـد تسـليط الضـوء عـلى أحـداث حقيقيـة حدثـت بالفعـل، لا يمكـن للكاتـب أو القـارئ تغييرهـا.

١٩٤٥

«كانـت دروس البنـا كل ثلاثـاء، يحضرهـا خليـط مجتمعـي مـن ضمنـه ضبـاط بالجيـش، وقـام الطيـار عبـد المنعـم بتكويـن مجموعـة للجماعـة داخـل الجيـش، مـن ضمنهـا عبـد النـاصر وعامـر وخالـد محـيي الديـن، وقـام عبـد النـاصر ببيعـة الإمـام ببيـت الأسـتاذ صالـح العشـماوي بحـي الخليفـة، ضمـت المجموعـة لاحقـا حسـين الشـافعي والبغـدادي وصـلاح سـالم، وكان عبـد النـاصر يـدرب المتطوعـين الإخـوان الذاهبـين لفلسـطين، بتكليـف مـن قائـد النظـام الخـاص عبـد الرحمـن السـندي».

- محمـد حامـد أبـو النـصر، المرشـد الرابـع للإخـوان المسـلمين، في كتابـه «حقيقـة الخـلاف بـين الإخـوان المسـلمين وعبـد النـاصر».

بدايات عام ١٩٤٦

«ذهبنـا نحـن السـبعة (المقصـود بهـم عبـد المنعم عبـد الرؤوف، جمـال عبـد النـاصر حسـين، كمـال الديـن حسـين، سـعد حسـن توفيـق، خالـد محـيي الديـن، حسـين محمـد أحمـد، صـلاح الديـن خليفـة) في ليلـة مـن أوائـل عـام ١٩٤٦ إلى المركـز العـام لجماعـة الإخـوان المسـلمين، بالملابـس المدنيـة حسـب اتفـاق سـابق، وبعـد أن تكامـل عددنـا قادنـا صـلاح خليفـة إلى مـنزل في حـى الصليبـة بجـوار سـبيل أم عبـاس، حيـث صعدنـا إلى الطابـق الأول فـوق الأرض، ودخلنـا حجـرة ذات ضـوء خافـت جـدا مفروشـة بالحصـير، فجلسـنا عـلى الحصـير، ثـم قادنـا صـلاح واحـدا بعـد الآخـر لأخـذ العهـد وحلـف اليمـين».

- فريـق طيـار عبـد المنعـم عبـد الـرؤوف في كتابـه «أرغمـت فاروق عـلى التنـازل عـن العرش».

«كان بين عبد الناصر وبين الإخوان تاريخ طويل قبل الثورة، وكان اسمه الحركي عندهم زغلول عبد القادر».

– الرئيس محمد نجيب في مذكراته «كنت رئيسًا لمصر».

١٤ أغسطس ١٩٥٢

«سوف أعلق المشانق في شبرا الخيمة على أبواب المصانع، إذا حدث أي تحرك من العمال».

- أنور السادات، عضو مجلس قيادة الثورة في نقابة المعلمين، تعليقًا على أحداث كفر الدوار.

١٦ أغسطس ١٩٥٢

«حكمت المحكمة بالإعدام على مصطفى خميس البالغ من العمر ٢٠ سنة ومحمد البقري البالغ من العمر ٣٥ سنة بالإعدام شنقًا، وبالسجن على ٢٩ آخرين من المتهمين في أحداث مصنع الغزل والنسيج بكفر الدوار».

- الصاغ صلاح الدفراوي من القيادة العامة لمجلس قيادة الثورة، في أثناء تلاوته لحكم المحكمة العسكرية على ٣١ عاملاً من المتهمين ظلمًا في أحداث كفر الدوار.

١٦ أغسطس ١٩٥٢

«إن لم يتم الردع سيخرج كل عمال مصر، وهتطلع ثورة تانية جديدة».

– جمال عبد الناصر موجهًا حديثه لمحمد نجيب، حاثًا إياه على التصديق على أحكام الإعدام.

١٧ أغسطس ١٩٥٢

«ما المانع من إعدام مليوني عامل لحماية الثورة؟».

- حسين الشافعي عضو مجلس قيادة الثورة، معلقًا على الأحكام السابقة.

سبتمبر ١٩٥٢

«لقد أعدمتم اثنين من العمال، فسكت العمال جميعا، ويحتاج الأمر إلى إعدام اثنين من الطلاب كي يصمت الجميع».

- أستاذ القانون د. سليمان الطماوي، ناصحًا ضباط يوليو لإخماد المظاهرات الطلابية ضدهم في الجامعات، قبل أن يتولى عمادة كلية الحقوق جامعة عين شمس بعدها بوقت قليل.

سبتمبر ١٩٥٢

الحكم ببراءة ابن حافظ عفيفي باشا، مالك مصنع الغزل والنسيج بكفر الدوار، وأحد أهم رجال حاشية الملك المخلوع، من قضيتي حيازة مخدرات وسلاح دون ترخيص.

١٧ يناير ١٩٥٣

«الإخوان المسلمون جماعة دينية تشتغل بالوعظ والإرشاد، ولا ينطبق عليها وصف الحزب السياسي».

– جمال عبد الناصر في تبريره أمام مجلس قيادة الثورة، لمنع حل جماعة الإخوان المسلمين، بعدما قرر المجلس حل الأحزاب، وأصدر قانون حل الأحزاب السياسية، وكان مجلس قيادة الثورة، برئاسة محمد نجيب، مصرًا بكامل هيئته على أن يشمل قرار الحل جماعة الإخوان المسلمين، باعتبارها حزبًا

سياسـيًا، لكـن جمـال عبـد النـاصر كان الوحيـد الـذي رفـض أن ينطبـق قـرار الحـل عـلى الإخـوان».

– المستشـار الدمـرداش العقـالي عضـو الجهـاز الـسري في كتابـه «عبـد النـاصر والجماعـة مـن الوفـاق إلى الشـقاق».

١٢ فبراير ١٩٥٣

«لا تظنـوا أيهـا الإخـوان المسـلمون أني أجنـبي عنكـم، فـإني واحـد منكـم، إنـني أذكـر هـذه السـنين والآمـال الـتي كنـا نعمـل مـن أجـل تحقيقهـا، أذكرهـا وأرى بينكـم مَـن يسـتطيع أن يذكـر معـي هـذا التاريـخ وهـذه الأيـام، ويذكـر في نفـس الوقـت الآمـال العظـام الـتي كنـا نتوخاهـا ونعتبرهـا أحلامـا بعيـدة... نعـم أذكـر في هـذا الوقـت، وفي مثـل هـذا المـكان كيـف كان حسـن البنـا يلتقـي مـع الجميـع ليعمـل الجميـع في سـبيل المبـادئ، وأُشـهد اللـه أني أعمـل لتنفيـذ هـذه المبـادئ، وأفـنى فيهـا وأجاهـد في سـبيلها».

- جمـال عبـد النـاصر محدثًـا قـادة الإخـوان مـن أمـام قـبر حسـن البنـا.

٢٦ مارس ١٩٥٤

«حـل مجلـس الثـورة يـوم ٢٤ يوليـو، وتسـليم البـلاد لممثـلي الشـعب.. السـماح بقيـام الأحـزاب.. مجلـس الثـورة لا يؤلـف حزبًـا.. رئيـس الجمهوريـة تنتخبـه الجمعيـة التأسيسـية.. لا حرمـان مـن الحقـوق السياسـية حـتى لا تتأثـر حريـة الانتخابـات».

- مانشيت جريدة المصري.

«كانـت هـذه القـرارات في ظاهرهـا ديمقراطيـة وفي باطنهـا فتنـة وتوتـر، فقـد أثـارت النـاس الذيـن لـم يـرق لهـم أن تعـود الأحـزاب القديمـة، بـكل مـا توحـي بـه مـن فسـاد وتاريـخ أسـود، وبـكل مـا توحـي لهـم بنهايـة الثـورة الـتي عقـدوا عليهـا كل آمالهـم في التطهـر والخـلاص، وأثـارت هـذه القـرارات ضبـاط الجيـش الذيـن أحسـوا أن نصيبهـم مـن النفـوذ والسـلطة والممـيزات الخاصـة قـد انتهـى».

- الرئيـس محمـد نجيـب معلقًـا عـلى قـرارات مـارس ١٩٥٤ في مذكراتـه «كنـت رئيسًـا لمـصر».

٢٨ مارس ١٩٥٤

«لا أحزاب ولا برلمان... تسقط الديمقراطية.. تسقط الحرية».

- مـن هتافـات جمـوع المصريـين خـلال المظاهـرات الرافضـة للديمقراطيـة، ردًا عـلى قـرارات مجلـس قيـادة الثـورة.

أبريل ١٩٥٤

«عبـد النـاصر اعـترف لي أنـه دفـع أربعـة آلاف جنيـه مـن جيبـه لتدبـير مظاهـرات العمـال الرافضـة للديمقراطيـة، وأنـه قـال لـه بالنـص: لما لقيت المسألة مش نافعة قررت أتحرك، وقد كلفني الأمـر أربعـة آلاف جنيـه».

- خالد محيي الدين في كتابه «والآن أتكلم».

أبريل ١٩٥٤

«ستة انفجارات تهز شوارع القاهرة عقب قرارات مارس ٥٤».

- من مانشيتات الصحف المصرية إبان أزمة مارس ١٩٥٤.

أبريل ١٩٥٤

«شهدت في خضم أزمة مارس ستة انفجارات دفعة واحدة، منها انفجاران في الجامعة وانفجار في جروبي، وآخر في مخزن الصحافة بمحطة سكة حديد القاهرة، كلها لم تتسبب في خسائر مادية، لكنها أثارت هواجس شديدة وسط الجميع حول مخاطر انفلات الوضع، ومخاطر إطلاق العنان للديمقراطية دون قبضة حازمة للدولة، وبدأ الكثيرون يشعرون أن الأمن غير مستقر وأنه من الضروري إحكام قبضة النظام، وإلا سادت الفوضى، وقد روى لي عبد اللطيف بغدادي أنه زار عبد الناصر في أعقاب هذه الانفجارات، هو وكمال الدين حسين، وحسن إبراهيم، فأبلغهم عبد الناصر أنه هو الذي دبر هذه الانفجارات لإثارة مخاوف الناس من الاندفاع في طريق الديمقراطية، والإيحاء بأن الأمن قد يهتز وأن الفوضى ستسود إذا مضوا في طريق الديمقراطية».

- خالد محيي الدين في كتابه «والآن أتكلم».

«لقد خرج الجيش من الثكنات.. وانتشر في كل المصالح والوزارات المدنية فوقعت الكارثة التي لا نزال نعاني منها إلى الآن في مصر، كان كل ضابط من ضباط القيادة يريد أن يكون قويًا، فأصبح لكل منهم شلة، وكانت هذه الشلة غالبًا من المنافقين الذين لم يلعبوا دورا لا في التحضير للثورة ولا في القيام بها».

- الرئيس محمد نجيب معلقًا على أزمة مارس ١٩٥٤ في مذكراته «كنت رئيسًا لمصر».

١٤ نوفمبر ١٩٥٤

«أنـا لا أسـتقيل الآن لأني بذلـك سـأصبح مسـؤولا عـن ضيـاع السـودان، أمـا إذا كان الأمـر إقالـة فمرحبـا».

- محمـد نجيـب ردًا عـلى عبـد الحكيـم عامـر عندمـا أخـبره الأخـير أن مجلـس قيـادة الثـورة قـرر إعفـاءه مـن منصـب رئاسـة الجمهورية، وتحديـد إقامتـه في فيـلا زينـب الوكيـل في المـرج لبضعـة أيـام، الجديـر بالذكـر أن نجيـب لـم يخـرج مـن الفيـلا الـتي تـم تحديـد إقامتـه فيهـا إلا بعـد ٣٠ عامـا، منهـا ١٧ سـنة قضاهـا فيهـا كمعتقـل، و١٣ سـنة قضاهـا فيهـا بإرادتـه.

«كل قـوة سياسـية عليهـا أن تلعـب دورهـا مـع القيـادة العسـكرية ثـم يقـضى عليهـا.. لكـن.. لا الإخـوان عرفـوا هـذا الـدرس ولا غيرهـم اسـتوعبه.. ودفـع الجميـع الثمـن.. ودفعتـه مـصر أيضًـا.. دفعتـه مـن حريتهـا وكرامتهـا ودمـاء أبنائهـا.. فالديكتاتوريـة العسـكرية لا تطيـق تنظيمـا آخـر، ولا كلمـة أخـرى، ولا تتسـع الأرض إلا لهـا ولا أحـد غيرهـا.. لقـد قتلـت الثـورة كل معايـير التعامـل مـع البـشر... الذيـن قامـوا بهـا طحنتهـم... والذيـن نافقوهـا رفعتهـم... وتعجبـت».

- الرئيس محمد نجيب في مذكراته «كنت رئيسًا لمصر».

٤ مايو ١٩٦٧

«قـد أكـون عـلى اسـتعداد لفهـم موقـف نـاصر، لكـن هنـاك ضمـن المجموعـة ضابـط آخـر أصبـح ماريشـال سـياسي (يقصـد عبـد الحكيـم عامـر)، الماريشـالية لا تكـون إلا بقيـادة الجيـوش في الميـدان وليـس مـن أي سـبب آخـر».

- القائـد البريطـاني الشـهير الفيلـد مارشـال مونتجمـري في أثنـاء زيارتـه لمـصر سـاخرًا مـن رتبـة الفيلـد مارشـال (المشـير) الـتي يحملها

عبد الحكيم عامر، والذي لا يحمل أي خبرة عسكرية حقيقية، فقد تمت ترقيته عام ١٩٥٣ من رتبة صاغ (رائد) إلى رتبة لواء، وهو لا يزال في الـ٣٤ من العمر، متخطيا ثلاث رتب، وأصبح القائد العام للقوات المسلحة المصرية، وفي عام ١٩٥٤ عين وزيرًا للحربية مع احتفاظه بمنصبه في القيادة العامة للقوات المسلحة، ورقي إلى رتبة فريق ومشير في ٢٣ فبراير ١٩٥٨، على الرغم من أن رتبة مشير (أي قائد ميداني) لا تعطى إلا للقادة العسكريين الذين قادوا جيوشهم في الحروب.

٥ يونيو ١٩٦٧

«أسقطنا ٣٠ طائرة».

– أحمد سعيد في بيانه الأول على إذاعة صوت العرب، إثر نكسة يونيو ٦٧، تلاها عدة بيانات تحمل أرقامًا مماثلة، لدرجة أن بعض الخبراء قالوا إن عدد الطائرات الإسرائيلية التي سقطت في بيانات أحمد سعيد، كان أكثر من تلك الموجودة في إسرائيل، والتي قدرت بـ١٩٧ طائرة وقتها.

٥-٨ يونيو ١٩٦٧

«إسقاط ٤٣ طائرة للعدو.. طائراتنا وأسلحتنا المضادة للطائرات تتصدى لطائرات العدو.. كلنا رجل واحد خلف القائد في المعركة.. الجيش العربي يزحف نحو تل أبيب.. القوات العربية طوقت منطقة النقب وتواصل زحفها... الجيش السوري يدمر مواقع العدوان داخل الأراضي المحتلة تمهيدًا للقوات الزاحفة.. القتال مستمر... سنحقق أهدافنا... سوريا تسقط طائرتين للعدو وتأسر طيارًا إسرائيليًا صباح اليوم... إسقاط ٩ طائرات للعدو في القاهرة والقناة صباح اليوم... طائراتنا تدمر قوة مدرعة للعدو...

محـاصرة قـوة أخـرى مـن المدرعـات الإسرائيليـة بـين العريـش وسـاحل البحـر... ٣ طائـرات أمريكيـة تستكشـف مـدى الدمـار الـذي ألحقنـاه بمدرعـات العـدو... القـوات السـورية تسـقط ٥ طائـرات للعـدو خـلال نصـف سـاعة صبـاح اليـوم».

- مانشـيتات جريـدة المسـاء المملوكـة لمؤسسـة الجمهوريـة، الـتي يـترأس تحريرهـا السـادات، بتواريـخ ٥، ٦، ٧، ٨يونيـو ١٩٦٧.

٨ يونيو ١٩٦٧

«أسـقطنا ٤ طائـرات للعـدو... دمرنـا ٨ دبابـات، ١٠ عربـات، ٦ لوريـات، لنشـين، ٣ قـوارب، مدفعـين، ٣ مخـازن للوقـود والذخـيرة... قواتنـا تصـد عدوانًـا إسرائيليًـا واسـع النطـاق والعـدو يخـسر ٥ قتـلى و٢٠ جريحًـا وأسـيرين».

- مانشيت جريدة أخبار اليوم.

٨ يونيو ١٩٦٧

«فيالـق مـصر حـاصرت الإسرائيليـين في القطـاع الأوسـط مـن سـيناء».

– البيـان الـكارثي لأحمـد سـعيد عـلى إذاعـة صـوت العـرب، الـذي تسـبب في هـلاك عـدد كبـير مـن الجنـود المصريـين الفاريـن مـن الجحيـم، عندمـا عدلـوا عـن خطـة الهـرب عـن طريـق القطـاع الجنـوبي، واتجهـوا بـدلاً مـن ذلـك نحـو القطـاع الأوسـط، بنـاء عـلى بيـان أحمـد سـعيد المختلـق، ووجـدوا الجنـود الإسرائيليـين فجـأة فـوق رؤوسـهم مـن كل جانـب.

صباح ٩ يونيو ١٩٦٧ قبل إعلان خطاب التنحي بساعات.

«بشرى يا عرب.. لم يبق لجيشنا على تل أبيب سوى ١٥ كيلومترًا فقط».

- أحمد سعيد مذيع صوت العرب في آخر بياناته.

٩ يونيو ١٩٦٧ عصرًا

«لقد اتخذت قرارا أريدكم جميعا أن تساعدوني عليه... لقد قررت أن أتنحى تماما ونهائيا عن أي منصب رسمي وأي دور سياسي، وأن أعود إلى صفوف الجماهير أؤدي واجبي معها كأي مواطن آخر».

- جمال عبد الناصر في خطاب التنحي، بعدما تسببت سياسته في هزيمة مصر في حرب ٦٧.

٩ يونيو ١٩٦٧ مساء

«نحن اخترناك يا جمال يا حبيب الملايين».

– من هتافات جموع المصريين المصابة بحالة هياج عارم، متجهة إلى بيت عبد الناصر في منشية البكري، لحثه وإجباره على تكملة مسيرة التقدم، بعد دقائق من تلاوته لخطاب التنحي، واستمرت تلك المظاهرات ليومين متتاليين، حتى خرج عبد الناصر مرة أخرى معلنًا تراجعه عن قراراه السابق، نزولاً على رغبة وإرادة الشعب المصري، وسرت إشاعات قوية بأن تلك المظاهرات كانت معدة ومرتب لها مسبقًا، وأن الجيش المصري قد دفع ببعض المتظاهرين بالقوة في كل المحافظات، لإشعال فتيل المظاهرات الوطنية، والتي استمرت بمفردها بمجرد اشتعالها...

«إن الرجل العسكري لا يصلح للعمل السياسي أبدًا، وإن سبب هزيمتنا عام ١٩٦٧ هو اشتغال وانشغال رجال الجيش بالألاعيب في ميدان السياسة؛ فلم يجدوا ما يقدمونه في ميدان المعركة».

- المشير محمد عبد الغني الجمسي، وزير الحربية الأسبق، مفسرًا هزيمة مصر النكراء عام ١٩٦٧.

١٩٦٨

«اضربوا الطلبة بالطيران».

– جمال عبد الناصر موجهًا حديثه إلى اللواء مصطفى الحناوي، قائد سلاح الطيران، تعليقًا على مظاهرات الطلبة التي خرجت واشتعلت بالقاهرة وحلوان والإسكندرية، اعتراضا على التقصير في محاكمة المتسببين عن نكسة يونيو، وقد اعترف الحناوي بذلك في حواره مع مجلة روز اليوسف في ٢٨ أبريل ١٩٩٧.

صيف عام ١٩٧١

«أنا أواجه نفس المشكلات التي تقاسونها، وأشارككم أهدافكم في مقاومة الإلحاد والشيوعية».

– من لقاء السادات بزعماء الإخوان في الخارج، ومن بينهم سعيد رمضان، زوج ابنة حسن البنا ورئيس المنظمة الإسلامية في جنيف التي كانت ترعاها السعودية، وعمر التلمساني المرشد الثالث للجماعة، وعثمان أحمد عثمان مؤسس «المقاولون العرب»، ويوسف مكاوي، ومحمد عثمان إسماعيل، بترتيب من الملك فيصل ملك السعودية، وعرض عليهم السادات استعداده لتسهيل عودتهم إلى النشاط العلني في مصر، وأوكل السادات لكل من محمود الجامع ومحمد عثمان إسماعيل، مهمة إنشاء تيار إسلامي في الجامعة تحت مسمى «شباب الإسلام» لذلك الغرض،

والـتي تحولـت إلى «الجماعـة الإسـلامية» فيمـا بعـد، وشـدد السـادات عـلى فتـح كل الإشـارات الخـضراء للإسـلاميين بـكل تسـمياتهم في الجامعـات المصريـة، خاصـة جماعـة الإخـوان المسـلمين، وإعـادة إصـدار مجلـة «الدعـوة» لـضرب القـوى اليسـارية مـن ناصريـين وشـيوعيين في الجامعـات.

١٩٧١

«حـدث اجتمـاع في مقـر الاتحـاد الاشـتراكي، حـضره السـيد محمـد إبراهيـم دكـروري، ومحمـد عثمـان إسـماعيل، واتخـذ القرار السـياسي بدعـم نشـاط الجماعـات الدينيـة ماديـا ومعنويـا.. واسـتخدمت أمـوال الاتحـاد الاشـتراكي في طبـع المنشـورات وتأجـير السـيارات وعقـد المؤتمـرات، وأيضـا شراء المطـاوي والجنازيـر».

– فـؤاد عـلام وكيـل مباحـث أمـن الدولـة السـابق في كتابـه «الإخـوان وأنـا».

١٩٧٣

«حذرنـا السـادات مـن أن محمـد عثمـان إسـماعيل كان مـن الإخـوان، ولـه صـلات وطيـدة بقياداتهـا، مثـل المرحـوم محمـد عبـد العظيـم لقمـة، وعمـر التلمسـاني، ومصطفـى مشـهور وغيرهـم، فقـد كان محمـد عثمـان إسـماعيل عضـوا قياديـا نشـطا في شـعبة الإخـوان في أسـيوط، ولكـن السـادات تجاهـل كل ذلـك وعينـه محافظا لأسـيوط، وجـدد لـه لثـلاث فـترات متتاليـة وعينـه برتبـة وزيـر، رغـم أن المحافظـين وقتهـا كانـوا برتبـة نائـب وزيـر، وقبـل ذلـك كان قـد عينـه أمـين التنظيـم بالاتحـاد الاشـتراكي».

- فـؤاد عـلام، وكيـل مباحـث أمـن الدولـة السـابق، في كتابـه «الإخـوان وأنـا»

١٩٧٤

السادات يقرر الإفراج عن باقي الإخوان المسجونين في قضايا تنظيم ١٩٦٥، أو حتى من بقايا حادثة المنشية ١٩٥٤، بعفو صحي.

٢٦ أكتوبر ١٩٨١

«محافظ أسيوط محمد عثمان إسماعيل، كان يوزع الأسلحة على جماعة الإخوان المسلمين».

- مجلة نيوزويك Newsweek.

١٩٨٧

«فبادئ ذي بدء، إنني شكلت الجماعات الإسلامية في الجامعات باتفاق مع المرحوم الرئيس السادات».

- محمد عثمان إسماعيل محافظ أسيوط السابق، في رده على فؤاد علام، بعد اغتيال السادات، على صفحات مجلة روز اليوسف.

٢٠ ديسمبر ١٩٨٠

«أحمد جيلاني» و«صبغت الله مجددي» من قادة الجهاد الأفغاني، في القاهرة للمشاركة في المؤتمر الموسع الذي عقدته جامعة الشعوب العربية بدعم السادات، وبعد أربعة أيام كانوا يوجهون رسالة للشعب الأفغاني عبر راديو القاهرة، وفي الجمعة التالية التقى بهم السادات في منزله، وأدى معهم صلاة الجمعة بمسجد قرية ميت أبو الكوم، في الأسبوع التالي صدر قرار بخصم ٢٪ من رواتب ومعاشات جميع موظفي الدولة،

وفـرض ضريبـة جهـاد لصالـح أفغانسـتان، ودعـوة الجمعيـات الخيريـة والمسـاجد إلى جمـع تبرعـات لصالـح الشـعب الأفغـاني، وتخصيـص صنـدوق في الأمانـة العامـة لجامعـة الشـعوب، لجمـع التبرعـات الشـعبية، والـذي وضـع فيـه السـادات مليـون جنيـه كنـواة ليمـارس المكتـب أعمالـه، وفي نفـس الأسـبوع زار قـادة الجهـاد الأفغـاني مصانـع الهيئـة العربيـة للتصنيـع، الـتي أهدتهـم مجموعـة مـن الصواريـخ والقنابـل المضـادة للدبابـات.

١٩٩٣

«لقـد كنـت قـررت أن أتـرك الحكـم، لكنكـم جئتمـوني بهـذه الوثيقـة الـتي كتبتموهـا بدمائكـم، فـلا يمكـن أن أتجاهـل إرادة الشـعب، ولذلـك سأسـتمر في الحكـم».

- محمـد حسـني مبـارك متطلعًـا إلى أعضـاء الوفـد المكـون مـن بعـض أعضـاء مجلـسي الشـعب والشـورى، ممسـكًا بمبايعـة الـدم الـتي قدموهـا لـه يرجونـه أن يسـتمر في الحكـم، زاعمـين أن وثيقـة المبايعـة تلـك قـد كتبوهـا بدمائهـم، ثـم تبـين بعـد ذلـك أنهـم اسـتعملوا زجاجـة مـن بنـك الـدم، قبـل أن يقـوم البرلمـان بتعديـل الدسـتور ليسـتطيع مبـارك الترشـح لولايـة ثالثـة، وينجـح مبـارك في الاسـتفتاء عـلى تمديـد فـترة رئاسـته وينجـح بالطبـع.

فبراير ١٩٩٤

«اتصـل كمـال الشـاذلي بالمستشـار مأمـون الهضيـبي، وطلـب منـه أن يقيـم الإخـوان فعاليـة كبـيرة رافضـة لمذبحـة الحـرم الإبراهيمـي بالقـدس، لامتصـاص غضـب الشـارع، وأخـبره أن الدولة سـتعطيه كل إمكانياتهـا مـن أجـل نجـاح هـذا العمـل، وتـم عقـد المؤتمـر الـذي حشـد لـه الإخـوان أعـدادا كبـيرة فاقـت احتمـال نقابـة المحامـين،

وكان مـن الحاضريـن وقتهـا وجـدي غنيـم، مأمـون الهضيـبي، مصطفى مشهور، أحمد الملط نائب المرشد وقتئذ، الداعية عمر عبد الكافي، المهندس إبراهيم شكري فضلا عن أحمد الخواجة، وكان مختار نوح هو الذي يقدم الكلمات، في تناغم تام بين الإخوان ومبارك، حتى إن سيارة مرسيدس سوداء كبيرة خاصة برئاسة الجمهورية هي التي أوصلت مصطفى مشهور وأحمد الملط ووجدي غنيم، من مقر الجماعة بشارع سوق التوفيقية إلى مقر نقابة المحامين بشارع عبد الخالق ثروت».

- ثروت الخرباوي القيادي السابق في جماعة الإخوان، في مقالته «الإخوان ومبارك يد واحدة».

٢٠٠٧

«رئاسة الجمهورية تدعو مجموعة من أقطاب الإخوان المسلمين، لحضور مناسبة توقيع قانون جديد للمعلمين، وقد قبل الإخوان دعوة الرئيس بسرور وحماس».

- ثروت الخرباوي القيادي السابق في جماعة الإخوان، في مقالته «الإخوان ومبارك يد واحدة».

٢٢ فبراير ٢٠١١

لجنة شؤون الأحزاب بمجلس الدولة، توافق على التصريح لجماعة الإخوان المسلمين بتأسيس أول حزب سياسي لها، بالمخالفة للدستور، سبقتها الموافقة على تأسيس حزب الوسط الإسلامي، وتلتها الموافقة على تأسيس حزب النور السلفي.

٦ مارس ٢٠١١

جنـود الشرطـة العسـكرية بقيـادة اللـواء ممـدوح أبـو الخـير، يـؤدون التحيـة للعـادلي ويحيونـه بابتسـامة، فـور وصولـه لحضـور الجلسـة الأولى لمحاكمتـه، بمحكمـة القاهـرة الجديـدة بالتجمـع الخامـس.

٩ مارس ٢٠١١

الشرطـة العسـكرية تلقي القبـض عـلى ٢٧ فتـاة وتحتجزهـن داخـل المتحـف المـصري لمـدة يـوم، وبعـد ذلـك تـم نقلهـن للسـجن الحـربي الـذي تعرضـن فيـه للتعذيـب والكشـف عـن عذريتهـن بواسـطة جنـود مـن الجيـش، وفي ٣٠ مايـو أكـد لـواء بالمجلـس العسـكري طلـب عـدم ذكـر اسـمه لشـبكة CNN ووصفتـه الشـبكة بأنـه عسـكري رفيـع المسـتوى، أن الجيـش قـد أجـرى اختبـارات عذريـة بالفعـل.

١٧ مارس ٢٠١١

وزارة الداخليـة تفـرج عـن محمـد الظواهـري، شـقيق أيمـن الظواهـري، الرجـل الثـاني في تنظيـم القاعـدة، و٦٠ مـن معتقـلي «الجهـاد» و«الجماعـة الإسـلامية» مـن سـجن مزرعـة طـرة.

١٩ مارس ٢٠١١

الاسـتفتاء عـلى التعديـلات الدسـتورية، بعـد رفـض المجلـس العسـكري وضـع دسـتور جديـد، وكلـف المجلـس المستشـار

طارق البشري المفكر الإسلامي بتشكيل لجنة لوضع التعديلات المقترحة، تضمنت المحامي صبحي صالح، عضو جماعة الإخوان المسلمين، والتي سمحت ضمنيًا لجماعة الإخوان المسلمين بالسيطرة على اللجنة التي ستضع الدستور الجديد لاحقًا.

٢٨ مارس ٢٠١١

عودة ٣٠٠٠ جهادي من جماعة الجهاد والجماعة الإسلامية، بدخول البلاد من أفغانستان والشيشان والبوسنة والهرسك والصومال وكينيا، بعد رفع أسمائهم من قوائم ترقب الوصول.

– جريدة المصري اليوم.

١٢ أكتوبر ٢٠١١

«عملية الدهس التي حدثت من مدرعات جيش لبعض المتظاهرين لم تكن ممنهجة، حيث إن بعض المدرعات استولى عليها متظاهرون، وبعضها الآخر أصيب سائقوها بهلع، فانطلقوا يدهسون من صادفهم».

- لواء أركان حرب عادل عمارة، عضو المجلس العسكري، مبررًا قتل جنود الشرطة العسكرية لـ٢٧ متظاهرًا قبطيًا دهسًا تحت المدرعات يوم ٩ أكتوبر ٢٠١١ في ما عرف بمذبحة ماسبيرو.

٨ مارس ٢٠١٢

النيابة العامة تحيل بلاغًا وقع عليه ٧٣٢ شخصًا، ضد عدد من النشطاء السياسيين والإعلاميين، للنيابة العسكرية للاختصاص، واتهم البلاغ كلاً من علاء الأسواني، ويسري فودة، وزياد العليمي، وأبو العز الحريري، وبثينة كامل، وريم ماجد،

ونـوارة نجـم، وأسـماء محفـوظ، ووائـل غنيـم، وممـدوح حمـزة، وجـورج إسـحاق، وسـامح نجيـب، بالتحريـض لإسـقاط الدولـة وإثارة الفـتن ضـد المجلـس العسـكري، وفي نفـس اليـوم، قضـت المحكمـة العسـكرية العليـا بإسـقاط الأحـكام السـابقة عـن اثنـين مـن قيـادات الإخـوان، همـا المهنـدس أسـعد الشـيخة، وأحمـد عبـد العاطـي، اللـذان كانـا حكـم عليهمـا بالسـجن ٥ سـنوات غيابيًـا في القضيـة الـتي عرفـت إعلاميـا بـ«ميليشـيات الأزهـر».

١٥ مارس ٢٠١٢

أصـدرت المحكمـة العسـكرية العليـا حكمًـا بـرد اعتبـار المهنـدس خـيرت الشـاطر، نائـب المرشـد العـام للجماعـة، مـن عقوبـة الحبـس ٥ سـنوات، في القضيـة رقـم ٨ لسـنة ١٩٩٥ جنايـات عسـكرية، المعروفـة إعلاميـا بقضيـة مجلـس شـورى الجماعـة، هـذا الحكـم يسـتوجب سـقوط كل العقوبـات التبعيـة والآثـار الجنائيـة الأخـرى المترتبـة عـلى الحكـم السـابق.

١٩ مارس ٢٠١٢

أصـدرت المحكمـة العسـكرية العليـا حكمًـا بـبراءة كل مـن محمـد شـوقي الإسـلامبولي، شـقيق قاتـل الرئيـس الراحـل محمـد أنـور السـادات، ومحمـد الظواهـري، شـقيق زعيـم تنظيـم القاعـدة، كمـا بـرأت المحكمـة ٦ آخريـن، بينهـم عبـد العزيـز داوود الجمـل، وسـيد إمـام مفـتي تنظيـم القاعـدة السـابق، وذلـك في القضيـة المعروفـة بـ«العائديـن مـن ألبانيـا»، الجديـر بالذكـر أن المذكوريـن صـدرت في حقهـم أحـكام تراوحـت بـين الإعـدام والسـجن ٥ سـنوات.

مساء ٣١ مارس ٢٠١٢

أعلنت جماعة الإخوان المسلمين بعد نهاية اجتماع مكتب شورى الإخوان، وخلال مؤتمر عام، اختيار خيرت الشاطر نائب المرشد مرشحًا عنها في الانتخابات الرئاسية، بعدما أصدرت المحكمة العسكرية العليا حكمها برد اعتباره، وأعلنت الجماعة أنه تم الدفع بالشاطر، ردًا على رفض تشكيل حكومة ائتلافية بصلاحيات كاملة، وإقالة حكومة الجنزوري، والتلويح بحل مجلسي الشعب والشورى.

صباح ٨ أبريل ٢٠١٢

تقدم الدكتور محمد مرسي رئيس حزب الحرية والعدالة، بأوراق ترشحه إلى اللجنة القضائية العليا المشرفة على انتخابات الرئاسة، كمرشح للحزب في السباق الرئاسي، وتم قبوله مرشحًا، على الرغم من اتهامه في قضية الهروب من سجن وادي النطرون صباح السبت ٢٩ يناير ٢٠١١.

١٦ أبريل ٢٠١٢

قررت اللجنة العليا لانتخابات رئاسة الجمهورية، استبعاد المرشح خيرت الشاطر من انتخابات رئاسة الجمهورية، لأنه لم يرد إليه اعتباره على النحو الذي رسمه القانون، فقد حصل على رد اعتبار في الجناية رقم ٨ لعام ١٩٩٥ الصادرة من المحكمة العسكرية العليا، دون أن يرد إليه اعتباره في الجناية رقم ٢ لعام ٢٠٠٧ عسكرية عليا (قضية الميليشيات).

٨ أبريل ٢٠١٢

«فاتنا أن نعقد اتفاقا مع مبارك على عدم الملاحقة القضائية، ونعلنه للمتظاهرين ليلة ١١ فبراير».

– اللواء مختار الملا عضو المجلس الأعلى للقوات المسلحة، نقلاً عن كتاب «الثورة التائهة» لعبد لعظيم حماد رئيس تحرير الأهرام الأسبق.

يونيو ٢٠١٢

«المجلس العسكري كان مضغوطًا عليه لتغيير النتيجة، والسيد المشير كان عارف إن أنا كسبان لغاية وقت قريب جدًا».

– أحمد شفيق في حواره مع مصطفى بكري في دبي، متهمًا المجلس العسكري صراحة بالتلاعب في نتيجة الانتخابات الرئاسية لصالح مرشح الإخوان المسلمين محمد مرسي، وأكد شفيق أنه قبل إعلان النتيجة بنحو ٦ أو ٧ أيام كان المشير طنطاوي في السعودية لحضور جنازة الأمير نايف، وفي أثناء الصلاة، كان يجاور المشير صديق سعودي للفريق شفيق، فسأل هذا الصديق المشير قائلاً «ماتطمنا على مصر يا سيادة المشير؟»، فأجابه طنطاوي نصًا «شفيق جاي»، ونقل هذا الصديق تلك الرسالة لشفيق كما حدثت بالفعل، وأكد شفيق في نفس اللقاء أنه تلقى اتصالاً من مسؤول أمني كبير في وزارة الداخلية في الثالثة والنصف فجرًا، يخبره بأنه الفائز بمنصب رئيس الجمهورية بفارق يزيد على مليون ونصف المليون صوت، عن منافسه محمد مرسي، وفي السادسة صباحًا تلقى اتصالاً آخر من شاب صديق قريب من مكتب وزير الداخلية آنذاك محمد إبراهيم يوسف، يخبره أن هناك شيئًا ما يدبر في الخفاء في مكتب وزير الداخلية،

وعليه أن يعرف ما يدبر من خلفه، فاتصل شفيق بالجنزوري يستشيره، لكن الجنزوري لم يكن يمتلك إجابات شافية، ويبدو قلقًا، وسأل شفيق في المقابل «طيب نعمل إيه؟»، وفي الساعة ١٢ ظهر يوم الأحد انتشرت قوات الحرس الجمهوري حول منزل شفيق في التجمع الخامس، باعتباره الرئيس، وفي الثانية ظهرًا كان مقررًا أن يغادر شفيق منزله إلى مقر المؤتمر الصحفي، لكنه أُبلغ بعدم الذهاب في هذا التوقيت، انتظارًا لما بعد المؤتمر الصحفي لرئيس اللجنة العليا للانتخابات، الذي أعلن فيه فوز مرسي، وقال الفريق شفيق إن هناك تحقيقًا قد بدأ بالفعل في مسألة تزوير الانتخابات الرئاسية، وتوقف في اليوم التالي لإعلان النتيجة مباشرة بدون أسباب واضحة.

٢٣ يناير ٢٠١٣

«المؤسسة العسكرية طلبت مني تشويه قوى سياسية عقب الثورة، منها ٦ أبريل والإخوان».

- الكاتب الصحفي عبد العظيم حماد، رئيس تحرير الأهرام الأسبق، في حواره مع وائل الإبراشي في برنامج «العاشرة مساء»، كاشفا أن قيادات بالجيش اتصلت به هاتفيا وسربت له أخبارًا ليست منسوبة لشخصية عسكرية، عن تلقي ٦ أبريل أموالاً من الخارج، وكذلك اتهام جماعة الإخوان بقتل المتظاهرين، وأضاف أنه طلب من القيادات العسكرية التي اتصلت به نسبة الأخبار إلى قيادات عسكرية، لكنهم رفضوا فرفض حينها نشر الأخبار.

مقال بدون عنوان
الجزء الرابع
حتى لا ننسى..

*هـذا المقـال لا يعـبر عـن رأي كاتبـه، ولا يعـبر عـن أي رأي عـلى الإطـلاق، إنمـا هـو يـترك للقـارئ حريـة تكويـن رأيـه الخـاص، بعـد تسـليط الضـوء عـلى أحـداث حقيقيـة حدثـت بالفعـل، لا يمكـن للكاتـب أو القـارئ تغييرهـا.

٢٤ أغسطس ١٩٥٢

«نجاح تجربة أول طائرة تصنع في مصر.. تحليقها في الجو أمس ساعة كاملة وأداؤها مختلف الحركات بنجاح تام».

- مانشيت جريدة الأهرام.

٦ فبراير ١٩٥٨

«دولة عظمى قامت في الشرق.. الجمهورية العربية المتحدة أصبحت حقيقة واقعة.. البيان التاريخي لإعلان الوحدة ورسم الخطوط العريضة للدولة الجديدة».

- مانشيت جريدة الأهرام.

٢٣ ديسمبر ١٩٥٨

«٣ ملايين فدان جديدة لمصر.. التفاصيل الكاملة لمشروع الوادي الجديد الذي أعلنه جمال عبد الناصر.. دراسة المشروع تجري منذ عام كامل في كتمان شديد.. تقرير إلى الرئيس بالنتائج الكاملة للأبحاث قبل خطابه ببضع ساعات.. جيش الخدمة الوطنية يشترك في تنفيذ المشروع».

- مانشيت جريدة الأهرام.

٢ ديسمبر ١٩٥٩

«مطلوب ٣ أشخاص لتجرب (الأخبار) عليهم دواء إعادة الشباب».

- مانشيت جريدة الأخبار.

٣١ مارس ١٩٦١

«سيارة عربية أثارت الدهشة في أوروبا.. قطعت السيارة ١٨ ألف كيلومتر وعبرت جبل الألب دون حاجة إلى إصلاح أو صيانة».

- مجلة المصور.

٢٢ يوليو ١٩٦٢

«الصاروخ.. أطلقنا صاروخًا مداه ٦٠٠ كيلومتر... صاروخ عربي يستطيع إصابة تل أبيب إذا أطلق من القاهرة».

- مانشيت جريدة الأخبار.

٢٢ يوليو ١٩٦٢

«مع عبد الناصر في قاعدة إطلاق الصواريخ... تحقيق صحفي للأهرام عن الساعات المثيرة التي تم فيها إطلاق القاهر إلى مدى ٦٠٠ كيلومتر وتجربة الظافر بعده».

- مانشيت جريدة الأهرام.

١٩٦٣

«برنامج الجمهورية العربية لغزو الفضاء.. سباق بين الجمهورية العربية وفرنسا ومجموعة دول غرب أوروبا لإطلاق قمر صناعي.. الدكتور بليتز كبير العلماء الألمان يرد على الحملة الصهيونية ويتحدث عن برامجنا العلمية.. مصر ثالث دولة في العالم بعد الاتحاد السوفييتي وأمريكا تصنع صواريخها بنفسها».

- جريدة الجمهورية.

١٩٦٤

«انتصار علمي وعسكري ضخم للجمهورية العربية المتحدة... تمت تجربة أول طائرة مقاتلة صممت وصنعت في الجمهورية العربية المتحدة ونجحت التجربة.. الطائرة الجديدة تفوق سرعة الصوت مرتين.. السر الكبير الذي حفظته القاهرة حتى تحقق».

- مانشيت جريدة الأهرام.

١٦ أبريل ١٩٦٥

«سر يذاع لأول مرة.. سفينة الفضاء المصرية.. تحقيق كامل بالصور.. ٩٦ ساعة مضت قبل أن أحصل على موافقة خاصة بدخول منطقة الأسرار.. منطقة أبحاث الفضاء المصرية.. ومضت بنا السيارة إلى مكان ما في منطقة ما ببلادنا لنعيش ساعات غير متصلة.. قصة كفاح علمي عسكري مدني ينتهي بنا إلى إطلاق أول كبسولة فضاء عربية تحمل كائنًا بشريًا حيًا مصريًا إلى الفضاء الخارجي.. بدأنا الطريق لإطلاق كبسولة مصرية بداخلها رائد فضاء مصري.. لدينا أحدث الأجهزة التي نصنع بها وبأيدينا أول قمر صناعي مصري.. أول تفاصيل تذاع عن إعداد غزاة الفضاء من نسورنا الشبان».

- مجلة المصور.

٢٤ يوليو ١٩٦٥

«المشير عامر يعلن في العرض العسكري الكبير الصواريخ الجبارة.. الطائرة القاهرة ٣٠٠ من أقوى الطائرات في العالم.. ٦ أنواع من الصواريخ و١٠ أنواع من الطائرات ظهرت في العرض العسكري».

- مانشيت جريدة الأخبار.

٦ يوليو ١٩٦٦

«الرائـد.. صـاروخ جديـد متعـدد المراحـل ظهـر في العـرض العسـكري أمـس.. الصـاروخ الجديـد مـداه ١٠٠٠ كيلومـتر ويسـتطيع أن يخـترق نطـاق الجاذبيـة الأرضيـة إلى الفضـاء الخارجـي.. ٧ أسـلحة جديـدة ظهـرت لأول مـرة في العـرض العسـكري الكبـير.. عبـد الحكيم يعلـن في خطابـه: الأسـطول تمكـن مـن صنـع غواصـة جيـب تـنزل إلى البحـر خـلال أسـبوعين.. تحيـة باسـم الشـعب إلى قواتنـا في اليمـن الـتي سـجلت أروع انتصاراتهـا خـلال الأيـام الأخـيرة بغـير خسـائر».

- مانشيت جريدة الأهرام.

١٢ مايو ١٩٦٧

«دخلنـا البـترولي سـيكون أكـبر مـن دخـل السـعودية وليبيـا.. إنتاجنا يتضاعـف ٤ مـرات عـام ١٩٧٠ بعـد ظهـور البـترول بغـزارة في خليـج السـويس والدلتـا وسـيناء.. مؤسسـة البـترول تقـوم وحدهـا بحفـر الآبـار الجديـدة دون الاشـتراك مـع جهـات أجنبيـة».

– مانشيت جريدة الجمهورية.

٩ يناير ١٩٩٧

«دلتـا جديـدة تحمـل الخـير لمـصر المسـتقبل.. مبـارك يعطـي في يـوم تاريخـي إشـارة انطـلاق مـشروع القـرن لتنميـة جنـوب مـصر.. الرئيـس يعلـن بدايـة ملحمـة قوميـة للبنـاء ويضغـط عـلى زر التفجـير إيذانًـا بدخـول ميـاه النيـل إلى قنـاة الـوادي الجديـد في توشـكى.. مبـارك: أنـا أسـعد إنسـان اليـوم، وكل مـا أريـده أن يقـول النـاس بعـدي إنـني فعلـت شـيئًا مفيـدًا لمـصر».

-مانشيت جريدة الأهرام.

٢ يناير ٢٠١٤

«المفاجأة المدوية للعالم أجمع.. مصر ستصبح من أغنى دول المنطقة العربية بأكملها في خلال شهور قليلة.. مشروع مصري جديد وفذ يقلب جميع الموازين والحسابات ويطيح بالهيكل الاقتصادي المتردي والمتهالك لتصبح مصر من أغنى دول المنطقة في خلال فترة وجيزة».

- مانشيت جريدة الدستور.

٢٣ فبراير ٢٠١٤

«مشاريع تنموية ضخمة هدية الجيش للمصريين».

– مانشيت مجلة روز اليوسف.

٢٣ فبراير ٢٠١٤

«افتتاح مشروعات تنموية جديدة.. القوات المسلحة تطور أول نظام في العالم لاكتشاف وعلاج فيروسات سي والإيدز».

– مانشيت جريدة الأهرام.

٢٢ فبراير ٢٠١٤

«نجح رجال الهيئة الهندسية للقوات المسلحة في اختراع جهاز ضوئي فريد أطلق عليه اسم سي فاست.. وقد أقره الرئيس عدلي منصور، والمشير عبد الفتاح السيسي النائب الأول لرئيس الوزراء وزير الدفاع والإنتاج الحربي القائد العام للقوات المسلحة، بعد حصوله على موافقات وزارة الصحة وتسجيل براءة اختراعه باسم رجال الهيئة الهندسية».

- جريدة الوطن.

٢٤ فبراير ٢٠١٤

«قواتنا المسلحة تبهر العالم بسي فاست.. أمريكا اعترفت بجهاز علاج فيروسات الكبد والإيدز.. والقضاء على المرض في أقل من ٢٠ ساعة».

– مانشيت مجلة روز اليوسف.

فبراير ٢٠١٤

«الإيدز يتفتت ويصبح زي ما باقول برضه في الأمثلة، بآخد الإيدز من المريض، بغذي المريض على الإيدز باديهوله صباع كفتة يتغذى عليه، بآخد المرض وأديهوله غذاء.. وهذا قمة الإعجاز العلمي».

- اللواء طبيب إبراهيم عبد العاطي، رئيس الفريق الطبي المسؤول عن جهاز علاج الإيدز.

فبراير ٢٠١٤

«وبتتحسن الحالة الجنسية للعيان..».

– د. أحمد مؤنس أستاذ الجهاز الهضمي والكبد بجامعة عين شمس، وعضو فريق اللواء الدكتور إبراهيم عبد العاطي، في المؤتمر الرسمي للإعلان عن الجهاز على القناة الأولى المصرية.

فبراير ٢٠١٤

«يعالج أي نوع فيروس موجود في جسم الإنسان، بيكتشف ويعالج فيروس الإيدز، فيروس سي، وكمان هناك تجارب حاليًا عليه لكشف وعلاج إنفلونزا الخنازير.. وبيعالج الصدفية.. على آخر المدة وبعد العلاج المريض بيبقى جلده زي بيبي حديث

الـولادة».

– د. سـالي مصطفـى، أسـتاذ الكبـد وعضـو بمـشروع القـوات المسـلحة، في مداخلـة هاتفيـة مـع المذيـع رامـي رضـوان عـلى قنـاة ONTV.

فبراير ٢٠١٤

«بيعالـج كمـان السـكر، مريـض السـكر بيرجـع مابياخـدش حضرتـك، بيقعـد عـلى الجهـاز بيرجعـه مابياخـدش عـلاج السـكر تـاني، بيبتـدي يقـل تدريجيـا لغايـة لمـا بينعـدم ومابياخـدش عـلاج السـكر تمامًـا.. وبيعالـج كمـان الصدفيـة.. الجهـاز ده حضرتـك بيقضي عـلى أي نـوع مـن أنـواع الفيروسـات، هـو مـش بـس كمـان أي نـوع.. وكمـان الكانـسر».

– د. إحسـان حنفـي حسـين، عضـو فريـق اللـواء الدكتـور إبراهيـم عبـد العاطـي، في مداخلـة هاتفيـة عـلى قنـاة الحيـاة ٢.

فبراير ٢٠١٤

«أنـا عُـرض عليـا في هـذا الجهـاز ٢ مليـار دولار.. دولاااار.. وأنسـاه.. رفضـت.. وسـافرت.. وهربـت وجيـت عـلى بلـدي.. المخابـرات حمتـني هنـا.. المخابـرات خطفتـني وحطتـني هنـا».

- اللـواء طبيـب إبراهيـم عبـد العاطـي، رئيـس الفريـق الطـبي المسـؤول عـن جهـاز عـلاج الإيـدز، في مداخلـة تليفزيونيـة عـلى قنـاة صـدى البلـد.

١٥ مارس ٢٠١٥

«١٦٠ مليـار دولار حـتى الآن.. ويتوقـع المحللـون والخـبراء أن يبلـغ إجمـالي الاسـتثمارات مـع ختـام المؤتمـر مئـتي مليـار دولار.. المؤتمـر الاقتصـادي يواصـل النجـاح ومطالـب بعقـده سـنويًا.. ومحافـظ البنـك المركـزي يؤكـد انتهـاء السـوق السـوداء للعملـة».

- جريدة المساء.

١٣ يونيو ٢٠١٥

«مميـش: ١٠٠ مليـار دولار عوائـد سـنوية متوقعـة لمشروعـات تنميـة قنـاة السـويس الجديدة».

– جريدة الأهرام.

من قال لا في وجه من قالوا نعم..
أوجست لاندميسير

لـم ينـم «أوجسـت» في تلـك الليلـة جيـدًا، ربمـا بسـبب درجـة الحـرارة المتقلبـة نسـبيًا في تلـك الفـترة مـن العـام، أو ربمـا بسـبب انشـغاله بالحفـل المزمـع إقامتـه صبـاح الغـد ١٣ يونيـو ١٩٣٦ بحضـور قـادة مـن الجيـش النـازي الألمـاني، بمناسـبة انطـلاق سـفينة التدريـب البحريـة «هورسـت فيسـيل» مـن الرصيـف الجـاف إلى الميـاه، والـتي صنعتهـا شركـة بنـاء السـفن الضخمـة «بلـوم أونـد فـوس» في هامبـورج بألمانيـا، والـتي يعمـل بهـا «أوجسـت لاندميـسر» كعامـل لإصـلاح السـفن.

حـاول أن يشـغل نفسـه بالتفكـير في حال بـلاده، وفي النهاية السـيئة الـتي تنتظـر ألمانيـا العظمـى حتمًـا وقريبًـا، إن اسـتمر الشـعب الألمـاني في تأييـده الأعمـى لسياسـات ذاك المصـاب بلوثـة عقليـة مـع الكثـير مـن جنـون العظمـة، المدعـو أدولـف هتلـر، وتبريـر كل مـا يقـوم بـه مـن مجـازر ومذابـح، منـذ أن أحكـم قبضتـه عـلى البـلاد بوصولـه إلى مقعـد المستشـارية منـذ ثـلاث سـنوات فقـط، مسـتغلاً قدرتـه الفائقـة عـلى التأثـير عـلى عقـول المواطنـين وخلـب لبهـم بخطاباتـه العاطفيـة، إضافـة إلى جاذبيتـه البالغـة الـتي يسـتغلها في إلقـاء الخطـب الرنانـة، وفي الدعايـة لمشروعـه النـازي، وحصولـه بالفعـل عـلى تفويـض بالعمـل لبنـاء «الرايـخ الثالـث» لإعـادة ألمانيـا إلى سـابق مجدهـا، مـن قبـل الجماهـير الغاضبـة المشـحونة مـن هزيمـة ألمانيـا المشـينة في الحـرب العالميـة الأولى، ومـن معاهـدة «فرسـاي» المذلـة، فوقـف خلفـه أغلبيـة الشـعب مسـحورًا ومهلـلاً لأفـكاره القوميـة، ومعاداتـه للشـيوعية، ومصفقًـا لحربـه الـضروس عـلى اليهـود، واعتقالهـم في «جيتـوات» (مناطـق عـزل مغلقـة)، وحرقهـم في أفـران الغـاز، مسـتغلاً إعـلام قـذر يقـوده عبقـري سـادي يدعـى «جوزيـف جوبلـز»، يمتلـك قـدرة غـير عاديـة عـلى قلـب الحقائـق، وإيهـام الشـعب بالمؤامـرة العالميـة الـتي يشـنها

العالـم أجمـع عـلى ألمانيـا، عـلى الرغـم مـن أن ألمانيـا في تلـك اللحظـة تحديـدًا كانـت آخـر دولـة في العالـم يمكـن أن يحسـب لهـا أي حسـاب، بعـد انهيـار كل مقومـات وأركان الدولـة تقريبًـا، وانهيـار الاقتصـاد وهبـوط الفرنـك إلى معـدل غـير مسـبوق، وإجبـار الجيـش الألمـاني عـلى خفـض تعـداده إلى أرقـام متضائلـة جـدًا، حسـبما نصـت معاهـدة «فرسـاي» الشـهيرة.

التفكـير في حـال ألمانيـا ومسـتقبلها لـم يسـاعد «أوجسـت» عـلى النـوم بـل بالعكـس، جعـل النـوم يفـر مـن عينيـه أكـثر وأكـثر، فحـاول أن يشـغل نفسـه بالتفكـير في أسرتـه وحياتـه، منـذ أن ولـد في ٢٤ مايـو ١٩١٠ كابـن وحيـد لوالـده «أوجسـت فرانـز لاندميـسر» وأمـه «وايلهيمالـين»، وندمـه عـلى انضمامـه للحـزب النـازي عـام ١٩٣١، عنـد بلوغـه الحاديـة والعشريـن، سـعيًا في الحصـول عـلى وظيفة، كما فعـل أقرانـه، ثـم تذكـر زوجتـه الجميلـة «إرما إيكلـير» الـتي يعشـقها بجنـون، والـتي لـم يبـال بكونهـا يهوديـة الديانـة، ولا تحمـل الـدم الآري النقـي في شرايينهـا، كمـا يتطلـب الانضمـام للحـزب النـازي، وكيـف تـم طـرده مـن ذلـك الحـزب العنـصري بـدون تفاهـم، بمجـرد إعـلان خطوبتـه لهـا، وكيـف أنـه ضرب بقراراتهـم وقوانينهـم عـرض الحائـط، وتـزوج بهـا، وتـم توثيـق زواجهمـا في ولايـة هامبـورج، فقامـت محكمـة «نورنبـيرج» بإلغـاء هـذا الـزواج بعـد مـرور شـهر واحـد عـلى زواجهمـا، لكـن الحـب الـذي جمعهمـا كان أقـوى، فـأصرا عـلى إكمـال رحلـة كفاحهمـا، وفي ٢٩ أكتوبـر عـام ١٩٣٥، أنجبـت لـه إرمـا طفلتهمـا الجميلـة «أنجـرد» والـتي خلبـت عقلـه وكيانـه.

أشرقـت الشـمس بينمـا عينـاه لـم يغمـض لهمـا جفـن طـوال الليـل، لـم يعبـأ «أوجسـت» وتوجـه غـير مكـترث مع بـاقي العمـال إلى الحفـل الـذي يشرفـه بعـض قـاده الجيـش النـازي، واصطـف العمال تحـت الشـمس، بينمـا بـدأ القائـد العسـكري في إلقـاء كلمتـه، واعـدًا الجميـع بمسـتقبل مبهـر لألمانيـا النازيـة الـتي سـتحكم العالـم في

غضـون سـنوات قليلـة، لـكي تصبـح أعظـم بـلاد العالـم، أو لتصبـح «أم الدنيـا»، ثـم ختـم كلمتـه بتحيـة هتلـر الشـهيرة «هايـل هتلـر»، فـردد العمـال خلفـه بـكل مـا أوتـوا مـن قـوة صائحـين «هايـل هتلر»، بينمـا رفعـوا أذرعتهـم عاليـة أمامهـم بزاويـة ٤٥ درجـة، كمـا اعتـادوا أن يفعلـوا في كل مـرة يحيـون فيهـا القائـد العظيـم.

تلـك المـرة لـم يرفـع «أوجسـت» ذراعـه مثلمـا اعتـاد أن يفعـل قديمًـا، فالغضـب الـذي كان بداخلـه كان قويًـا تلـك المـرة، فاسـتمر واقفًـا، عاقـدًا ذراعيـه أمـام صـدره، غـير عـابئ، يضحـك في أعماقـه بحـزن عـلى تلـك الخـراف المهووسـة بالقائـد العظيـم، والـتي توقفـت عقولهـا عـن العمـل منـذ سـنوات.

حظـه العاثـر هـو مـا جعلـه يظهـر في تلـك الصـورة الـتي التقطهـا أحدهـم للجمـوع خـلال الاحتفـال، وظهـر فيهـا «أوجسـت» رافضًـا تحيـة «الفوهلـر» العظيـم في تحـدٍ واضـح، ويبدو أن أحـد المواطنين الشرفـاء الـتي كانـت ألمانيـا تعـج بهـم في ذلـك الوقـت قـد وشى بـه للسـلطات، متهمًـا إيـاه بالخيانـة والعمالـة كونـه معارضًـا لسياسـات الجـنرال هتلـر، فتـم التضييـق عليـه بـكل شـكل وبـكل طريقـة، حـتى أتى يـوم اتخـذ فيـه «أوجسـت» قـراراه الحاسـم هـو وزوجتـه بالفـرار إلى الدنمـارك في يوليـو ١٩٣٧، عـلى الرغـم مـن أن «إرمـا» كانـت حبـلى بطفلتهـا الثانيـة، لكـن يبـدو أن الضغـوط كانـت أقـوى مـن الانتظـار، لكـن لحظهـم العاثـر بـاءت محاولـة الهـروب بالفشـل، وتـم اعتقـال «لاندميـسر» وزوجتـه، عـلى الرغـم مـن أنـه لا يوجـد قانـون يمنـع السـفر مـن ألمانيـا إلى الدنمـارك، ولا يعـد سـفره جريمـة أساسًـا، لكـن القضـاء الألمـاني الشـامخ المسـيس الـذي يتبـع توجهـات القائـد العظيـم، وتوجهـات «الجسـتابو» (الشرطـة السريـة المهتمـة بأمـن الدولـة في العهـد النـازي)، أصر عـلى تأديـب «أوجسـت» وعقابـه بـأي طريقـة، فتمـت إدانتـه بتهمـة فضفاضـة تسـمى «مخالفـة قوانـين التميـيز العنـصري النـازي» بزواجـه بـ«إرمـا»، فنفـى «لاندميـسر»

التهمة بادعائه أنه هو وزوجته كانا يجهلان أنها يهودية أبًا عن جد، وتمت تبرئته لعدم وجود أدلة كافية، وحصل على حريته في ٢٧ مايو عام ١٩٣٨ بعد عشرة أشهر من التحقيقات والمحاكمات، بشرط تفريقه عن زوجته، وتم تحذيره بأنه في حال تكرار مخالفته، فإنه سيزج به في السجن لعدة سنوات، لكنه لم يأبه، واستمرت العلاقة ما بين «أوجست» و «إرما» علانية لأقل من شهرين بعد خروجه من القضية السابقة، حتى تم اعتقاله مرة أخرى وبنفس التهمة، وحكم عليه هذه المرة في ١٥ يوليو عام ١٩٣٨ بالسجن عامين ونصف العام في معسكر اعتقال «بورجرمور»، واعتقل الجستابو «إرما» في سجن «فلاشبوتيل»، حيث أنجبت طفلتها الثانية «إيرين»، ثم تم إرسالها إلى معسكر اعتقال «أورانينبورج»، ثم إلى معتقل «ليشتنبورج» الخاص بالنساء، ثم إلى معتقل النساء في «رافنزبروك»، وفي فبراير ١٩٤٢ أرسلت إلى مركز «بيرنبورج للقتل الرحيم»، وتم إيداع طفلتيهما في البداية في دار للأيتام، وبعد ذلك تم السماح للابنة الكبرى «أنجرد» بأن تعيش مع والدة أمها، وتبنت عائلة «فوستر» الابنة الصغرى «إيرين» عام ١٩٤١ حين كانت تبلغ من العمر ثلاث سنوات، ثم انتقلت «أنجرد» أيضا لعائلة «فوستر» بعد وفاة جدتها عام ١٩٥٣.

في ٢٨ أبريل ١٩٤٢ قتلت «إرما» في مركز «بيرنبورج للقتل الرحيم» ضمن ١٤٠٠٠ قتيل كان تُجرى التجارب الطبية عليهم دون إرادتهم داخل المركز، لكن لم يتم إعلان خبر وفاتها إلا في عام ١٩٤٩، أما «أوجست» فقد خرج من السجن في ١٩ يناير ١٩٤١ وعمل رئيس عمال في شركة «بوست» للشحن، وفي شهر فبراير عام ١٩٤٤ تم تجنيده في الخدمة العسكرية الإلزامية في الكتيبة (٩٩٩) للمشاة، وانتشر خبر اختفائه واحتمالية مقتله في اشتباكات في كرواتيا يوم ١٧ أكتوبر ١٩٤٤. وتم الإعلان عن وفاته رسميًا عام في ١ أغسطس

١٩٤٩.

بحلول نهاية عام ١٩٤٤ كان الجيش الأحمر (الروسي) قد أجبر الألمان على التراجع إلى أوروبا الوسطى، في نفس الوقت كانت قوات الحلفاء الغربيين تتقدم صوب ألمانيا، وأدرك هتلر أن ألمانيا قد خسرت الحرب، ولكنه لم يسمح بالانسحاب، وفي ٣٠ أبريل ١٩٤٥، وبعد اشتباكات عنيفة انتقلت من شارع إلى شارع في مدينة برلين، وبينما كانت القوات السوفييتية على بعد تقاطع أو اثنين من مقر مستشارية «الرايخ»، قام هتلر بالانتحار بإطلاق النار على رأسه وهو يضع في فمه كبسولة سيانيد، بينما اكتفت زوجته «إيفا براون» التي تزوجها في اليوم السابق، بابتلاع كبسولة السيانيد، وتم وضع الجثتين في حفرة صغيرة، وقام بعض الضباط المعاونين الموجودين في قبو القائد بسكب الكثير من البنزين على الجثتين، وإشعال النار فيهما بحسب وصيته، وفي الثاني من مايو، استسلمت برلين.

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، رفضت قوات التحالف إجراء أي محاكمات حرب لقادة النازية، المسؤولين مباشرة عن إزهاق ملايين الأرواح، ولا للأطباء المسؤولين الذين أجروا التجارب الطبية على البشر، وبدلاً من ذلك عقدت محاكمات عادية لقبت بمحاكمات «نورنبيرج»، استغرقت أربع سنوات من ٢٠ نوفمبر ١٩٤٥ وحتى عام ١٩٤٩، انتهى الجزء الأول منها المختص بمحاكمة قادة النازية في ١ أكتوبر ١٩٤٦، وقضت المحكمة بالإعدام على ١٢ من المتهمين، نفذ الحكم في عشرة فقط، فقد انتحر أحدهم قبل الإعدام بساعات، أما الآخر فقد ظل هاربًا، وبالحكم على ٧ آخرين بالسجن فترات متفاوتة من عشر سنوات إلى مدى الحياة، وبتبرئة خمسة متهمين من أصل ٢٤ متهمًا

وفي عام ١٩٩٦، نشرت إيرين الابنة الصغرى كتاب «قانون الوصاية Die Vormundschaftsakte» عن قصة عائلتها، ويتضمن

الكتـاب كميـة كبـيرة مـن الوثائـق الأصليـة عـن المأسـاة الـتي حدثـت لتلـك العائلـة، بسـبب ديكتاتوريـة هتلـر.

من قال لا في وجه من قالوا نعم..
أوسكار روميرو

«الكنيسة التي لا تدافع عن حقوق الفقراء، ولا ترفض الظلم المرتكب بحقهم، ليست الكنيسة الحقيقية ليسوع المسيح»...

نطق «أوسكار روميرو» رئيس أساقفة السلفادور جملته الأخيرة بهدوء وثقة بالغين، ليختم بها عظة قداس الأحد الأسبوعي، متعمدًا الضغط على مخارج الحروف، ثم صمت ورفع عينيه إلى أعلى، مستمدًا القوة من إله الحق والسلام، معلنًا استعداده وبكل جرأة لتحمل تبعات موقفه الحازم، تجاه رفض الممارسات القمعية التي تقوم بها السلطة العسكرية الحاكمة في البلاد.

ارتفعت همهمات الحضور عالية بعد عبارة «روميرو» الأخيرة ما بين مؤيد ومعارض، فمنهم الثائر المعارض للسلطة الذي يؤيد «روميرو» وموقفه بشدة، ومنهم من يحبه ويخاف عليه، ويرى أن الطريق الذي اتخذه «روميرو» برفضه للظلم الواقع على شعبه سيكون نهايته الموت حتمًا، خصوصًا أن رئيس الأساقفة قد توقع سابقًا أن يتم اغتياله، وتحدث مرارًا عنه، معلنًا استعداده لقبول الشهادة إن أمكن لدمه أن يساهم في حل مشكلات البلاد، قائلاً «لا أؤمن بالموت من دون بعث، فإذا قتلوني، فسأبعث من جديد في الشعب السلفادوري»، بينما رفض البعض الآخر -ومنهم أقرانه من الأساقفة- موقفه المعارض للسلطة العسكرية، متهمين إياه بالشيوعية نظرًا لدفاعه عن حقوق الإنسان.

لم يعرف «روميرو» أن أحدهم قد وقع على شهادة وفاته في تلك اللحظة تحديدًا، ولم يبق إلا التنفيذ الفعلي...

لم تكن تلك هي المرة الأولى التي يعلن فيها رئيس الأساقفة «أوسكار روميرو»، وبكل صراحة، موقفه المعادي للجنرال «كارلوس»، فقد سبقه نشاط ثوري حقيقي مناهض لحكم

العسكر في السلفادور، الذين ارتكبوا مجازر مروعة بحق العمال والفلاحين، منذ سيامته رئيسًا لأساقفة السلفادور في ٢٣ فبراير ١٩٧٧، ففي تلك الفترة كانت السلفادور على شفا حرب أهلية، حيث أعلن الجنرال «كارلوس هومبيرتو روميرو» نفسه رئيسا للدولة، بعد انتخابات لم تتسم بالنزاهة في ١ يوليو ١٩٧٧، وبعدها بثمانية أيام فتحت الشرطة نيرانها بعشوائية لإخماد مظاهرة تندد بنتائج الانتخابات الرئاسية، فسقط عدد ضخم من الضحايا، وفي نفس الشهر تعرض ثلاثة كهنة أجانب للتعذيب بسبب موقفهم المعارض والمناهض للظلم وتم بعدها طردهم من البلاد، تلى ذلك خطف قس وتعرضه للتعذيب، ثم ألقي به وهو بين الحياة والموت أمام أبواب المحكمة العليا، لتوصيل رسالة بعينها للمعارضة مفادها أن القضاء الشامخ لن يأتي لكم بحقوقكم.

لقي اختيار «روميرو» في البداية ترحيبًا حكوميًا، بينما شكل خيبة أمل للعديد من قساوسة البلاد ذوي الميول اليسارية، ولكن روميرو صدم كلا الفريقين، الحكومة واليساريين، فقد دخل منذ بداية عمله في منصبه الجديد في صراع مع السلطة والجيش والطبقة البرجوازية، مدافعًا عن حقوق الفقراء ومستنكرًا المجازر والاغتيالات والتعذيب، وانتهاكات حقوق الإنسان التي كانت ترتكب بحق الشعب السلفادوري، تحت مرأى ودعم الحكومة الأمريكية.

لم ينبهر أوسكار بأضواء المنصب، ولم يتناسَ أصوله الفقيرة سعيدًا بمنصبه الجديد، كحال معظم رجال الكهنوت، لم يتناس «أوسكار أرنولفو روميرو إي جالداميز» المولود في ١٥ أغسطس ١٩١٧ في «سيوداد باريوس» بالسلفادور أصوله الفقيرة، ولا كونه الطفل الثاني بين سبعة إخوة لعائلة تعاني من الفقر المدقع، وتنام على الأرض في بيت بلا كهرباء ولا صرف صحي،

لـم يتنـاس والـده «سـانتوس رومـيرو» موظـف التلغـراف المسـكين، وأمـه «جوادالـوب جولدامـيز» الـتي زرعـت فيـه مـع إخوتـه الإيمـان المسـيحي القويـم، وعلمتـه كيـف أن المسـيح كان ثائـرًا حقيقًـا عـلى الظلـم، لـم يتنـاس «أوسـكار» أن والديـه الفقيريـن لـم يتمكنـا مـن تحمـل نفقـات دراسـته بسـبب ظروفهمـا الاقتصاديـة، وكيـف عهـدوا بـه لنجـار محـلي ليعلمـه حرفـة النجـار عندمـا بلـغ الثانيـة عـشرة مـن عمـره... تلـك النشـأة القاسـية زرعـت في رومـيرو نزعـة يساريـة حقيقيـة وحـب وانتمـاء حقيقـي للفقـراء والمعوزيـن والمهمشـين.

في سـن الثالثـة عـشرة التحـق «أوسـكار» بالمعهـد اللاهوتي في «سـان ميجويـل»، ثـم معهـد اللاهـوت الوطـني في سـان سـلفادور وأنهـى دراسـاته لاحقًـا في الجامعـة الحبريـة في رومـا، حيـث نـال شـهادة الليسـانس في علـم اللاهـوت، ثـم رسـم «أوسـكار رومـيرو» قسيسًـا للكنيسـة الكاثوليكيـة في ٤ أبريـل ١٩٤٢ في مدينـة رومـا، وبـدأ عملـه الرعـوي في كنيسـة ريفيـة في السـلفادور وسـط الفقـراء والمهمشـين، وبسـبب إمكانياتـه وقدراتـه أوكلـت إليـه مهـام أكـبر، فعـين عميـدًا لمعهـد اللاهـوت في «سـان ميجويـل» وسـكرتيرًا لأبرشـية المدينـة، ثـم أسـقفا لـ«سـانتياجو دي ماريـا» ثـم تمت سـيامته رئيسًـا لأسـاقفة السـلفادور في فبرايـر ١٩٧٧.

قبـل سـيامته أسـقفا لـ«سـانتياجو دي ماريـا»، كان رومـيرو مهتمًـا بالفقـراء والمهمشـين وفقـط، لكنـه لـم يكـن قـط معارضًـا للنظـام، حـتى جـاءت فـترة توليـه منصـب الأسـقفية في «سـانتياجو»، لتغـير مـن شـخصيته تمامًـا وكليًـا، حيـث شـاهد مـن كثـب معانـاة الفقـراء الذيـن لا يملكـون أرضـا، وتزايـد عنـف الحكومـة ضـد الكهنة النشـطاء اجتماعيًـا، فقـوض ثقتـه في حسـن نيـة السـلطات، ثـم حدثـت الطامـة الكـبرى في حياتـه باغتيـال صديقـه الأب «جرانـدي روتيليـو» في ١٢ مـارس ١٩٧٧ عـلى يـد قـوات النظـام، فقـرر مواجهـة النظـام بصـدر عـار ووجـه مكشـوف، وفي الأحـد التـالي لحادثـة الاغتيـال،

أوقف «روميرو» الجماهير في كنائس العاصمة جميعها، وطالب بمعاقبة الأطراف المسؤولة.

على مدى الأشهر التالية شن «روميرو» هجومًا عنيفًا على السلطة العسكرية، معارضًا للممارسات القمعية والإعدامات والمجازر المروعة وعمليات القتل والتعذيب والاختطاف، بحق المعارضين والفقراء والعمال والفلاحين، التي كانت تنفذ في كل مكان بواسطة ميليشيات الجنرال «كارلوس» المسماة بـ«فرق الموت»، من خلال عظته الأسبوعية التي تبث عبر الراديو من خلال إذاعة «إيساكس الأسقفية»، والتي كان يجري بثها على موجات الراديو في جميع أنحاء السلفادور وأمريكا اللاتينية، وأصبحت لديه شعبية كبيرة، وتزايد أتباعه الذين كانوا يحتشدون في الكاتدرائية للاستماع إلى عظاته الثائرة التي توقد نيران الثورة في عروقهم، وفي إحدى عظاته في قداس الأحد، أطلق أوسكار دعوة للجنود لوقف العنف قائلاً إن «الجندي ليس مجبرًا على إطاعة أي أمر بالقتل»، متحديًا التهديدات العديدة بالموت التي تلقاها في الأسابيع السابقة.

كان «روميرو» يستخدم سلطته المعنوية من خلال منصبه كرئيس للأساقفة، للتحدث بالنيابة عن الفقراء والمعارضين والثوريين في دولة يعتبر حكامها المعارضين خونة ومخربين وعملاء للخارج، وأصبح «روميرو» معروفا باسم «صوت من لا صوت لهم»، وشن حملة واسعة مدافعًا عن حقوق الإنسان في السلفادور، كسب منها الكثير من المعجبين الوطنيين والدوليين، فضلا عن ترشيحه لجائزة نوبل للسلام.

لم يكتف «روميرو» بكونه مناهضًا لحكم العسكر ولسلطة الجنرال «كارلوس هومبرتو» الدامي، وإنما أنشأ مكتبًا تابعًا للكنيسة الكاثوليكية في السلفادور أطلق عليه اسم socorro juridico، وهو المكتب الذي كان مسؤولاً عن توثيق انتهاكات

حقـوق الإنسـان وتسـجيلها، وتقديـم المسـاعدة القانونيـة لأهـالي الضحايـا والدفـاع عـن حقوقهـم، وتقديـم المسـاعدة الإنسـانية والقانونيـة، والمطالبـة بتقديـم المتورطـين فيهـا للعدالـة، فضـلاً عن تقديـم المـأوى لفاريـن كثيريـن مـن جحيـم الـصراع بـين السـلطة ومعارضيهـا.

في فبرايـر ١٩٨٠، وقبـل اغتيالـه بشـهر واحـد تقريبًـا، أرسـل رومـيرو رسـالة مفتوحـة إلى الرئيـس الأمريـكي «جيمـي كارتـر» دعـا فيهـا الولايـات المتحـدة الأمريكيـة إلى وقـف المسـاعدات العسـكرية للنظـام، قائـلاً «لقـد سـئمنا الأسـلحة والرصـاص».

صبـاح يـوم ٢٤ مـارس ١٩٨٠ نهـض رومـيرو مبكـرًا وتوجـه لأداء لصـلاة القـداس، في تلـك الكنيسـة الصغـيرة التابعـة لمستشـفى السرطـان، ليصـلى بـين المـرضى الذيـن يتنظـرون المـوت بـين اللحظـة والأخـرى، لـم يـدر في خلـده وهـو يتوجـه إلى تلـك الكنيسـة أن المـوت كان ينتظـره هنـاك عـلى عتبتهـا...

أغمـض الأسـقف «رومـيرو» عينـاه كعادتـه، ورفـع وجهـه إلى السـماء وبـدأ في تـلاوة صلـوات القـداس، وفي منتصـف القـداس تقريبًـا وفجـأة، أطلـق بعـض أفـراد ميليشـيا «فـرق المـوت» النـار عليـه مـن الخلـف مـن أمـام بـاب الكنيسـة فـأردوه قتيـلاً عـلى الفـور، ظنًـا منهـم أنـه باغتيـال «رومـيرو» سـيخمد صـوت الثـورة في النفـوس، لكـن مـا حـدث في الأحـد التـالي ٣٠ مـارس كان صادمًـا وبحـق للنظـام، فبـدلاً مـن أن يرتـدع محبـو «أوسـكار رومـيرو» ممـا حـدث لأبيهـم الروحـي ويلزمـوا منازلهـم، أصروا عـلى تشـيع جثمانـه إلى مثـواه الأخـير، بحضـور كثيـف فـاق الحسـبان، فقـد حـضر مـا يقـرب مـن خمسـين ألـف شـخص لإلقـاء النظـرة الوداعيـة عـلى رئيسـهم الروحـي، وبلـغ الخـبر الجـنرال «كارلـوس هومبيرتـو» الـذي خـشي أن تنقلـب صـلاة التشـييع الـتي يشـارك فيهـا العـدد المهـول مـن أتبـاع ومحـبي «رومـيرو» إلى ثـورة ضـده، فأمـر قـوات الجيـش بإطـلاق

الرصاص الحي عشوائيًا على الحضور خلال الجنازة، ما تسبب في سقوط المئات من الضحايا.

أمام الرأي العام، تنصلت الحكومة السلفادورية من مسؤوليتها عن اغتيال رئيس الأساقفة «أوسكار روميرو»، ويا للصفاقة، حمل الجنرال «كارلوس» مسؤولية الاغتيال للثوار اليساريين كعادة كل الأنظمة العسكرية في التنصل من جرائمها، ولكن تبين بعدها أن المسؤولية الحقيقية تقع على عاتق «فرق الموت» التابعة للسلطات، والموكلة بمهام تصفية معارضي النظام، كما تم وضع المخابرات المركزية الأمريكية كذلك في دائرة الاتهام، وبالطبع لم تتم معاقبة أحد على مقتل روميرو، بسبب قانون العفو السلفادوري.

كان لاغتيال «روميرو»، ثم اغتيال المئات من محبيه يوم تشييع جنازته، دور في جر البلاد لحرب أهلية استمرت أحداثها ١٢ سنة، وراح ضحيتها أكثر من ٧٠٠٠٠ شخص، انتهت في ١٦ يناير ١٩٩٢ بتوقيع اتفاقات السلام بين الحكومة والمتمردين.

لاحقًا حثت الكنيسة الكاثوليكية في السلفادور على إعادة فتح التحقيق في قضية قتل كبير الأساقفة «أوسكار أرنولفو روميرو»، وخلصت لجنة تقصي الحقائق التي شكلتها الأمم المتحدة في التسعينات إلى أن المؤامرة لقتل «أوسكار روميرو» قد دبرها «روبرتو دوبويسون» الجنرال السابق بالجيش واتهم «دوبويسون» بإدارة «فرق موت» يمينية في السلفادور خلال الحرب الأهلية في البلاد في فترة الثمانينات، وقالت الكنيسة الكاثوليكية في السلفادور إن الحكومة مطالبة بموجب القانون الدولي بالعثور على المسؤولين عن قتل رئيس الأساقفة رغم وجود قانون العفو، وقالت «ماريا جوليا هرنانديز» من أبرشية سان سلفادور: «لا يمكن تطبيق قانون العفو على قضايا الجرائم التي ترتكب ضد الإنسانية وفي حالات انتهاكات حقوق الإنسان، وقضية قتل الأب روميرو

هـي مثـال واضـح عـلى الاسـتثناء مـن العقـاب، إنهـا جريمـة ضـد الإنسـانية»، لكـن الرئيـس السـلفادوري «أنطونيـو سـاكا» رفـض مـبررًا أنـه عـلى الرغـم مـن أسـفه للأحـداث الـتي وقعـت بسـبب الحـرب إلا أنـه جـاء للتعامـل مـع مسـتقبل السـلفادور وليـس ماضيهـا، قائـلاً «أعتقـد أن فتـح جـراح المـاضي لـن يكـون أفضـل شيء للبـلاد الـتي تتطلـع للمسـتقبل».

في الثالـث مـن فبرايـر ٢٠١٥، اعـترف البابـا «فرنسـيس» الأول بابـا الفاتيـكان باستشـهاد الأسـقف السـلفادوري «أوسـكار رومـيرو»، ويمثـل الاعـتراف بالأسـقف شـهيدًا للإيمـان، تمهيـدًا لتطويبـه ثـم إعلانـه قديسًـا بحسـب ترتيـب الكنيسـة الكاثوليكيـة.

من قال لا في وجه من قالوا نعم..
صوفيا شول

«باسم الشعب الألماني.. التهم الآتية موجهه إلى هانز فريتز شول، وصوفيا ماجدالينا شول، ووكريستوف هيرمان بروبست، من قبل محكمة الشعب العليا في ٢٢ فبراير ١٩٤٣.. قام المتهمون بتوزيع المنشورات المعارضة للنظام بغرض هدم الجيش الألماني، وإضعاف الروح الوطنية القومية لشعبنا العظيم، ونشر الأفكار المخربة لإحراج الفوهلر، وبفعلتهم تلك قد ساهموا في مساعدة أعداء هذا الوطن، وأضعفوا الروح المعنوية لقواتنا المسلحة، وبهذا فأنتم محرومون من أي حقوق لكم في هذا الوطن، لذا.. حكمت المحكمة على هانز فريتز شول، وصوفيا ماجدالينا شول وكريستوف هيرمان بروبست بالإعدام على المقصلة... وبتحمل نفقات تلك المحاكمة»...

نطقها القاضي «رولاند فرايزلر» بحدة، وهو ينظر بكل غضب الدنيا إلى المتهمين الثلاثة المكبلين بالأصفاد، ثم تعالت أصوات الحضور المؤيدة للحكم، مرددين كلمات على غرار «خونة.. عملاء.. مأجورين.. أنتم عار على هذا الوطن»، بينما تسللت ضحكة ساخرة خلسة إلى شفتي «صوفيا» التي هبت واقفة على قدميها على الرغم من السلاسل الحديدية التي تحيط بمعصميها، وهي تقول بكل ثقة للقاضي «عن قريب ستقف حيثما نقف نحن الآن... اليوم تعلقوننا على مشانقكم... غدًا سيحل دوركم وستعلقون على نفس المشانق».

لم يحتمل القاضي كلماتها، فانتفض غضبًا وارتعشت أطرافه بعصبية ونفرت العروق في جبهته وهو يصيح «أنتم إرهابيون.. خونة.. حقراء.. كلماتكم تلك ومعتقداتكم ستسبب الهلاك لجنود الجيش الألماني العظيم.. هل تعتقدون أن هذا الشعب المؤيد للفوهلر العظيم يمكن أن يصدق هرائكم؟»، أجابه «هانز» شقيق «صوفيا» بصوت عال بينما كان الجنود يسحبونه إلى الداخل «لسنا

نحـن مـن سيتسـبب في موتهـم بـل قائـدك الأعـلى هتلـر.. فقـط انظـر إلى الخريطـة... هتلـر يقـود البـلاد إلى كارثـة.. نحـن لا نمتلـك أي فرصـة أمـام تحالـف أمريـكا وبريطانيـا وروسـيا.. بحسـابات منطقيـة لا يمكـن أن نربـح الحـرب، نحـن لا نملـك إلا إطالتهـا وفقـط... فقـط بإنهـاء الحـرب الآن يمكننـا الحفـاظ عـلى الأرواح.. ألمانيـا تـنزف وبشـدة.. نحـن لا نريـد إلا السـلام.. تلـك المذابـح الـتي ترتكـب حولنـا يحمـل وزرهـا هتلـر ومؤيـدوه.. أنتـم جميعًـا تعرفـون ذلـك، لكنكـم لا تملكـون الشـجاعة الـتي نمتلكهـا كي تعترفـوا بذلـك...».

نهايـة الأخويـن «شـول» لـم تبـدأ في هـذا اليـوم العصيـب، بـل بـدأت قبـل ذلـك بعـدة سـنوات، بـدأت يـوم أن قـرر الأخـوان شـول الانضمـام إلى حركـة الـوردة البيضـاء Weiße Rose...

مـن يسـمع عـن بدايـة الأخويـن «شـول»، لا يمكـن أن يصـدق أنهمـا نفـس الأخويـن اللذيـن تـم إعدامهمـا لاحقًـا بتهمـة معارضـة النظـام...

ولـدت «صوفيـا» والـتي تعـرف اختصـارًا باسـم «صـوفي» في ٩ مـارس ١٩٢١ لعائلـة بروتسـتانتية متدينـة، كان والدهـا «روبـرت» عمدة مدينـة «فورتشـنبرج»، وصـوفي هـي الابنـة الرابعـة بـين سـتة إخـوة وأخـوات، أحدهـم هـو «هانـز شـول» الـذي يكبرهـا بثلاثـة أعـوام، المولـود في ٢٢ سـبتمبر ١٩١٨، وهـو الـذي قبـض عليـه وأعـدم معهـا، وقـد حـاول أبواهمـا تربيتهمـا عـلى التفكـير المسـيحي الحقيقـي وعلى التسـامح، بيـد أن «هانـز» و«صـوفي» كانـا في البدايـة معجبـين بالفكـر النـازي بشـدة، وسرعـان مـا بـرز نجـم «هانـز» في منظمـة الشـباب النازيـين، والـتي كانـت تحمـل اسـم «شـبيبة هتلـر»، حيـث كان يقـود ١٦٠ شـابًا عضـوًا في المنظمـة حـتى عـام ١٩٣٧، وكذلـك شـقيقته «صـوفي» الـتي كانـت عضـوة بـارزة في «عصبـة الفتيـات الألمانيـات» وتمكنـت مـن تـولي مركـز قيـادي فيهـا، نظـرًا لأنهـا كانـت متعصبـة وبشـدة للفكـر النـازي.

أتى التحول الفكري لـ«هانز شول» في صيف ١٩٤٢ عندما اضطر مع أصدقائه «كريستوف بروبست» و«ألكسندر شموريل» و«فيلي جراف»، أن يسافروا في أثناء عطلة الصيف للخدمة الإلزامية لمدة ٣ أشهر على الجبهة الروسية لمداواة الجرحى، حيث كان الرباعي يدرس الطب في جامعة ميونخ، هناك على الجبهة عايش «هانز» عن كثب وحشية النازيين خلال الحرب العالمية الثانية، وتأثر بويلات الحرب، وشاهد بعيناه العذاب والمهانة التي يلاقيها اليهود في معسكرات الاعتقال (الجيتوهات)، وسرعان ما تلاشى هذا الحماس لدى «هانز» للنازيين ولهتلر، ليحل محله الكفاح والنضال ضد الفكر النازي المتطرف، وفي جامعة ميونيخ وعقب عودتهم إلى ألمانيا في نوفمبر ١٩٤٢ من الجبهة الشرقية، كون «هانز شول» وأصدقائه الثلاثة حركة المقامة السلمية المعروفة باسم «الوردة البيضاء Weiße Rose»، بغرض مقاومة الاشتراكية القومية في ألمانيا النازية، وسرعان ما انضم للحركة العديد من طلاب الجامعة المعارضين، إضافة إلى أستاذ الفلسفة البروفيسور «كورت هوبر»، ثم التحقت بهم «صوفي» التي قدمت إلى ميونخ لدراسة الفلسفة والبيولوجيا، حاول «هانز» في البداية إبقاء أخته خارج أنشطة الحركة لحمايتها، غير أنها بمجرد اكتشافها نشاطهم انضمت إليهم، ومثلت قيمة هامة لهم لكونها الفتاة الوحيدة بينهم، فكان احتمال توقيفها عشوائيًا من قبل عناصر البوليس السري الألماني أقل، ما منحها حرية أكبر في الحركة ونقل وتوزيع المنشورات، واشتق «هانز» اسم الحركة من قصيدة من القرن التاسع عشر بنفس الاسم للشاعر الألماني «كليمنس برينتانو»، حيث إن رمز الوردة البيضاء يمثل النقاء والبراءة في وجه الشر.

بدأت الحركة نشاطها بحملة الكتابة على الجدران، ثم تطورت إلى طبع المنشورات المناوئة للنظام وتوزيعها باستخدام آلة نسخ ورق يدوية، وكان أول منشور للجماعة هي خطبة كان

«شـول» قـد قرأهـا سـابقًا للأسـقف الكاثوليـكي «كليمـنز أوجسـت جـراف»، والـتي نـدد فيها بوحشـية النظـام، وشـجب سياسـة القتـل الرحيـم الـتي تمـارس في معسـكرات الاعتقـال النازيـة بحجـة الحفـاظ عـلى نقـاء الجنـس الآري، وحصلـت صوفيـا عـلى الموافقـة مـن قبـل قيـادات الحركـة لطباعـة خطبـة الأسـقف «أوجسـت» كأول منشـور رسـمي لحركـة الـوردة البيضـاء، قـال المنشـور «أليـس صحيحـا أن كل ألمـاني صـادق مـع نفسـه لا بـد أن يخجـل ممـا تفعلـه حكومتـه في تلـك الأيـام؟ مـن منـا لديـه أي تصـور لأبعـاد العـار الـذي سـيلحق بنـا وبأطفالنـا عندمـا يـأتي اليـوم وتسـقط الغمامـة مـن أعيننـا، بينمـا أفظـع الجرائـم ترتكـب مـن حولنـا؟».

مـا بـين نوفمـبر ١٩٤٢ وفبرايـر ١٩٤٣ قام أعضـاء الحركـة بكتابة ونشر وتوزيـع خمـس منشـورات، دعـوا فيهـا الشـعب الألمـاني لمواجهـة الاضطهـاد والطغيـان، وزاد نشـاطهم بشـكل ملحـوظ، حـتى إنهـم قامـوا بطباعـة أكـثر مـن ٩٠٠٠ نسـخة مـن منشـورهم الخامـس فقـط، بعنـوان «نـداء إلى الشـعب الألمـاني»، والـذي حـذرت فيـه الحركـة مـن أن هتلـر يقـود ألمانيـا إلى الهاويـة، وتـم إرسـال المنشـور بالبريـد إلى العديـد مـن العناويـن في مـدن مختلفـة في شـتوتجارت، كولونيـا، فيينـا، فريبـورج، كيمنتـس، هامبـورج، إنسـبروك، برلـين، وحـث المنشـور الشـعب عـلى المقاومـة ورفـض سياسـات هتلـر الدمويـة، والنضـال مـن أجـل حريـة التعبـير، وحمايـة المواطـن مـن ممارسـات دولـة الديكتاتـور القمعيـة والتعسـفية، وسـببت المنشـورات ضجـة كبـيرة وصـداع للنظـام، وبـدأ الجسـتابو في عمليـات بحـث مكثفـة عـن المسـؤولين عـن تلـك المنشـورات، وظهـرت شـعارات «الحريـة» و«يسـقط يسـقط حكـم هتلـر» مرسـومة بطريقـة الجرافيـتي بواسـطة القطـران عـلى جـدران جامعـة ميونـخ، وعـلى جـدران مكتـب رئاسـة الـوزراء التابـع لولايـة بافاريـا، وغيرهـا مـن المبـاني في ميونيخ بواسـطة الثـلاثي «كريسـتوف بروبسـت»، «ألكسـندر شـموريل» و«فيـلي

جـراف»، ثـم وجـدت رسـومات وعبـارات مشـابهة مناهضـة لحكـم هتلـر، عـلى جـدران مبـان أخـرى في المنطقـة المحيطـة قـام بهـا آخـرون مـن خـارج الحركـة ممـن تأثـروا بنشـاطها، ثـم جـاءت هزائـم الجيـش الألمـاني الأخـير في سـتالينجراد في فبرايـر ١٩٤٣ والـتي تضاعـف معهـا عنـف الجيـش ووحشـيته تجـاه معارضيـه ومنتقديـه، سـببًا لحـث الحركـة عـلى كتابـة منشـورهم السـادس في ١٥ فبرايـر، والـذي كتبـه البروفيسـور «كـورت هوبـر» أسـتاذ الفلسـفة، والـذي قـال فيـه «إخـواني وزمـلائي الطلبـة... يـسرني أن أبشركـم أن يـوم الحسـاب قـد اقـترب وحـان لهـذا الطاغـي الـذي احتقـر شـعبنا أكـثر مـن أي وقـت مـضى، دم قتلانـا في سـتالينجارد يطلـب منكـم القصـاص».

في ١٨ فبرايـر ١٩٤٣، وفي نفـس اليـوم الـذي ألقـى فيـه وزيـر الدعايـة النـازي «جوزيـف جوبلـز» خطابـه إلى الشـعب الألمـاني، مطالبًـا إيـاه بـأن يتحمـل ويـلات الحـرب والكسـاد والتضيـق الأمـني أمـلاً في الاسـتقرار القـادم، كان الأخـوان «هانـز» و«صوفيـا شـول» يحمـلان حقيبـة يدويـة ممتلئـة بالمنشـور السـادس إلى سـاحة الجامعـة، وقامـا بتوزيـع كميـات مـن المنشـور الأخـير عـلى أرض سـاحة الجامعـة، الـتي كانـت فارغـة في تلـك اللحظـة مـن أي شـخص، حـتى يجدهـا الطـلاب عندمـا ينتهـون مـن محاضراتهـم، وبالفعـل أتمـا العمـل المطلـوب وهرعـا إلى الرحيـل، لكـن صوفيـا تذكـرت أن هنـاك كميـة مـن المنشـورات لا تـزال في الحقيبـة، وقـررت أنـه سـيكون مـن المؤسـف عـدم توزيعهـا، فعـاد الثنـائي إلى سـاحة الجامعـة مـرة أخـرى، وصعـدا إلى الطابـق العلـوي، وقبـل أن تـترك «صوفيـا» المنشـورات المتبقيـة عـلى الأرض كعادتهـا، دق الجـرس في تلـك اللحظـة معلنًـا انتهـاء المحـاضرات، لـم تفكـر «صوفيـا» للحظـة بـل أخذتهـا الحماسـة، فألقـت بمـا تبقـى مـن منشـورات علانيـة في الهـواء، لتسـقط عـلى أرض سـاحة الجامعـة الممتلئـة بالطلبـة، ولسـوء حظهـا شـاهدها الحـارس «جاكـوب شـميد» أحـد المواطنـين

الشرفاء، الذين كانت ألمانيا تعج بهم في تلك الأيام، وهي تلقي بالأوراق.

هبطت «صوفيا» بصحبة «هانز» مسرعين، ظنا أن أحدًا لم يلاحظ ما فعلاه سعيدين بإنجازهما، وقبل أن يخطوا درجة السلم الأخيرة، كان «جاكوب» قد لحقهما، وأمسك بهما على مرأى ومسمع من الجميع، ثم اتصل بالجستابو الذي قبض عليهم، واقتادهم إلى مقر الجستابو، حيث تولى التحقيق معهم المحقق «روبرت مور»، والذي ظن في البداية أن «صوفيا» بريئة من تلك الفعلة، خصوصًا أن «هانز» اعترف بالمسؤولية منفردًا رغبة في تنحية أخته من التهمة، لكنها ورغبة منها في مشاركة أخيها المسؤولية وحماية باقي أعضاء الحركة، اعترفت بمشاركته توزيع المنشورات، ثم نفى الأخوان بشدة وجود أي متعاونين آخرين معهما، وعندما تم تفتيشهما، وجد المنشور السابع بحوزة «هانز شول» الذي قام بروفيسور «هوبر» بكتابته، وصاغه «كريستوف بروبست» بخط يده، حاول «هانز» التخلص من المنشور الأخير بتقطيعه إربًا وحشوه في فمه، محاولاً إنقاذ «بروبست»، لكن بواقي المنشور التي لم يستطع «هانز» ابتلاعها، والتي تساقطت منه على الأرض كانت كافية كي يتعرف الجستابو على خط «كريستوف» عندما تم تفتيش شقة «هانز» في نفس يوم القبض عليهما، فتم القبض على «كريستوف بروبست»، وتم تقديم الثلاثي «صوفيا» و«هانز» و«بروبست» إلى محكمة الشعب بعد القبض عليهم بأربعة أيام فقط في ٢٢ فبراير ١٩٤٣، والتي حكمت عليهم بالإعدام بواسطة المقصلة، ونفذ الحكم فيهم في نفس اليوم، على الرغم من أن القانون في ذلك الوقت كان يعطي للمحكوم عليهم بالإعدام فترة ٩٩ يومًا قبل تنفيذ الحكم، لكن القاضي أمر أن يتم تنفيذ الحكم بحقهم في نفس اليوم في الخامسة عصرًا في سجن «شتاديلهايم Stadelheim»،

وقد أشار الجميع إلى الشجاعة البالغة التي أبداها الثلاثي لحظة مواجهتهم الموت، خصوصًا «صوفيا»، بينما صرخ هانز «المجد للحرية Long Live Freedom» قبل أن يقطف نصل المقصلة رقبته.

في ١٩ أبريل من نفس العام ١٩٤٣ جرت المحاكمة الثانية لأحد عشر عضوًا آخرين من الحركة، منهم البروفيسور «كورت هوبر» و«ألكسندر شموريل» وتم الحكم بإعدامهم جميعًا، وتم تنفيذ الحكم فيهم في ١٣ يوليو ١٩٤٣، وقتها اعتقد هؤلاء المحكوم عليهم بالإعدام، أن إعدامهم يمكن أن يكون سببًا في انتفاضة طلاب الجامعات والمواطنين ضد حكم هتلر، الجدير بالذكر أن القاضي «رولاند فرايزلر» الذي تولى محاكمة الأحد عشر عضوًا، والذي حكم في السابق بإعدام «صوفيا» ورفيقيها، لم يكن يريد أن يقال عنه إنه قاضي الإعدامات وما شابه، وحتى لا يقال إن المحكمة مسيسة وغير نزيهة، ولذلك فقط، أجل محاكمة أربعة أعضاء آخرين من الحركة، كان يزمع أن يرسلهم إلى المقصلة لليوم التالي ٢٠ أبريل، لكن لسبب ما فقدت جميع الأدلة والأحراز الخاصة بالقضية، فتم تأجيل القضية إلى جلسة ١٣ يوليو من نفس العام، ولحسن حظهم تولى تلك الجلسة قاض آخر غير «رولاند فرايزلر»، فأعطى ثلاثة منهم أحكامًا بالبراءة، أما المتهم الرابع «سونجن» فقد حكم عليه بالسجن لمدة ستة أشهر لعدم كفاية الأدلة.

لاحقًا تسلمت أرملة البروفيسور «هوبر» فاتورة «استعمال المقصلة» بمبلغ ٦٠٠ مارك ألماني (وهو ضعف راتب زوجها الشهري)، وقام باقي أعضاء الحركة بجمع مبلغ «فاتورة المقصلة» ونفقات المعيشة لأرملتي «هوبر» و«كريستوف بروبست»، ثم أكملا طريق الكفاح واستمرا في طبع وتوزيع المنشورات، ولاحقًا تم القبض على جميع أعضاء الحركة، وصدر بحقهم أحكام

بالسجن من ستة أشهر إلى عشر سنوات، أما منشور الوردة البيضاء السابع والأخير فتم تهريبه خارج ألمانيا إلى قوات الحلفاء، الذين قاموا بطباعته ملايين النسخ وتم إلقاؤه بواسطة طيارات الحلفاء فوق ألمانيا، ولم يمر عامان على إعدام الأخوين «شول»، قبل أن يحدث ما تنبأ به «هانز» في محاكمته، وانهزمت ألمانيا وانتحر هتلر في مخبئه، وبعد انتهاء الحرب أصبح أعضاء حركة الوردة البيضاء وخاصة «صوفيا» أيقونة الكفاح والنضال والحرية في ألمانيا، وقد وضع نصب تذكاري تخليدًا لـ«الوردة البيضاء» أمام جامعة «لودفيج ماكسيميليان» في ميونخ.

في عام ١٩٨٧ في ميونخ أسس «فرانتس مولر» أحد أعضاء حركة «الوردة البيضاء»، الذين لا يزالون على قيد الحياة، مؤسسة «الوردة البيضاء» كمنظمة غير ربحية، بهدف إبقاء ذكرى الأخوين «شول» وأصدقائهما قائمة مدى الدهر، حتى يستخلص منها الناس العبر وخاصة الشباب منهم، وفي ٥ فبراير ٢٠١٢ اعترفت الكنيسة الأرثوذكسية في ألمانيا بـ«ألكسندر شموريل» شهيدًا في الكنيسة، وسميت القاعة الرئيسية في جامعة ميونخ باسم قاعة الأخوين «شول»، وتمت تسمية العديد من المدارس والشوارع في جميع أنحاء ألمانيا بأسماء أعضاء الوردة البيضاء، وأطلق اسم الأخوين «شول» على واحدة من أبرز الجوائز الأدبية في ألمانيا، وأطلق اسم الوردة البيضاء على أحد الكويكبات في الفضاء.

من قال لا في وجه من قالوا نعم ..
محمد مصدق

في الشهر السادس من العام ١٨٨٢ ولد «محمد ميرزا هداية الله خان بختياري» الذي كاد يغير وجه تاريخ بلاد فارس إلى غير رجعة...

ولد الطفل محمد لعائلة مرموقة، فوالدته «شاهزادي مليكة تاج خانوم» هي حفيدة «فتح علي شاه»، شاه بلاد فارس وثاني سلاطين السلالة القاجارية، وعندما تولى عمه منصب جابي الضرائب لمحافظة خراسان، استحق لقب «مصدق» السلطاني، وبالتالي حصل محمد على نفس اللقب الذي لقب به عمه، واستمر معروفا به حتى بعد إلغاء الألقاب لفترة طويلة، ونال مصدق درجة البكالوريوس في الفنون، ثم الماجستير في القانون الدولي من معهد الدراسات السياسية بباريس، قبل أن ينال الدكتوراه في القانون الدولي من جامعة نيوشاتيل في سويسرا، وبدأ مصدق حياته السياسية مع الثورة الدستورية ١٩٠٥-١٩٠٧، فقد انتخب عام ١٩٠٦ نائبًا عن أصفهان في البرلمان الجديد الذي سمي «مجلس إيران» وهو في سن الرابعة والعشرين، وفي عام ١٩١٩ رحل إلى سويسرا احتجاجا على معاهدة «أنجلو فارسية»، إلا أنه عاد في العام التالي بعد استلامه دعوة من رئيس وزراء إيران الجديد «حسن بيرنيا» كي يصبح وزيرا للعدل، ثم عين وزيرا للمالية في حكومة أحمد قوام عام ١٩٢١، فوزيرا للخارجية في حكومة مشير الدولة في يونيو ١٩٢٣، بعدها في نفس السنة صار حاكمًا لمقاطعة أذربيجان، ثم أعيد انتخابه في المجلس في ١٩٢٣.

في عام ١٩٢٥ اقترح أنصار رئيس الوزراء «رضا بهلوي» في المجلس، إصدار تشريع يحل به حكم سلالة آل قاجار وتعيين رضا بهلوي شاهًا جديدًا لإيران، إلا أن مصدق صوّت ضد تلك الخطوة معتبرا أن هذا الفعل هو انقلاب على الدستور الإيراني، مظهرًا ميوله المعادية للعسكر والعسكرة، وألقى كلمة

في المجلس مشيدا بإنجازات رضا بهلوي كرجل دولة، وشجعه على احترام الدستور، باعتباره رئيسا للوزراء، إلا أنه في ١٢ ديسمبر ١٩٢٥ خلع المجلس الملك الشاب أحمد شاه قاجار، ثم أعلن رضا شاه عاهلا جديدا لبلاد فارس، وأول ملوك الأسرة البهلوية.

في العام ١٩٤١ ونتيجة لميوله ناحية النازية وخوفًا من إمداد هتلر بالنفط الإيراني، أجبر البريطانيون رضا شاه بهلوي على التنحي عن العرش لابنه الشاب محمد رضا بهلوي، وفي سنة ١٩٤٤ أعيد انتخاب مصدق مرة أخرى للبرلمان، وأسس حزب «الجبهة الوطنية» الملقبة بـ«جبهة ملي إيران»، مع تسعة عشر عضوا آخرين، منهم الدكتور «حسين فاطمي» و«أحمد زراك زاده» و«علي شاكان» و«كريم سنجابي»، وتولى قيادته. كان الحزب يهدف إلى إرساء الديمقراطية وإنهاء الوجود الأجنبي في السياسة الإيرانية، وتأميم النفط الإيراني المتمثل في شركة النفط الأنجلو-إيرانية AIOC، بسبب تنامى الوعي الشعبي.

الذي جعل من تأميم النفط هدفًا لشريحة واسعة من الشعب الإيراني، فقد كانت شركة النفط الأنجلو- إيرانية تقوم باستخراج البترول لتصديره إلى بريطانيا، وترفض تقديم ٥٠٪ أرباحا للصفقة، كما تفعل شركة أرامكو في السعودية، فقاد ممثلو حزب «الجبهة الوطنية» حملة ضخمة في البرلمان للموافقة على مشروع التأميم الشامل للنفط، وصار التأميم قاب قوسين أو أدنى، لكن في ٣ مارس ١٩٥١ مثل الجنرال «حاجي علي رزمارا» رئيس الوزراء أمام المجلس في محاولة لإقناع النواب ضد قرار التأميم الكامل على أساس أن «إيران لا يمكن تجاوز التزاماتها الدولية، بسبب قلة قدرتها على تشغيل صناعة النفط من تلقاء نفسها»، إلا أنه اغتيل بعدها بأربعة أيام في أثناء صلاته في المسجد على يد «خليل طهماسبي» عضو جماعة «فدائيان إسلام» المتشددة، وبعد فشل مفاوضات رفع سقف الحقوق

النفطية التي تمت في ١٥ و٢٠ مارس ١٩٥١، صوت كلا من مجلس الشورى الوطني ومجلس شيوخ الإمبراطورية الإيرانية بتأميم شركة AIOC المملوكة لبريطانيا، لكن دون تحديد موعد محدد لتنفيذ القرار، وفي أوائل أبريل ١٩٥١ نظم حزب «توده» اليساري الإيراني إضرابات وأعمال شغب في أنحاء البلاد احتجاجا على التأخير في تأميم صناعة النفط، إضافة إلى انخفاض الأجور وسوء ظروف السكن لعمال النفط.

ونتيجة لارتفاع شعبيته، انتخب مجلس شيوخ الإمبراطورية الإيرانية في ٢٨ أبريل ١٩٥١ محمد مصدق رئيسًا للوزراء بأغلبية ٧٩ صوتا مقابل ١٢ فقط من الرافضين، واضطر الشاه الشاب محمد رضا لتعيينه في هذا المنصب، بعد ارتفاع شعبيته وقوته السياسية، جاء مصدق إلى الحكومة الإيرانية قائدًا لثورة مدنية حقيقية، ولم يكن مدبرًا لانقلاب يضع النياشين والرتب والأوسمة على بزته العسكرية، كان الوحيد تقريبا في إيران الذي يحظى باحترام من جميع الأطياف السياسية، اليمينية واليسارية، وظهرت صورته على غلاف مجلة التايم الأمريكية عام ١٩٥١ كشخصية العام بعد منافسة مع دوايت أيزنهاور.

وفور استلامه المنصب، أدخل مصدق وإدارته الجديدة مجموعة واسعة من الإصلاحات الاجتماعية، فقد بدأ توزيع بدلات بطالة، وأمر أصحاب المصانع بدفع مساعدات للعمال المرضى والمصابين، وتحرير الفلاحة والسخرة في المزارع، ووضع ٢٠٪ من أموال إيجارات الأراضي لتمويل مشروعات التنمية، مثل بناء حمامات عامة وإسكان الريف ومكافحة الأمراض، وفي ١ مايو أي بعد يومين من استلامه السلطة قام مصدق بتأميم النفط الإيراني، وألغى الامتياز الممنوح لشركة النفط الإيراني البريطاني الذي ينتهي سنة ١٩٩٣ وقام بمصادرة أصولها، وقد شرح مصدق سياسة التأميم في خطابه الشهير في ٢١ مايو ١٩٥١، والذي قال

فيه «عندما نقضي على قوة تلك الشركة البريطانية، فإننا نقضي على الفساد والتآمر التي تأثرت بسببها شؤون بلدنا الداخلية، فعندما نوقف تلك الوصاية نهائيا فإن إيران تكون قد حققت استقلالها الاقتصادي والسياسي»، وفي الانتخابات التالية في فبراير ١٩٥٢ ونتيجة لشعبيته الهائلة، حصد حزبه على ٣٠ مقعدًا من أصل ٧٩ مقعدًا، واستحق رئاسة الحكومة للمرة الثانية، لكن في أثناء الموافقة الملكية على وزارة مصدق بتاريخ ١٦ يوليو ١٩٥٢، أصر مصدق على حقه الدستوري كرئيس للوزراء في تسمية وزير الحربية ورئيس الأركان، وهو أمر كان الشاه يحتفظ به لنفسه حتى ذلك الوقت، فرفض الشاه ذلك، ما دفع مصدق للاستقالة وتوجه إلى الشعب قائلاً إن «الصراع الذي بدأه الشعب الإيراني لم يمكن تتويجه بالنصر»، فعين الشاه السياسي المخضرم أحمد قوام لمنصب رئيس الوزراء بدلاً من مصدق، وأعلن قوام يوم تعيينه، عزمه على استئناف المفاوضات مع البريطانيين لإنهاء النزاع النفطي على عكس سياسة مصدق، فردت عليه الجبهة الوطنية مع مختلف الجماعات والأحزاب الوطنية والإسلامية والاشتراكية بمظاهرات حاشدة واحتجاجات وإضرابات مؤيدة لمصدق، واندلعت الاحتجاجات الكبرى في مدن إيران الرئيسية، وأغلق سوق البازار في طهران، وقتل من جراء المظاهرات أكثر من ٢٥٠ في طهران وهمدان والأهواز وأصفهان وكرمنشاه، وتعرض الكثيرون لإصابات خطيرة، وبعد خمسة أيام من المظاهرات الحاشدة، أمر القادة العسكريين جنودهم أن يعودوا إلى ثكناتهم خشية من تغيير ولائهم وخوفا من سقوط طهران في أيدي المحتجين، ما أجبر الشاه أن يعزل «قوام» ويعيد تعيين مصدق، مع منحه كامل الصلاحيات بالسيطرة على الجيش، وهو ما كان قد طالب به مسبقا، واضطر البرلمان إلى منح مصدق سلطات الطوارئ بعد بروز شعبيته الجارفة في

الشارع، وقام مصدق عن طريق سلطة قانون الطوارئ بتعزيز مؤسسات الدولة السياسية، وتقليص صلاحيات الأسرة المالكة، فقطع ميزانية الشاه الشخصية ومنعه من التواصل المباشر مع الدبلوماسيين الأجانب، وطرد أخته التوأم أشرف پهلوى، ونقل إلى الدولة أراضي العائلة المالكة، ما أثار حفيظة الشاه ضده وتحول الأمر إلى عداوة شخصية، وفي يناير ١٩٥٣ نجح مصدق بالضغط على البرلمان في تمديد قانون الطوارئ لمدة ١٢ شهرا آخر، وتمكن بواسطة هذا القانون من إصدار مرسوم قانون الإصلاح الزراعي، الذي أنشأ المجالس القروية وزيادة حصة الفلاحين من الإنتاج، فأضعف بذلك قوة الطبقة الأرستقراطية وألغى نظام الزراعة الإقطاعية السارية في إيران منذ قرون، واستعاض بها نظام الزراعة الجماعية وملكية الأراضي الحكومية، ما أثار حفيظة الإقطاعيين والأثرياء والمستنفعين من نظام الشاه، ونتيجة لازدياد الضغوط، بدأ ائتلاف مصدق السياسي بالتفكك، وازداد أعداؤه، وانسحب عدد من حلفائه وانقلبوا ضده، من بينهم «مظفر بقائي» رئيس حزب العمال الكادحين، و«محمود أبي القاسم كاشاني» عضو الجبهة الوطنية، لكن الطامة الكبرى كانت في فتوى رجال الدين الإيرانيين بأن «مصدق معاد للإسلام والشريعة» بسبب تحالفه مع كتل اليسار والليبراليين.

في شهر ديسمبر ١٩٥٢ كان الكيل قد فاض ببريطانيا من مصدق وسياسته، فاقترح مسؤولون في المخابرات البريطانية MI٦ على المخابرات الأمريكية CIA خلع مصدق، وأشار رئيس وزراء بريطانيا ونستون تشرشل، لإدارة أيزنهاور الجديدة، إلى أن استمرار مصدق في السلطة قد يؤدي بإيران إلى أن «تتجه بسرعة نحو فلك الشيوعية والسوفييت»، وفي مارس ١٩٥٣ بدأ وزير الخارجية الأمريكي «جون فوستر دالاس» بتوجيه الأوامر لوكالة الاستخبارات المركزية CIA التي يرأسها شقيقه الأصغر «ألان دالاس» بالتخطيط

للإطاحة بمصدق، وفي ٤ أبريل ١٩٥٣ صدق «ألان دالاس» على اعتماد مليون دولار لاستخدامه «في إسقاط مصدق بأي شكل من الأشكال»، ولقبت المهمة باسم «العملية أجاكس Operation Ajax» وتتلخص تلك المؤامرة في إقناع الشاه كي يصدر مرسوم بإقالة مصدق، ولكن الشاه بدا مرعوبا من القيام بمثل تلك الخطوة الخطيرة التي قد لا تحظى بشعبية بل ومشكوك فيها قانونيا، وبداية من أغسطس ١٩٥٣ احتدم الصراع بين الشاه ومصدق، وتدهور الوضع السياسي تدهورا لم يعرف من قبل، ولما وجد الشاه أن استمرار مصدق في منصبه سيكون بمثابة تهديد مباشر لعرش الطاووس، وافق الشاه في النهاية على الإطاحة بمصدق، وأصدر قرارًا رسميًا بعزله، لكن رئيس الوزراء المنتخب رفض ذلك الأمر رسميًا في مرسوم مكتوب، فاستشعر الشاه بفداحة الخطأ الذي اقترفه، وشعر بتهديد على حياته، فالتجأ الشاه إلى بغداد يوم ١٦ أغسطس ١٩٥٣ بصحبته زوجته الملكة ثريا ومرافقه الخاص بطائرته الخاصة، واستقبل بحفاوة على الرغم من استنكار حكومة مصدق، ثم توجه بعدها إلى إيطاليا، وقبل أن يغادر بغداد وقع قرارين، الأول بعزل مصدق والثاني بتعين الجنرال «فضل الله زاهدي» محله، فقام زاهدي في ١٩ أغسطس ١٩٥٣ بقصف منزل مصدق وسط مدينة طهران، في نفس الوقت قام «كرميت روزفلت» ضابط الـCIA والقائد الفعلي للانقلاب مع «دونالد ويلبر» مهندس وكالة المخابرات المركزية، بإخراج تظاهرات مدفوعة معادية لمصدق في وسائل الإعلام الإيرانية والدولية، وأطلق احتجاجات مدبرة واسعة النطاق تعمدت إطلاق الهتافات الرخيصة التي تحط من هيبة مصدق.

ولإضفاء الشرعية على الانقلاب، وتصوير الاحتجاجات الشعبية وكأنها عفوية، دفع زاهدي ببعض رجال الفتوة والبلطجية لإثارة الشغب، وكان على رأسهم «شعبان جعفري» قواد النساء

وبطل رياضة «الزورخانة» التقليدية في إيران (لعبة شعبية تشبه المصارعة)، والذي يُطلِق عليه الإيرانيون «شعبان المجنون»، وحدثت اشتباكات عنف في الشوارع بين مؤيدي الشاه ومؤيدي مصدق، خلفت ما يقرب من ٣٠٠ قتيل، وفي ١٩ أغسطس ١٩٥٣ الموافق ٢٨ من شهر مرداد الفارسي، وكمحاولة لكسب اليد العليا، انضم الجيش للأحداث وانتشرت الدبابات بالعاصمة وقصفت مقر الإقامة الرسمي لرئيس الوزراء، وتمكن مصدق من الفرار، وأطلق الجيش الغوغائيين على المنزل فنهبوه، وفي اليوم التالي استسلم الدكتور محمد مصدق إلى الجنرال زاهدي، واعتقل في نادي الضباط ثم نقل إلى سجن عسكري تمهيدًا لمحاكمته، وفي ٢٢ أغسطس عاد الشاه من روما، وسرعان ما وصلت حكومة زاهدي الجديدة إلى اتفاق جديد مع شركات النفط الأجنبية، واستعادة تدفق النفط الإيراني إلى الأسواق العالمية بكميات كبيرة، مع إعطاء الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى حصة الأسد من النفط الإيراني، وقد دعم رجال الدين الشيعة الانقلاب على مصدق، وبرروا ذلك بدافع خوفهم من الفوضى واستيلاء الشيوعيين والليبراليين والعلمانيين على الحكم في البلاد، وبعد نجاح الانقلاب على مصدق، كان رفيقه السابق «محمود آية الله أبي القاسم كاشاني»، ثاني الخطباء في الراديو الإيراني لتأييد ومباركة الانقلاب.

وفي ٢١ سبتمبر عام ١٩٥٣، حوكم مصدق أمام محكمة صورية، وقال محاميه «جليل بزرگمهر» إنها لم تكن تتمتع بالحد الأدنى من شروط الحيادية، وحَكَمَ نظام الشاه على الدكتور مصدق بالإعدام، ثم خفف الحكم لاحقًا بعد طلب من النيابة العامة، وخوفًا من رد فعل أتباعه، إلى السجن ثلاث سنوات في الحبس الانفرادي، وشكلت محكمة عسكرية من قبل الشاه لمحاكمة العديد من حلفاء ومؤيدي مصدق السابقين، والتي أصدرت

أحكامها بالسجن والإعدام على معظمهم، ومنهم وزير الشؤون الخارجية السابق ونائب مصدق «حسين فاطمي» وتم تنفيذ الحكم فيه رميا بالرصاص في ٢٩ أكتوبر ١٩٥٣، وقال مصدق ردا على هذه الأحكام «إن حكم هذه المحكمة قد زاد أمجاد بلدي التاريخية، وأنا ممتن للغاية لإدانتها لي.. الليلة ستعرف الأمة الإيرانية معنى الدستورية»، وأبقي مصدق تحت الإقامة الجبرية في مقر إقامته في «أحمد آباد» في شمالي إيران، حتى وفاته في ٥ مارس ١٩٦٧، أما الجنرال فضل الله زاهدي، فقد أصبح سفيرا في الأمم المتحدة بعد أن ترك منصبه، وأما القواد ورجل الفتوة «شعبان جعفري» فقد صار بطلاً في نظر مؤيدي نظام الشاه، باعتباره أحد القادة الذين شاركوا في اشتباكات الشوارع، وبعد اندلاع الثورة الإيرانية، ادَّعى شعبان جعفري أنَّه كان في السجن خلال الفترة التي اندلعت فيها أحداث الانقلاب، وأنه لم يتمكن من المشاركة فيه، وتمكن من الهرب إلى الولايات المتحدة لأنه كان من بين المطلوبين من قبل الحكومة الثورية الجديدة، لكونه أحد مساعدي نظام الشاه وتوفي في سانتا مونيكا عام ٢٠٠٦، وفي العام ٢٠١٣ اعترفت المخابرات الأمريكية رسميًا بتدبير خطة الانقلاب على مصدق.

سيناريو فيلم سياسي
الجزء الأول

*هـذا السـيناريو سـاخر، هـزلي، يصنـف ككوميديـا سـوداء، غـير حقيقـي، وغـير موضوعـي، غـير محايـد، والأحـداث الـواردة بـه خياليـة، ولا تمـت للواقـع بصلـة، وأي تشـابه بينـه وبـين الواقـع فهـو أغـرب مـن الخيـال.

مشهد -١-

الزمان: بداية خمسينات القرن العشرين

المكان: الولايات المتحدة الأمريكية

في بداية خمسينات القرن العشرين كانت أمريكا العظمى على موعد مع مكارثي...

«جوزيف ريموند مكارثي» سياسي أمريكي مغمور تابع للحزب الجمهوري الأمريكي، حصل على شهادة المحاماة من جامعة «ماركويت» عام ١٩٣٥، وتم انتخابه قاضيا في محكمة الاستئناف عام ١٩٣٩ ليصبح أصغر قاض يتم انتخابه بالولاية، قادت الظروف مكارثي المغمور ذا الإمكانيات المتواضعة إلى أن يصبح سيناتور بالكونجرس الأمريكي عن ولاية «ويسكنسن» عام ١٩٤٧، إلا أن هذا المغمور قرر أن يصنع لنفسه شعبية «بالعافية»، وأسطورة تجعله من المشاهير الذين يشار إليهم بالبنان.

في هذا الوقت كانت أمريكا في بدايات حربها الباردة مع الاتحاد السوفييتي، وحالة الصراع والتوتر والتنافس والندية بين القوتين العظميين على أشدها، فاستغل هذا المكارثي الأفاق تلك الظروف التي تمر بها البلاد، واختلق حالة ذعر زائفة وهمية من شبح الشيوعية، وأوهم الشعب الأمريكي أن نهاية أمريكا ستكون قريبة بسبب الشيوعية، وتناسى الأمريكيون أنهم قد تحالفوا مع الاتحاد السوفييتي منذ سنوات قليلة، ووضعوا أيديهم في يد ستالين وتغاضوا عن شيوعيته إبان الحرب العالمية الثانية، بينما وقف مبعوثهم الديبلوماسي يلتقط الصور مبتسمًا بجانب تشرشل وستالين، وقتما اقتضت الضرورة ذلك، وقتها كان ستالين الشيوعي بالنسبة للشعب الأمريكي هو «العم جو Uncle Joe»

الطيب مثلما أطلقوا عليه.

وبدأ مكارثي حملة إرهاب ضخمة أثارت القلق، وفقد خلالها الكثيرون مناصبهم، واختفت أسماء لامعة، فقد كانت التهم تنهال على الأمريكيين كالمطر، فهذا شيوعي، وهذا صديق للشيوعين، وهذا صادق منذ عشرين سنة امرأة شيوعية، وهذا يحتفظ في بيته بكتاب ألفه ستالين، وهذا ابن خالة بنت عم زوجة أخي رجل كان عضوا في الحزب الشيوعي الأمريكي منذ خمسين سنة، وأصيبت الولايات المتحدة بهستيريا اسمها الشيوعية، وتألفت لجان برلمانية تبحث عن أصل وفصل كل صحفي وكل مشتغل بالسياسة، فقد كانت تلك التهم كافية للقضاء على أي رجل أو امرأة، ولفقت قضايا ضد الكثيرين من الأبرياء، وبلغ بهؤلاء المهاويس أن اتهموا «شارلي شابلن» الممثل الهزلي العالمي بأنه شيوعي وراقبوه وحاصروه و«بهدلوه»، حتى اضطر إلى أن يغادر أمريكا التي عبدته لسنوات طويلة، ويلقي لهم بجواز سفره الأمريكي في سلة المهملات، وأصبح مكارثي من أشهر الشخصيات العامة وذاعت شهرته نتيجة ادِّعاءاته -بدليل وبدون دليل- أن هناك عدد كبير من الشيوعيين والجواسيس السوفييت والمتعاطفين معهم داخل الحكومة الفيدرالية الأمريكية، وبخاصة في وزارة الخارجية، وقاد إلى حبس بعضهم بتهمة أنهم شيوعيون يعملون لمصلحة الاتحاد السوفييتي، وأصبح الشيوعيون هم الشماعة التي يعلق عليها الأمريكان كل أخطاء حكوماتهم وفشلها، وظهر مصطلح المكارثية McCarthyism لوصف إرهاب مكارثي، وللتعبير عن الإرهاب الثقافي الموجة ضد المثقفين، وضد كل من حاول الوقوف في وجهه، وعاش الأمريكان في هذا الجو الموبوء لبضع سنوات، وقاد الكتاب الساخرون حملة ضد المكارثية وظهرت المجلات الهزلية تتندر على شبح الشيوعية الوهمي في أمريكا، إلى أن تصدى الرئيس أيزنهاور لهذا السيناتور الأفاق وصمد أمام

تهديداته واتهاماته وتلفيقاته، وحمل عليه حملة شعواء أسقطته من أعين الناخبين وقد تبين فيما بعد أن معظم اتهاماته كانت على غير أساس، وأصدر الكونجرس الأمريكي في عام ١٩٥٤ قرارا بتوجيه اللوم عليه، واستطاع أيزنهاور أن يقضي عليه ويعيد للمواطن الأمريكي الشعور بالأمان والطمأنينة، مؤكدًا أن الدستور الأمريكي وحده، والقانون الأمريكي وحده، هو الذي يحاكم الناس، وليس ألسنة الشيوخ والنواب وإعلامهم الكاذب، واختفى مكارثي واختفى معه عهد أسود لا يذكره الأمريكيون إلا باللعنات.

مشهد-٢-

الزمان: ٢٥ أكتوبر من العام ٢٠١٣ في القرن الحادي والعشرين... بعد ٦٠ عامًا تقريبًا من القضاء على المكارثية، وبعد أربعة أشهر من عزل الرئيس الإخواني محمد مرسي.

المكان: جمهورية مصر العربية – مسرح راديو القاهرة بوسط البلد حيث يتم تصوير برنامج «البرنامج»

حلقة باسم يوسف الأولى بعد توقف دام لمدة أربعة أشهر تقريبًا- إسكتش غنائي بعنوان «بعد الثورة»

باسم يوسف: الإعلام ماسبش حد... لو قولت رأيك تتشاااااااد... تبقى إرهابي وتتمد... تبقى إخوان.. وعميل وجبان... وكمان مسنود من الأمريكان...

الكورال: زي أبو سكسوكة... هرب في فلوكة.. كان ناقص يلبس باروكة.. فلسع من رابعة ونهضة وجيزة والهتافات كانت لذيذة.. أحيه أحيه.. بتعمل كدا ليه؟ معايا شرعية.. تمشيني ليه؟ ما هو عاند الشعب فنزل الشعب حلق للشعب وكمل لعب وساق في

غباوته ولم جماعته ولبسنا ف الشلة بتاعته.. ما هو بالصندوق وسبناه يسوق أتاريه خازوق وداخ الشعب..

شادي ألفونس (منفردًا): والسيسي حارب الإرهاب.. وعشان كده حصل انقلاب.. تيتيريبتت تي تي.. تيتيريبتت تو تو

باسم يوسف (محملقًا في وجه شادي): تعالى ياض.. تعالى ياض..

شادي ألفونس: فيه إيه؟.. فيه إيه؟.. وقفنا ليه؟

باسم يوسف: ضموا ضموا ع الواد ده ضموا... استنى خليك انت يا أيمن.. إنت قلت إيه؟

شادي ألفونس: السيسي كافح الإرهاب تتتيريبت تي..

باسم يوسف: حلوة ديه سقفوا عليها ديه.. بينبسطوا هما من الحاجات دي.. اللي بعديها قلت إيه؟

شادي ألفونس: وعشان كده حصل انقلاااااااااا.... (يكمم باسم فم شادي محاولاً منعه من إكمال جملته، وفي الخلفية يحاول أحد أعضاء الكورال منع أيمن وتار من التهام شادي)

يحاول شادي الفكاك قائلاً: فيه إيه يا عم؟ فيه إيه بس؟

باسم يوسف: إنت إخوان ياض؟

شادي ألفونس: إخوان إيه يا عم انا مسيحي!

باسم يوسف: إيه المشكلة يعني؟ أوباما رئيس أمريكا وإخوان برضه.. عادي بيقولوا عليه كده والله.

ينتهي الاسكتش، ثم يتم وقف برنامج البرنامج مرة أخرى بعد تلك الحلقة.

ثم تهبط كلمة «النهاية» متبوعة بالمقولة الأشهر للفيلسوف الألماني هيجل «نتعلم من التاريخ أنه لا أحد يتعلم من التاريخ».

سيناريو فيلم سياسي
الجزء الثاني

*هـذا السـيناريو سـاخر، هـزلي، يصنـف ككوميديـا سـوداء، غـير حقيقـي، وغـير موضوعـي، غـير محايـد، والأحـداث الـواردة بـه خياليـة، ولا تمـت للواقـع بصلـة، وأي تشـابه بينـه وبـين الواقـع فهـو أغـرب مـن الخيـال.

مشهد -١-

نهار خارجي- قهوة بلدي في منطقة شعبية

يجلس «هشام باشا» ضابط المباحث السابق الذي أحيل إلى المعاش إجباريًا، إثر أحداث «انتفاضة الخبز» على منضدة منفردة، منزويًا، مرتديًا حلة كاملة، متأنقًا بشكل لافت لا يتناسب مع طبيعة المكان، متأففًا عصبيًا لا يكف عن التلفت يمينًا ويسارًا، محاولاً إجبار نفسه على الاستمرار في الجلوس، بينما يجلس على المنضدة المقابلة الصحفي «مجدي عز العرب» الذي كان ضحية «هشام باشا» في السابق، يكتب مقالاً جديدًا بينما يرتشف الشاي، ثم يلمح هشام باشا صدفة فلا يقاوم إغراء جذب أطراف الحديث معه.

مجدي: صباح الخير يا أستاذ هشام.

هشام (تبرق عيناه بدهشة وغضب إثر مناداته بلقب أستاذ): صباح الخير

مجدي: حضرتك مش فاكرني؟ أنا مجدي عز العرب.. الصحفي اللي حققت معاه، واتهمتني بإثارة الرأي العام والعمل على قلب نظام الحكم

هشام (بضيق شديد): لأ مش فاكر

مجدي: طبعا معذور.. هتفتكر مين ولا مين...

هشام (بغضب): حضرتك عايز ايه دلوقتي؟

مجدي (مبتسمًا): أبدًا... مجرد دردشة..

هشام (بينما يشيح بوجهه للجهة الأخرى): متأسف.. مش فاضي

مجدي: هو حضرتك بتشتغل حاجة بعد ما طلعت ع المعاش؟

مجدي (بغضب): حاجة غريبة قوي..

ثم يلتفت مناديًا الجرسون حتى يدفع الحساب ويهرب من الموقف، فيعاجله مجدي بطلب قهوة من الجرسون، معلنًا سيطرته على الوضع، ثم يوجه حديثه لهشام

مجدي: إنت عارف التهمة اللي نسبتهالي كان ممكن ترميني في السجن شهور وسنين، لولا إن بعض المسؤولين في البلد اللي يعرفوني كويس وقفوا جنبي لغاية ما انتهى الموضوع، انتهى الموضوع وجوايا سؤال محيرني.. إنت كنت بتعمل كدا ليه؟! بتدور على شهرة أو مجد أو ترقية ولا علاوة؟ إيه اللذة الغريبة اللي بتلاقيها لما تلفق لواحد تهمة؟

هشام (بغضب): لذة ايه يا راجل انت! أنا شغلي اني أحمي البلد

مجدي (بكل ثقة): مين اللي أقنعك ان التصرفات دي اللي بتحمي البلد؟! ومين اللي فهمك أصلاً انك أكتر وطنية مني أو من اللي قبضت عليهم؟

هشام (بضيق شديد): لا.. أقف عندك.. أنا ماسمحلكش باللهجة دي.

مجدي: طبعا مش متعود على المناقشة.. مابتحبش تسمع إلا صوتك بس.

هشام (بعصبية شديدة): هو دا أسلوب المتطرفين

مجدي (مبتسمًا): شايف... أديك منحتني تهمة جديدة، طبعًا... تشكيلة التهم متوفرة عندك، لو كنت دلوقتي على مكتبك قاعد على كرسيك وسط الهيلمان والسلطة، كانت الأقوال اترصت والتقارير اتكتبت، وألف حسرة ع اللي يوقع تحت إيدك

هشام (متحديًا): أنا خدمت البلد.. ولولايا كانت الفوضي

خربـت كل حاجـة.. إحنـا يـا حـضرة الصحفـي في حالـة حـرب، ومسـؤوليتنا حراسـة البلـد مـن الأعـداء

مجـدي: الحـرب الحقيقيـة احنـا عارفـين جذورهـا وأطرافهـا، أمـا الحـرب الـلي انـت بتتكلـم عليهـا مـش موجـودة إلا في تفكـيرك وتفكـير الـلي زيـك.. إنتـم اخترعتوهـا علشـان توقعـوا النـاس في بعـض وتلخبطـوا الحاكـم وتشـغلوا النـاس بأعـداء وهميـين، الحمـد للـه انـك طلعـت ع المعـاش يـا أخـي.

هشام (بعصبية شديدة): بالتأكيد انت عميل أجنبي

يـأتى الجرسـون بالقهـوة، فيشـير إلى هشـام قائـلاً للجرسـون: خـلى البيـه يشربهـا عشـان يفـوق

(مشهد من فيلم زوجة رجل مهم إنتاج عام ١٩٨٧)

مشهد -٢-

ليـل داخـلي- مـكان مجهـول توحـي نوعيـة الأثـاث المكتـبي والإضـاءة بأنـه مقـر مـن مقـار أمـن الدولـة السريـة.

يقـف وائـل غنيـم مرتجفًـا معصـوب العينـين أمـام ضابطـي التحقيـق اللذيـن لا يظهـر وجههمـا، ويتناوبـان عليـه بالأسـئلة.

ضابـط ١: إنـت بقـى الـلي عمـال تحـرض ضـد الداخليـة بقالـك شـهور وعامـل فيهـا بطـل وبتسـتغل قضيـة واحـد حشـاش (يقصـد خالـد سـعيد) عشـان أهـداف سياسـية وضحـت دلوقـتي؟ إنـت إنسـان حقـير وخايـن لبلـدك

وائـل (باكيًـا): واللـه العظيـم أنـا بحـب بلـدي، وماعملتـش الصفحـة ديـه (يقصـد صفحـة كلنـا خالـد سـعيد) إلا عشـان نفـسي بلـدي تبقـى أحسـن، والداخليـة تتطـور، ونفـسي كرامتنـا ترجـع لنـا

بعـد مـا راحـت...

ضابـط ١ (مقاطعًـا): تتطـور ايـه؟ وإيـه الـلي انـت شـايفه بتعملـه الداخليـة غلـط؟ مشـكلتكم إنكـم فاكريـن نفسـكم فاهمـين كل حاجـة، وانتـم مـش فاهمـين أي حاجـة، وبيتـم اسـتغلالكم عشـان تدمـروا بلدكـم

وائـل: بلدنـا كل يـوم الـلي بيدمرهـا همـا السياسـيين اللي ماسـكينها وبيسرقوهـا وينهبوهـا، والظلـم الـلي بيقـع عـلى الناس

ضابط ٢: كنت بتقابل مين في المطعم اللي في الزمالك؟

وائل: زميلين من شركة جوجل في أمريكا

ضابـط ٢ (مقاطعًـا بعصبيـة): أيـوه.. ودول الـلي حضرتـك بتتلقـى منهـم الأوامـر؟ إنـت خايـن لبلـدك لمصلحـة أجهـزة المخابـرات الأجنبيـة، وعملـك في جوجـل تغطيـة لعلمـك الاسـتخباراتي.

(حـدث بالفعـل بتاريـخ ٢٨ يناير ٢٠١١ فجـرًا- مـن كتـاب الثـورة ٢٫٠- وائـل غنيـم)

مشهد -٣-

نهـار خارجـي- مظاهـرات حاشـدة أمـام وزارة الدفـاع بمنطقـة كوبـري القبـة، لإطـلاق سراح الضبـاط الثوريـين المتهمـين في قضيـة ضبـاط ٨ أبريـل.

يقـف العميـد ممـدوح أبـو الخـير مسـاعد مديـر الشرطة العسـكرية في صـدارة المشـهد، متقدمًـا جنـوده لمواجهـة المتظاهرين.

ممـدوح أبـو الخـير (يصيـح في إحـدى المتظاهـرات بغضـب شـديد): عليـا الحـرام مـن ديـني انـتي قابضـة... إنـتي قابضـة.. قابضـة كويـس

(حدث بالفعل بتاريخ ٢ يوليو ٢٠١١)

مشهد -٤-

ليـل خارجـي- مشـهد صامـت- مظاهـرات عارمـة أمـام مسـجد النـور بالعباسـية، في مـا عـرف بأحـداث العباسـية الأولى.

يبـدأ أهـالي منطقـة العباسـية وبعـض البلطجيـة بافتعـال مصادمـات متعمـدة مـع المتظاهريـن، بينمـا يقـف جنـود الشرطـة العسـكرية خلـف الأسـلاك الشـائكة، مكتفـين بتوزيـع الابتسـامات بـدلاً مـن التدخـل لوقـف العنـف، في مشـهد سريـالي عبـثي، يتوسـط قـوات الشرطـة العسـكرية العميـد ممـدوح أبـو الخيـر الـذي يشـير للثـوار بإصبعيـه السـبابة والإبهـام بإشـارة مصريـة خالصـة تعـني أنهـم مأجـورون وممولـون.

(حدث بالفعل بتاريخ ٢٣ يوليو ٢٠١١)

مشهد -٥-

نهـار خارجـي- أمـام مـسرح راديـو وسـط البلـد- وقفـة غاضبـة مـن المواطنـين الشرفـاء للمطالبـة بمحاكمـة باسـم يوسـف.

صيحـات غاضبـة في خلفيـة المشـهد، ومذيـع مـن شـبكة «يقـين» الإخباريـة يحـاور سـيدة بسـيطة، كمـا يبـدو مـن ملابسـها، تدعـى مـدام إيمـان.

مـدام إيمـان: أنـا إيمـان محمـد عبـد العزيـز مـن القليوبيـة، رأيي إنـه إنسـان خرازو..أراجـووز، إنسـان سـلبية لا إجابـة ليـه، إنسـان مـش موجـود في الوجـود، إنسـان عميـل للأمريـكان، الـلي يحـب وطنـه مايعملـش كـده، توفيـق عكاشـة هـاا!.. مـش لاقي قنـاة يشـغلها

ماشتمش... ماباعش القناة علشان يعمل أراجوز زى ده هاا، مصر حرة، خط أحمر لمصر، خط أحمر للجيش، للشعب، للشرطة، لقضاء مصر، أقول تحيا مصر، تقوليلي إعلام أقول خط أحمر، عايزة إعدام للإرهاب، وعايزة محاكمة لباسم يوسف، وعايزة قفل السيما...مشخصاااااااااااتي.. مشخصاااااتي.. خدت خمسة مليار يا باسيييم؟ وزعتهم في بنوك سويسرا ولا أمريكا؟

ينتقل المحاور إلى أحد المواطنين الشرفاء الآخرين من أرباب المعاشات

المواطن الشريف: بسم الله الرحمن الرحيم، واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا.. الاتحاد.. قوووووة، الاتحاد يا شعب مصر قوة، بدي رسالة النهارده للـ.اه ه.. باسم يوسف، بقوله يا باسم يا يوسف، إنت لو انت راجل محترم اتفضل ارحل من جمهورية مصر العربية، إنت حامل جنسية ايه؟ أنا عايز اعرف؟ إنت حامل جنسية مصرية؟ يبقى المفروض تحترم شعب مصر وتراب مصر، لكن انت بتثبت انك انت خسيس، بتتعامل مع الأمريكان عشان انت أمريكاني وخسيس وندل، وانت تستحق اللي قاله عليك السيد المستشار مرتضى منصور، أنا بحيي السيد المستشار مرتضى منصور من هذا اليوم.. اللي قاله عليك مرتضى منصور ده طلع على حق، وانت ندل وخسيس وباطالب بأحكامك وإعدامك من هذا اليوم، والله إحنا بنطالب من القضاء الحكم السريع ضد هذا المجرم والسفاح قليل الأدب باسم يوسييف، الإعدام وليس السجن... الإعدام وليس السجن، وباقول لأي واحد المخابرات هاتقبض على أي من يخالف القانون، وباوجه رسالة للسيد وزير الداخلية محمد إبراهيم بكل حب واحترام له، الذي حمى الأمن الداخلي وحمى شعب مصر، إن باسم الزفت باسم يوسف، إحنا بنطالب

الإعـدام وليـس السـجن، لأن السـجن هياخـد فـترة طبقًـا للقانـون.. خمـس سـنين.. عـشر سـنين.. هيطلـع، إنمـا لأ، أنـا بطالـب يـا إمـا اعتقالـه مـدى العمـر، أو إعدامـه لأن الجيـش خـط احمـر، وباوجـه رسـالة لرئيـس الجمهوريـة، هـل إنـت مبسـوط مـن الـلي طلـع قالـه باسـم يوسـف النـدل الخسـيس الخنزيـر الـلي هـو قاعـد عامـل زي السـت دلوقـتي؟ أتاريـه كان في ميـدان التحريـر لمـا كان بيتكلـم كان متفـبرك مـن أمريـكا ومـن الإخـوان لمـا كان قاعـد بيتريـق عـلى محمـد مـرسي وديـه حتـة أونطـة فبركـة بيجيبـوه انـه يطلـع يتكلـم ويتريـق وبيعمـل، أتاريـه كان فيـه اتفاقيـة إنمـا أنـا باقـول لـه يـا باسـم يـا يوسـف يـا خنزيـر يـا نـدل يـا حيـوان الجيـش خـط أحمـر والشـعب خـط أحمـر والشرطـة خـط أحمـر وشـكرًا جزيـلاً.

(حدث بالفعل بتاريخ ٣٠ أكتوبر ٢٠١٣)

مشهد -٦-

نهار داخلي- قاعة محكمة

يجلـس القـاضي ذو النظـارة السـوداء في مقعـده، متوسـطًا هيئـة المحكمـة، بينمـا يقـف أحـد شـباب الثـورة أمامـه في موضـع الاتهـام، بينمـا يقـف ممثـل النيابـة واصفًـا المتهـم بأنـه مـن المأجوريـن العمـلاء والخونـة ضعـاف النفـوس، الذيـن نسـوا اللـه فأنسـاهم أنفسـهم، وأعملـوا العقـل في مـا يـضر الوطـن ولا ينفـع، وصـاروا مـن المفسـدين في الأرض حـتى رأوا الوطـن جريحـا فانقضـوا عليـه يشربـون مـن دمائـه.

القـاضي (موجهًـا حديثـه للمتهـم): الحركتـين دول مـش عليـا أنـا.. إنـت عميـل وخايـن وانتـو قابضـين مـن بـره

المتهـم: يافنـدم القضيـة مسيسـة وغرضهـا الانتقـام مـن الثـورة

ومـن الـلي قامـوا بالثـورة

القاضي: قصدك النكسة الممولة من الخارج مش كده؟

المتهـم: كلام حضرتـك يـا فنـدم بيأكـد إن الحكـم معـد مسـبقًا ومافيـش داعـي للدفـاع أصـلاً وأنـا بطالـب مـن حضرتـك انـك تنطـق بالحكـم ونخلـص..

القـاضي: إنـت فاكـر نفسـك فـين يـا عميـل؟ إنـت والـلي زيـك خربتـوا البلـد..

المتهـم: أنـا لا أرتـاح لعدالـة تلـك المحاكمـة، وبالتـالي أطالـب بـرد ا لمحكمة

القـاضي (بغضـب): حكمـت المحكمـة بالسـجن حضوريًـا عـلى المتهـم..... بالسـجن المؤبـد وغرامـة قدرهـا ١٧ مليـون جنيـه.

يبتسـم المتهـم في وجـه القـاضي ثـم يقـوم بالتصفيـق ترحيبًـا منـه بالحكـم المتوقع.

(مشهد تخيلي مستوحى من محاكمة أحد شباب الثورة)

ثـم تهبـط كلمـة «النهايـة» متبوعـة بالمقولـة الأشـهر للفيلسـوف الألمـاني كارل ماركـس «التاريـخ يعيـد نفسـه مرتـين، في المـرة الأولى كمأسـاة وفي الثانيـة كمهزلـة».

من ثورات المصريين المظلومة

الجزء الأول

ثورة البشموريين Peshmurians Revolution

مع بداية العقد الثالث من القرن التاسع للميلاد، كانت مصر على موعد مع ثورة كبرى كادت تطيح بما يطلق عليه البعض «المحتل الغازي العربي» إلى شبه الجزيرة العربية مرة أخرى، وتغير من خريطة المنطقة.. لولا الخيانة.

مقدمة

في عام ٦٤١ م احتل العرب مصر بعد طرد المستعمر البيزنطي، ومثلما فعل الروم والبيزنطيون بأهل مصر، فعل العرب، واستمروا في نهب خيرات مصر وثروات المصريين عن طريق فرض الضرائب والمكوس الجائرة، وأهمل الفلاحون أراضيهم الزراعية بسبب عجزهم عن دفع الضرائب الظالمة، فانهار الاقتصاد تمامًا، ومات منهم أعداد ضخمة بسبب الجوع والوباء.

وفي عام ٤١ هـ / ٦٦٢ م اعتلى الأمويون عرش الخلافة، واستمر النهب والتعسف والإضطهاد ضد الأقباط طوال العصر الأموي، وظل يتصاعد حتى وصل إلى ذروته في زمن ولاية الخليفة الأموي «عبد الملك بن مروان» (٦٥ هـ: ٨٦ هـ / ٦٨٥: ٧٠٥م)، فثار الأقباط في تندمى وقربيط والحوف الشرقي في الوجه البحري، وامتنعوا عن دفع الضرائب، وقتلوا عمال الخراج في البشمور وقاوموا سلطته في براري الدلتا وبحيراتها في المنزلة ودمياط، وانتصر الأقباط على عساكر الحاكم مرتين بقيادة «مينا ابن بقيرة» فأرسل الوالي العسكر لتأديبهم فقتلوا منهم الآلاف.

وفي عام ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م أرسل «أبو مسلم الخرساني» جيشًا بقيادة «قحطبة بن شبيب» إلى العراق، فاستطاع هزيمة الأمويين وضم العراق لدولة بني العباس الوليدة، ثم زحف العباسيون

نحو دمشق مقر الخلافة الأموية، والتقوا بجيش الأمويين بقيادة «مروان الثاني بن محمد بن مروان» الملقب بـ«مروان الحمار»، الذي خرج لهم عند نهر الزاب في شمال العراق، وانتصر العباسيون، وفر «مروان بن محمد» إلى مصر، ولكنه وقع في يد العباسيين الذين قتلوه في بلدة بوصير بالفيوم ومثلوا به، وبذلك زالت الدولة الأموية وقامت الخلافة العباسية.

في بدايات الاحتلال العباسي، تحسنت أحوال الأقباط نسبيًا عما كانت عليه في عصر الأمويين الذين أرهقوهم بالمظالم والضرائب، لكن بعد مرور أول ثلاث سنوات من حكم الخليفة «أبو العباس عبد الله» الملقب بـ«السفاح» عاد المحتل إلى استنزاف بقرته الحلوب ونهب ثورات الأقباط، وأدرك الأقباط أنهم بالغوا في تفاؤلهم، لأن الحكومة مهما كانت متسامحة لا تستطيع أن تعيش دون جباية الضرائب، وزادت خيبة أملهم عندما أدركوا أن الفاتح الجديد كان يريد أن ينعم بثمرة انتصاره، لذلك لم يلبثوا أن وضعوا نصب أعينهم هدفًا واحدًا، هو تغيير حكامهم الجدد والتحرر من رِبقتهم، فيقول د. جاك تاجر في كتابه «أقباط ومسلمون» نقلاً عن المؤرخ بن المقفع «ولما كان في ثالث سنة من مملكة الخراسانيين (العباسيين) أضعفوا الخراج وأكملوه على النصاري ولم يوفوا بوعدوهم»، وتدهورت أحوال المصريين بشكل مريع بسبب قلة الزراعة وكساد التجارة وموت أعداد كبيرة من المصريين بسبب الأوبئة والقمع عقابًا على عجزهم عن إتيان الجزية والمكوس، ويصف المؤرخ ابن إياس الحال المزرية التي آلت إليها الأوضاع في مصر قائلاً «قد آل أمرها إلى الخراب»

في العقد السادس لحكم الأمويين أصبح «عبد الله المأمون» خليفة المسلمين عام ٨١٣ م بعدما قتل أخاه «الأمين» بعد صراع دام لأربع سنوات على عرش الخلافة، وبعد اعتلائه سدة

العـرش عـين أخـاه الأصغـر «المعتصـم» وليًـا للعهـد، والـذي عـين بـدوره اثنـين مـن الـولاة لجبايـه الخـراج، وتسـببوا في زيـادة ثـورة الأقبـاط في الوجهـين البحـري والقبـلي، وفي عـام ٨٢٩ م عـين المعتصـم «عمـير بـن الوليـد» واليًـا عـلى مـصر، ولكـن كثر الظلـم في عهـده، ورفـض أهـل الوجـه البحـري دفـع الخـراج، وانتـشرت دعـاوى الإضراب كالنـار في الهشـيم، وامتـدت لنـواحٍ كثـيرة في مـصر، وقامـت ثـورات متفرقـة شـارك فيهـا مسـيحيون ومسـلمون عـلى حـد سـواء، في أماكـن عديـدة في الوجـه البحـري، مثـل ثـورة أهـل رشـيد وثـورة أقبـاط الحـوف، وانتـشرت حـتى الصعيـد، وشـجع الثـوار عـلى التمـرد المنـاخ العـام في الولايـات المحتلـة مـن العـرب في هـذا الوقـت، والحـركات الاسـتقلالية الـتي بـدأت تنتـشر بـضراوة في زمـن واحـد في جميـع الأنحـاء، فقـد أعلـن «نـصر بـن شـبث» الثـورة عـلى الخليفـة العبـاسي، وقامـت دولـة «الرسـتميين» بالجزائـر ثـم «الأدارسـة» بالمغـرب، وفي بـلاد فـارس في جبـال شـمال غـرب إيـران بزعامـة «بابك الخرمـي»، وتصاعـدت الأحـداث بسرعـة وقتـل المصريـون «عمـير بـن الوليـد» وتـولى مكانـه «عيـسى بـن يزيـد الجلـودي»، وبـدلاً مـن أن يترفـق «المأمـون» بالمصريـين، صـب الزيـت عـلى النـار بتوليـة «عيـسى بـن منصـور الرافقـي» حكـم ولايـة مـصر عـام ٢١٦ هـ / ٨٣١ م، فضاعـف مـن زيـادة ظلـم جبـاة الخـراج وولاتهـم وضوعفـت الجزيـة، وعـني باضطهـاد البشـموريين في شـمال شرق مـصر تحديـدًا، وأحـرق منازلهـم وكنائسـهم.

البشـموريون هـم أقبـاط منطقـة شـمال الدلتـا بـين فرعـي رشـيد ودميـاط، المسـماة بالبشـمور أو البـشرود، وأطلـق عـلى البشـموريين أيضـا اسـم «البيامـا»، أو «البيامـي» كمـا ذكـر المـؤرخ أبـو المـكارم قائـلاً «هـي لفظـة قبطيـة وتعـني أربعـين، وذلـك لأن الـروم لمـا خرجـوا مـن مـصر في وقـت دخـول المسـلمين، تخلـف منهـم أربعـون رجـلا فتناسـلوا وكـثروا وتوالـد بأسـفل الأرض مـن مـصر،

فسموا بالبيما، وكونوا جيشا وقاتلوا المسلمين بعدما فتحت مصر سبع سنين كاملة»، وقد شكلت المستنقعات والأحراش والأرض الموحلة نتيجة اختلاط مياه البحر الرومي (البحر المتوسط) بمياه النيل العذبة التي كانت تحيط بالبشمور، حماية طبيعية لها، فتميزت أراضيها بالسيولة التي تغوص فيها أقدام السائرين، وأقل إهمال أو عدم احتراز قد يؤدي إلى الغوص والتهلكة، لأن كثيرًا من مواضع تلك السيولة ليس له قرار، ويمكن أن يبتلع الإنسان ويحتويه داخل الطين مثلما هو الماء الخالص، وكان البشموريون قد تمرسوا عليها منذ صغرهم، وقد بنوا كورهم وقراهم على ما بها من مواضع راسخة التربة، تلك الأحراش والمستنقعات ستعيق لاحقًا حركة العرب الغزاة الذين لم تكن لهم الدراية بطبيعة المنطقة، وكان البشموريون يعملون بالصيد وتصنيع ورق البردي في سلام وطمانينة، حتى تولى الرافقي ولاية مصر فأرهقهم بالضرائب وأثقل كاهلهم، فيقول بن المقفع «عامل العرب البشموريين على الأخص في غاية القسوة، فقد ربطوهم بسلاسل إلى المطاحن وضربوهم بشدة ليطحنوا الغلال، كما تفعل الدواب سواء بسواء، فاضطر البشموريون إلى أن يبيعوا أولادهم ليدفعوا الجزية ويتخلصوا من آلام هذا العذاب، وكان يعذبهم رجل من قبل الوالي اسمه «غيث»، وأيد المؤرخ «ميخائيل السوري» سبب ثورتهم الذي ذكره بن المقفع، وزاد عليه فقال «وقالوا إن الوالي كان يرغمهم على دفع الجزية وكانوا لا يستطيعون تحملها، فكان يسجنهم ويضربهم ضربا مبرحا ويضطرهم إلى طحن الحبوب كالدواب تماما، وعندما كانت تأتي نساؤهم إليهم بالطعام كانوا خدمه يأخذونهن ويهتكون عرضهن، وقد قتل منهم عددا كبيرا وكان عازما على إبادتهم عن بكرة أبيهم حتى لا يشكوه إلى الخليفة، ولما اقتنعوا نهائيا أن هذا الظلم لا يحده إلا الموت وأن بلادهم

كلها مستنقعات تخللها الطرق الضيقة التي ينفردون بمعرفتها، وأنه يعد من المستحيل على جيوش المسلمين غزوها، فقد اتفقوا على إعلان الثورة ورفضوا دفع الجزية» وتزعمهم القبطي يحنس الطوبي، وقاموا بطرد عمال الدولة ورفعوا راية العصيان ورفضوا دفع الجزية، وتواصلت الاحتجاجات إلى أن عم الغضب جميع أنحاء البلاد وقد أسفرت هذه الثورة إلى هزيمة جيش الغزاة (العرب) هزيمة منكرة في المرة الأولى، وفرّ أمامهم الوالي يتبعه جُباة الضرائب. وكتب المقريزي في هذا الصدد «لما كان جمادى الأولى سنة ٢١٦هـ، انتفض أسفل الأرض بأسره، عرب البلاد وقبطها أخرجوا العمال وخلعوا الطاعة لسوء سيرة عمال السلطان فيها، فكانت بينهم وبين عساكر الفسطاط حروب»، وتقول بعض الروايات الضعيفة إنه أمام هذا الغضب تنصل الخليفة العباسي المأمون مما فعله واليه، وقال «أنا غير مسؤول عن سياسة ولاتي لأني لم أمل عليهم هذا الموقف الذي اتبعوه، أنا لم أفكر قط في إرهاق الناس، وإذا كنت أشفقت على الروم أعدائي فكيف لا أشفق على رعيتي؟»، وقال للوالي المسؤول عيسى بن منصور «لم يكن هذا الحادث العظيم إلا من فعلك وفعل أعمالك، حملتم الناس ما لا يطيقون حتى تفاقم الأمر واضطربت البلاد» واكتفى الخليفة العباسي بتوبيخ الوالي وألبسه ثوبا أبيض وأمر أن يطاف به في الشوارع، لكن تلك الرواية محل شك لأن المأمون نقل الوالي عيسى بن منصور على إفريقية (تونس) بعد استنزافه لمصر، فحاول فعل نفس الشيء هناك ولكن شعب تونس قام بخطف زوجاته وجواريه وجميع أبنائه وقطع رؤوسهم وأرسلها له في عدة أجولة فارتعب. يزيد من ضعف مصداقية الرواية السابقة أن هذا الموقف السلبي للخليفة المأمون لم يستمر طويلا، بعدما شعر بمدى خطورة البشموريين وتهديد ثورتهم للحكم العربي في مصر، فأرسل أخاه

المعتصم على رأس جيش قوامه أربعة آلاف جندي لإخماد ثورة الأقباط بر مصر، فهاجم المعتصم بعساكره منطقة الحوف في الوجه البحري، وقتل أعدادا من سكانها، وعلى الرغم من وحشية الحملة وذبح الأطفال والشيوخ وانتهاك الحرمات، فإن الثورة لم تخمد ولم يهدأ أهل بشمور، وبالفعل توالت هزائم الجيش العربي على يد المصريين في أغلب أنحاء مصر، ما عدا العاصمة (الفسطاط) والإسكندرية، وهنا شعر المأمون بالخطر، ولم يفكر في الأمر مرتين، فمع خروج الجزائر والمغرب عن سلطانه وتمرد مصر وفارس، أصبح بذلك في مهب الريح، وشعر بعرشه يهتز بشدة ووجد نفسه مضطرا أن يأمر أفضل قواده العسكرين المدعو «أفشين» التركي -الذي يقود جيشًا من الأتراك- بالعودة من برقة ليخمد الثورة في مصر، بدلاً من فتح المغرب، والذي كان لتوه نجح في قمع ثورة «بابك الخرمي» في أعلى جبال إيران، بعد فشل الجميع في قمعه، وهاجم الأفشين البشموريين، وكان ذلك في ليلة الجمعة الليلة التاسعة من محرم، فحاصر منطقة البشموريين فلم ينجح معهم، لأنهم قاموا بتكتيك جديد بالنسبة لعصرهم، فقد كانوا يهاجمون الجيش ليلاً بجماعات صغيرة، فيقتلون ويأسرون الجنود ويعودون إلى داخل المستنقعات وهكذا، وحاربوه وقتلوا من جيشه عددًا وافرًا، ثم جرد عليهم عسكرا آخر فكسروه، وفشل أفشين تماما في إخماد ثورة البشموريين، فلم يقدر عليهم لمناعة منطقتهم المحاطة بالمياه، وكانوا يقتلون كل يوم عددا كثيرا من جنوده، ما اضطره إلى أن يكتب إلى المأمون، الخليفة العباسي في هذا الوقت، طالبا إمدادات للقضاء على الثورة التي اندلعت في كل مكان، في محاولة للتخلص من نير الطغاة، فتركهم الأفشين وذهب ليخمد ثورة العرب في الشرقية، وهناك أحدث فيهم مقتلة ومذبحة ضخمة قدر المؤرخون ضحاياها بالمئات، ولكنهم لم يذكروا الأعداد

بالتحديد. هذه المذبحة أدت إلى استسلام عرب الحوف الشرقي وسكوتهم وانسحابهم من الثورة، ولكن الأقباط بقيادة بحيرة بن بقيرة لم يستسلموا، وكبدوا القوات العربية التركية خسائر فادحة.

كان المأمون في دمشق عندما وصله خطاب الأفشين، فقرر الذهاب إلى مصر، وكان بطريرك الكنيسة المليكانية الأنبا ديونسيوس الأنطاكي في دمشق، فأرسل إليه المأمون خطابا يقول فيه «امكث هنا لتأتي معنا إلى مصر، لأننا نريد منك أن تذهب كسفير عند البياما (البشموريين) في مصر السفلى، وتقنعهم بالكف عن القتال والعودة إلى الطاعة»، وزحف المأمون من بغداد إلى مصر على رأس قوة حربية ضخمة مكونة من ثلاثة جيوش، ليحاصر البشموريين وليخمد الثورة التي فشل في إخمادها كل قواده، ووصل إلى الفرما (العريش) وهناك قابل ديونسيوس، ويقول ديونسيوس إن الخليفة قال له «لقد علمت أيها البطريرك بنبأ ثورة النصارى المصريين المعروفين باسم البياما، وأنهم لم يكتفوا بالخراب الذي أصابهم من جراء هجومنا الأول عليهم، ولولا تسامحي وعدم تفكيري في القضاء عليهم لما أرسلت إليهم رجلا مثلك، خذ معك المطارنة الذين بصحبتك وسائر المطارنة المصريين واذهب إلى مقابلتهم، وفاوضهم بشرط أن يسلموا الثوار ويأتوا معي ومع جيشي إلى المكان الذي أعينه فأسكنهم فيه، فإذا رفضوا فإني سأقتلهم بالسيف، ولما حدثت الخليفة طويلا على أساس أن يخضع البشموريين لحكمه ويتركهم في بلادهم أجاب قائلا: لا! فليخرجوا من البلاد أو يتعرضوا للقتل»، واستدعى المأمون الأنبا يوساب الأول بطريرك الأقباط، وطلب منه أن يتعاون معه ومع الأنبا ديونسيوس الأنطاكي في إخماد الثورة، وأن يكتب للثوار والمتمردين منشورا ينصحهم ويحذرهم فيه من مغبة التمرد، فحرر الاثنان رسالة للثوار

بهـا نصائـح ومواعـظ، حثـا فيهـا الثـوار عـلى أن يلقـوا بسـلاحهم ويسـلموا أنفسـهم لـولاة الأمـير، محاولـين إقناعهـم بعـدم قدرتهـم عـلى مقاومـة الخليفـة بالسـلاح، ووصفـا لهـم المصائـب الـتي سـتحيق بهـم، ونصحوهـم أن ينصرفـوا عـن عزمهـم في مواصلـة الحـرب، فاسـتجاب الأقبـاط في الوجـه البحـري لرسـائل النصـح، لكـن البشـموريين رفضـو الاستسـلام وعقـدوا العـزم عـلى مواصلـة الثـورة والقتـال، وأخـذوا يصنعـون لأنفسـهم الأسـلحة وحاربـوا الخليفـة علانيـة، ولمـا اتضـح أن هـذا الخطـاب لـم يؤثـر فيهـم، أرسـل لهـم يوسـاب الخطـاب تلـو الخطـاب ملحـا في رجائـه، ولكـن عـلى الرغـم مـن كل هـذا فقـد رفـض البشـموريون هـذه النصائـح الاستسـلامية، وبينمـا كان الثـوار في أمـس الحاجـة للمعونـة الماديـة والمعنويـة، حتى يتمكنـوا مـن التخلـص مـن الظلـم والاسـتبداد الأجنـبي، إذا بالقـادة الروحيـين يدعونهـم إلى الاستسـلام، ولا شـك أن هـذا الموقـف مـن طـرف القـادة الروحيـين كان لـه أثـره البالـغ عـلى الأقبـاط أكـثر مـن كل جحافـل المأمـون وطواغيتـه، وكان المشـهد مثـيرا للتأمـل، ففـي الوقـت الـذي كان فيـه الأفشـين يحـرق بـلاد البشـمور ولا يبقـي فيهـا عـلى أحـد حيـا، كان الراهبـان الكبـيران يحثـان النـاس عـلى طاعـة الراعـي والخليفـة تجنبًـا للهـلاك.

ولمـا بلـغ اليـأس بهمـا مـداه، ذهـب البطريـركان بنفسـهما إلى البشـمور، وطلـب منهـم بطريـرك الأقبـاط يوسـاب عـدم الخـروج عـن طاعـة السـلطان، والعـودة إلى الاسـتكانة، بينمـا اسـتمع بطريـرك الكنيسـة الميلكانيـة ديونسـيوس إلى شـكواهم مـن ظلـم العمـال والتنكيـل بهـم بـدون سـبب، ونهـب محاصيلهـم ومتاعهـم، وعـاد البطريـركان إلى الخليفـة المأمـون، وأقـرا بفشـلهما في إقنـاع الأهـالي البشـموريين بالعـودة إلى الطاعـة، ووصـف ديونسـيوس مـكان البشـموريين وحالهـم، ونقـل إليـه شـكوى أهـالي البشـموريين مـن ظلـم العمـال ونهـب أموالهـم ومحاصيلهـم قائـلا «لقـد وجدناهـم

مجتمعين وقد احتموا في جزيرة محاطة بالمياه والخيزران والغاب من كل جهة، فخرج إلينا رؤساؤهم وتقدموا نحونا، ولما وجهنا إليهم اللوم على الثورة التي أشعلوها، والمذابح التي اقترفوها، أنحوا باللائمة على من كان يحكمهم، إلا أنهم عندما علموا بوجوب الخروج من بلادهم، حزنوا حزنا شديدا ورجونا أن نبعث إلى الخليفة برسالة نطلب إليه أن يسمح لهم بالمثول بين يديه، ليقصوا عليه كل ما احتملوه من الهوان»، فطلب منه المأمون العودة إلى الشام وعدم ذكر هذه الشكوى مرة أخرى حتى لا يسمعه أخوه المعتصم المتكفل بمصر والشام، قائلاً «لا تَفُه بمثل هذا الكلام، لأن متولي الخراج عينهم أخي المعتصم، ولو سمع ما قلت لما أبقاك حيا بمصر ساعة واحدة»، لأنه هو الذي يختار متولي الخراج ويحصل أيضا على الجزية والخراج، أي أنه المسؤول عن المذابح التي ارتكبوها، ولو سمع ذلك من بطريرك الشام ربما قام بإيذائه، هكذا تكلم الخليفة المأمون، ويبدو أن المعتصم كان الرجل القوي في دولة المأمون، ولذلك هو الذي تولى الخلافة بعده، وأسرع ديونسيوس ليودع البابا القبطي يوساب، وعيناه تفيضان بالدموع قائلاً «فلا مكان لقول الحق مع هؤلاء الناس»، ثم سافر عاجلا، وبعد رحيله بلغ المعتصم الخبر فأرسل وراءه من يقتله، ولما لم يتمكن من العثور عليه غضب جدا، ولاحقًا بعد أن توفي المأمون وملك المعتصم، هرب ديونسيوس من أنطاكية حتى عاهده الخليفة ألا يقتله، فرجع إليها.

أما في مصر فلم يكن الأمر يحتاج للكثير من ذهب المعز وسيفه، حتى بدأ الأساقفة الأقباط التابعون للبطريرك يوساب في إرسال رسائل الحث على ترك السلاح للثوار، بل وتهديد بعض الأساقفة المؤيدين للثوار والثورة بالحرمان، مثل الأنبا إسحاق أسقف تنيس بشمال شرق الدلتا، وكان هذا يحدث في الوقت

الـذي كان فيـه الثـوار لا يزالـون يسـيطرون عـلى أغلـب شـمال الدلتـا، وكانـوا في حاجـة للدعـم وليـس التثبيـط، وفي النهايـة لمـا قـدم الأسـاقفة بأنفسـهم حاملـين معهـم هـذه الرسـائل، انقـض عليهـم البشـموريون وجردوهـم مـن ملابسـهم وأمتعتهـم، وطردوهـم بعـد أن أوسـعوهم سـبا وشـتما، ولمـا عـاد هـؤلاء الأسـاقفة إلى البطريـرك وقصـوا عليـه مـا حـدث، قـرر البطريـرك أن يـترك هـذا الشـعب إلى مصـيره، وقـد أدى تصرفـه هـذا في إعطـاء الضـوء الأخـضر لتعـاون بعـض الأقبـاط في العمـل كمرشـدين في جيـش العـرب.

فأمـر المأمـون أن يجمعـوا كل مـن يعـرف طـرق ومسـالك مناطـق البشـموريين، فجـاء عـدد مـن أهـل المـدن والقـرى المجـاورة لهـم ومـن كل الأماكـن، ومـن أهـل تنـدا وشـبرا وسـنباط، وعملـوا مـع المسـلمين كدليـل ليرشـدوا جيـش الخليفـة، للوصـول إلى البشـموريين دون المسـتنقعات الـتي أعجـزت الجيـش عـن الدخـول إليهـم في الغـزوات السـابقة، فـدارت الحـرب الضاريـة بـين جيـش المأمـون وأهـل بشـمور، ويذكـر كتـاب «الخريـدة النفيسـة» ذلـك الحـدث فيقـول «واسـتعدوا لمقاومـة مـن يقصـد سـلب اسـتقلالهم وإذلالهـم، وبعـد حـروب دمويـة بينهـم وبـين عسـاكر المأمـون، كان النـصر دائمـا في جانـب الثـوار، وقـاد الخليفـة الجيـش بأجمعـه إلى حومـة الوغـى وأصـلى نـار الحـرب.. ولـم يدخـر مـن قوتـه وسـعا حـتى أضعـف الثـوار»، وركـز المأمـون جميـع قواتـه ضدهـم، وأعمـل فيهـم الجنـد، فأحرقـوا مسـاكنهم وهدمـوا كنائسـهم وقتلـوا صغارهـم وسـبوا نسـاءهم، وخـلال ثلاثـة أسـابيع سـلم لهـم البشـموريون فأهلكوهـم وقتلوهـم بالسـيف، وسـالت بحـور مـن الدمـاء، ونهبوهـم وأخرجوهـم مـن مسـاكنهم وأحرقوهـا بالنـار، فقتـل مـن الرجـال ثمانمئـة ألـف وسـبي الأطفـال والنسـاء. وأمـا تقـي الديـن المقريـزي فيقـول «انتفـض القبـط فأوقـع بهـم الأفشـين عـلى حكـم أمـير المؤمنـين عبـد اللـه المأمـون، فحكـم فيهـم بقتـل

الرجال وبيع النساء والذرية، فبيعوا وسُبي أكثرهم، حينئذ ذلت القبط في جميع أرض مصر»، ويضيف أن «المذبحة كانت عبرة لمن لا يعتبر، ولم يجرؤ المصريون بعد هذه المقتلة على الثورة ضد الخلفاء والسلاطين حتى وقتنا هذا».

ولما رأى المأمون كثرة القتلى أمر جنوده بأن يتوقفوا عن قتلهم، وأمرهم بالبحث عمّا تبقى من البشموريين وقادتهم، وأمرهم أن يغادروا بلادهم، غير أنهم أخبروه بقسوة الولاة المعينين عليهم، وأنهم إذا غادروا بلادهم لن تكون لهم موارد رزق، فلم يعبأ بالأمر، وأرسلهم على سفن إلى أنطاكية حيث أرسلوا إلى بغداد -عاصمة الدولة العباسية آنذاك- وكان يبلغ عددهم نحو ثلاثة آلاف، مات معظمهم في الطريق، ومن نجا منهم مكث في سجونها، أما الذين أسروا في أثناء القتال فقد سيقوا كعبيد ووزعوا على العرب، وبلغ عدد هؤلاء خمسمئة، فأرسلوا إلى دمشق وبيعوا هناك.

وعندما أحرز المأمون النصر سنه ٨٣٢ م مكث شهرين في مصر، وقام بجولة استعراضية بعد قضائه على الثورة في كل أنحاء مصر، وفرض على القرى والمدن ما يسمى بضيافة السلطان وحاشيته، ما كبد فقراء القرى المصرية فوق احتمالهم وقدراتهم المنهكة بفعل الجزية والخراج واستضافة الجند والعمال، لم يكتف المأمون بهذه الجولة بل ذهب إلى الهرم العتيق محاولاً هدمه حتى يترك ذكرى لا يمحوها الزمن، ولكنه لم يستطع بجنوده وعماله إلا أن يفتح طاقة صغيرة أقل من الشباك.

وقبل أن يغادر مصر قام بمكافأة البابا يوساب بأن قلده منصب الرئيس الروحي لجميع كنائس مصر، وأعطاه سلطات على كل الكنائس القبطية في مصر وعلى كل ما يعملون بها، وقد حاولت بعض الكتابات المعاصرة تبرير موقف يوساب، بقولها

إن البطريـرك يوسـاب كان يـذوب حـسرة عـلى رعيتـه الـتي تحالـف عـلى إفنائهـا الطاعـون والمجاعـة والحـرب، وقـد تحـسر البطريـرك عـلى البشـموريين لأنهـم خاضـوا غمـار الحـرب ضـد عـدو يفوقهـم في العـدد والعتـاد، وتعرضـوا للمـوت بحكـم إرادتهـم، لكـن يبـدو أن الأمـر لـم يتعـد مجـرد الـكلام وفقـط.

ولـم يكـن ذلـك بالأمـر الغريـب عـلى رؤسـاء الأقبـاط الروحيـين، فقـد سـبق وأن حـدث الأمـر ذاتـه تقريبًـا بـين عمـرو بـن العـاص والبابـا بنيامـين الأول، الأمـر الـذي يفـسره د. جـاك تاجـر في كتابـه «أقبـاط ومسـلمون» قائـلاً «إن الأقبـاط لـم يحركـوا سـاكنا بعـد مقتـل عثمـان والانشـقاق الـذي حـدث بـين أنصـار عـلي بـن أبي طالـب وأعدائـه، وقـد أثـار هـذا الموقـف دهشـة المسـتشرقين، ولكـن الأكليـروس القبطـي -وكان وقتئـذ هـو الـذي يمكنـه إشـعال نـار الثـورة- كان راضيًـا كل الرضـا عـن الاحتـلال العـربي، لأن عمـرو بـن العـاص أكـرم بطريركهـم كل الإكـرام، وأحاطـه بالإجـلال والاعتبـار، وطلـب إليـه نصائحـه وبركتـه، وأمـر بإعفـاء رجـال الديـن مـن الجزيـة».

رحـل المأمـون عـن مـصر وذهـب إلى بغـداد، ولـم يعـش غـير عدة أشـهر وتـوفي في خريـف٨٣٣ م، ثـم تـولى الخلافـة شـقيق المأمـون وولي عهـده إبراهيـم الملقـب بالمعتصـم، فأطلـق البشـموريين مـن السـجون، ربمـا لشـعوره بالذنـب ممـا فعلـه الـولاة تجاههـم، وقـد عـاد البعـض إلى بلادهـم وبقـي البعـض الآخـر في بغـداد.

ثـورة البشـموريين كانـت أكـبر وأشـد وآخـر ثـورات الأقبـاط، الذيـن أنهكهـم الاضطهـاد والتعسـف في عـصر الـولاة، وعـلى الرغـم مـن أن البعـض صورهـا عـلى أنهـا ثـورة دينيـة قـام بهـا الأقبـاط ضـد المسـلمين، فـإن المؤرخـين يجمعـون عـلى أنهـا كانـت ثـورة اجتماعيـة ضـد ظلـم الـوالي عيـسى بـن منصـور، وشـارك فيهـا الكثـير مـن المسـلمين، وبعدهـا بـدأت أعدادهـم تقـل بعدمـا دخـل الإسـلام

منهـم نحـو ربعهـم، وبحلـول القـرن التاسـع كان الأقبـاط قـد صـاروا أقليـة في مـصر، وحلـت اللغـه العربيـة محـل اليونانيـة في دواويـن الدولـة، ومـكان اللغـة القبطيـة في المعامـلات بـين النـاس.

---

*المصادر:

بدائع الزهور في وقائع الدهور- ابن إياس

أقباط ومسلمون- جاك تاجر

تاريخ مصر الإسلامية – د. جمال الدين الشيال

سندباد مصري.. جولات في رحاب التاريخ- حسين فوزي

تاريخ المسيحية الشرقية- عزيز سوريال عطية

السلوك لمعرفة دول الملوك- المقريزي

تاريخ الكنيسة القبطية- القس منسي يوحنا

سيرة الآباء البطاركة- ابن المقفع

تاريخ الأمة القبطية- يعقوب نخلة روفيلة

من ثورات المصريين المظلومة
الجزء الثاني
انتفاضة الخبز Egyptian Bread Riots

«من لم يغتنِ من المصريين في عصر السادات، لن يغتني أبدًا طيلة حياته»...

اعتاد المصريون استخدام تلك العبارة للتدليل على كم الفساد الاقتصادي الذي صاحب السادات طيلة فترة حكمه، تحت مسمى الانفتاح الاقتصادي، فقد امتلأت في عهده الكروش، وتضخمت الأرصدة في البنوك بلا حساب، ومع تزايد الفساد وتضخم الأرصدة، كان لا بد للجوع والفقر أن يتزايد ويتضخم أيضًا، ومن ثم كان للدولة أن تزيد الفقراء فقرًا على فقرهم تحت دعاوى «خفض الدعم» و«ترشيد الأسعار»، وبينما كان الشعب المصري الذي عانى كثيرا من تدهور أوضاعه الاقتصادية بعد حرب أكتوبر ٧٣ ينتظر قرارات حكومية تخفف عنه هذه المعاناة، وتحقق له وعود السادات بتحقيق الرخاء الاقتصادي الذي ردده في الكثير من خطاباته، واتجاهه نحو الولايات المتحدة الأمريكية ودعوته للتحول من النظام الاشتراكي إلى النظام الرأسمالية وتطبيق سياسة الانفتاح، ووعوده للشعب برغد العيش والرخاء -كانت سياسات الدولة الاقتصادية تشي بالعكس تمامًا، ومع مرور السنوات وعدم تنفيذ أي من هذه الوعود، توالت الإضرابات والتظاهرات من أجل تنفيذ وعود الحكومة بلا أي جدوى.

في ١٥ أكتوبر ١٩٧٦ بعث «بول ديكي» ممثل صندوق النقد الدولي بالقاهرة بمذكرة سرية وشخصية إلى وزير الاقتصاد، عنوانها «بعض الأفكار حول مسألة الإصلاح الاقتصادي»، تضمنت تلك المذكرة اقتراحات، أو بمعنى أدق طلبات واجبة التنفيذ، بضرورة تخفيض سعر الجنيه، إلى جانب رفع الدعم عن بعض السلع الضرورية التي كانت الحكومة لسنوات طويلة تدعمها، والتي كانت تمثل القشة الأخيرة لسواد المصريين حتى لا يصيروا أمواتًا مثل أصحاب القبور التي يسكنونها، وعلى الرغم من الاحتجاجات

التي قادها بعض النواب المستقلين في مجلس الشعب، لوقف ما تقدم عليه الدولة من إجراءات لتحقيق «ترشيد الأسعار»، إلا أن تلك الاحتجاجات باءت جميعها بالفشل، وفي ١٧ يناير ١٩٧٧ أعلن نائب رئيس الوزراء للشؤون المالية والاقتصادية د. عبد المنعم القيسوني، في بيان له أمام مجلس الشعب، عن مجموعة من القرارات الاقتصادية لتخفيض العجز في الميزانية، في مقدمتها رفع الدعم عن مجموعة من السلع الأساسية، ورفع أسعار الخبز بنسبة ٥٠٪ والسكر ٢٥٪ والشاي ٣٥٪ وكذلك الأرز والزيت والبنزين، إضافة إلى ٢٥ سلعة أخرى بإجمالي ٣١ سلعة من السلع التي لا يستطيع الفقراء الحياة بدونها، وفي صبيحة اليوم التالي صدرت الصحف الثلاث تحمل تفاصيل القرارات الاقتصادية الأخيرة، واتخذ رئيس الوزراء في ذلك الوقت «ممدوح سالم» بعض الاحتياطات التي وجدها ضرورية لتعزيز قوى الأمن في القاهرة، بحكم خبرته الطويلة في مسائل الأمن، كونه ضابط شرطة ومحافظ الإسكندرية ووزير الداخلية سابقًا، لكن ما حدث في ذلك اليوم التالي لم يكن في الحسبان...

فجأة وبدون سابق إنذار وبدون أي تنسيق أو تخطيط مسبق، شهد الصباح الباكر من يوم ١٨ يناير انفجارًا شعبيًا هائلاً، بدأ أولا وسط عمال شركة الترسانة البحرية في منطقة المكس بالإسكندرية، لينتشر مثل الهشيم في النار في المحافظة كلها، وبعد قليل ودون تنسيق أيضًا، بدأ عدد من العمال في شركة «مصر حلوان» للغزل والنسيج والمصانع الحربية بحلوان، وفي مصانع الغزل والنسيج في شبرا الخيمة بالقاهرة، يتجمهرون في تجمعات صاخبة تعلن رفضها للقرارات الاقتصادية، وتخرج إلى الشوارع في مظاهرات حاشدة تهتف ضد الجوع والفقر وبسقوط الحكومة والنظام، وانضم إليهم الموظفون والحرفيون وجميع فئات الشعب المصري، ونزل إلى الشارع عناصر اليسار بكل

أطيافه، رافعين شعارات الحركة الطلابية، في مظاهرات حاشدة تهتف ضد الجوع والفقر وبسقوط الحكومة والنظام مرددين «يا ساكنين القصور الفقرا عايشين في قبور.. يا حاكمنا في عابدين فين الحق وفين الدين.. سيد مرعي يا سيد بيه كيلو اللحمة بقى بجنيه.. عبد الناصر ياما قال خللوا بالكم م العمال... هو بيلبس آخر موضة واحنا بنسكن عشرة ف أوضة.. بالطول بالعرض حنجيب ممدوح الأرض... هما بياكلوا حمام وفراخ واحنا الفول دوخنا وداخ»، وهتافات أخرى كثيرة ضد ممدوح سالم وزير الداخلية، وضد الرئيس السادات نفسه، ولم يكن الطلاب بمعزل عن الحركة، حيث خرجوا في مسيرة من جامعة القاهرة، وصولاً إلى مجلس الشعب ثم إلى ميدان التحرير ثم منطقة باب اللوق. وطوال هذه الفترة كانت قوات الأمن تحاول إخماد ثورتهم الغاضبة باستخدام القوة، من خلال القنابل المسيلة للدموع وطلقات الرصاص المطاطي، ولم يكن النهار ينتصف حتى كانت المظاهرات تجتاح مصر من أقصاها إلى أقصاها، وبدا أن هناك ثورة على حكم السادات تلوح في الأفق القريب...

في تلك اللحظة تحديدًا كان السادات في مقره الشتوي المفضل في أسوان، حيث الدفء والشمس المشرقة، ولم يكن يعرف بما يجري في القاهرة والإسكندرية، وفي الرابعة عصرًا كان السادات الموهوم بحب الظهور يجلس في شرفة استراحته المطلة على خزان أسوان القديم، يجري حديثًا صحفيًا مع صحفية لبنانية، وفي منتصف الحوار فجأة توقف السادات عن الكلام، واسترعى انتباهه عمود من الدخان يرتفع فوق المدينة، وتناسى أنه في منتصف حوار صحفي وقال تلقائيًا كأنه يسأل نفسه «ما هذا؟»، فأجابته الصحفية اللبنانية بتلقائية «ربما كانت المظاهرات في القاهرة وصلت إلى هنا»، فسألها السادات مندهشاً «أية مظاهرات؟»، لم ينتظر السادات الإجابة على سؤاله كثيرًا، ففي

تلك اللحظة كان محافظ أسوان يهرع مذعورًا إلى استراحة الرئيس ليطلب منه المغادرة في أسرع وقت، بعد أن قطعت الجماهير الغاضبة الغفيرة نصف الطريق إلى الاستراحة، والبوليس يقاوم بصعوبة، والخطر سوف يصبح محدقًا في غضون دقائق معدودة، إذا تقدمت الجماهير أكثر وقطعت الطريق بين الاستراحة والمطار، فسارع السادات بالهروب مذعورًا، تاركًا كل شيء خلفه، حتى الأوراق الرسمية التي أرسلت إليه في مشتاه للاطلاع أو التوقيع، وتقرر إلغاء اجتماعه بكيسنجر المقرر عقده في استراحة أسوان في نفس اليوم، وبعد مغادرته بقليل اقتحم المتظاهرون الاستراحة وأحرقوها انتقامًا وغضبًا، وفي ساعات قليلة وصل السادات إلى بيته في الجيزة، الذي أحيط مع المنطقة كلها بالدبابات الثقيلة، إضافة إلى عدد من الطائرات الهليكوبتر الجاهزة للإقلاع على الفور إن احتدمت الظروف، وفي مطار «أبو صوير» كانت طائرة السادات الرئاسية «بوينج ٧٠٧» رابضة على أرض المطار، وبداخلها طاقمها كله على استعداد إن تطورت الظروف أكثر وأكثر واضطر للمغادرة، وكانت وجهتها المقررة هي طهران، حيث كان الشاه دائمًا على استعداد لاستقبال أصدقائه إذا اضطروا يومًا للهرب من القاهرة.

في القاهرة كان الموقف عصيبًا، فقد تحولت المظاهرات إلى العنف، وانتشرت محاولات النهب والتدمير، فحين يبدأ الغضب في النفوس لا يمكن السيطرة عليه بأي صورة، وحرق المتظاهرون الغاضبون أقسام شرطة الأزبكية والسيدة زينب والدرب الأحمر وإمبابة والساحل، وحتى مديرية أمن القاهرة، وعدد من أبنية الخدمات العامة، واستراحات الرئاسة المنتشرة بطول مصر من أسوان حتى مرسى مطروح، ووصل الهجوم إلى بيت المحافظ بالمنصورة وتم نهب أثاثه وحرقه، واستغل المندسون الفرصة للنهب والسرقة واقتحام المحال ونهبها وسرقتها، خصوصًا في

منطقة وسط البلد وشارع قصر النيل.

وبعد حين من المواجهة الأمنية للانتفاضة سقطت كل القوى الأمنية، وولى معظمها هاربًا أمام كثافة المتظاهرين وأعدادهم، وبدأ ممدوح سالم يفقد السيطرة على الأحداث رويدًا رويدًا، إزاء حجم وكثافة المظاهرات وعنفها، وبدأ يشعر بالحاجة الماسة إلى تدخل الجيش للسيطرة، فاتصل بالفريق محمد عبد الغني الجمسي وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة، طلبًا للمساعدة، لكن الجمسي بدا رافضًا لفكرة اشتراك الجيش في قمع المظاهرات، خصوصًا أنه قد حصل بالفعل على وعد من السادات بعد حرب أكتوبر ألا يستعمل الجيش على الإطلاق في أيه عمليات ضد الشعب، مهما كانت الظروف، وقال لرئيس الوزراء «إنى اتفقت مع الرئيس على أن حرب أكتوبر وضعت الجيش بالنسبة للشعب في موضع لائق وعزيز، ولا ينبغي لهذه العلاقة أن تشوهها أي طوارئ سياسية، وقد وافقني الرئيس وأعطاني هذا الوعد»، ثم أردف أنه على أي حال لا يستطيع أن يحرك أية وحدات من القوات المسلحة إلى الشوارع إلا بأمر الرئيس، بوصفه رئيسًا للدولة وقائدًا أعلى للقوات المسلحة، ولكن بالطبع لم يكن الرئيس المذعور ليحافظ على أي وعود في مقابل تهديد أواصر عرشه، فأصدر الأمر على الفور للجمسي بتكليف الجيش بمسؤولية السيطرة على الموقف، إضافة إلى أوامر أخرى بإعلان الأحكام العرفية، وفرض حظر التجوال من السادسة مساء حتى السادسة صباحا.

وهبط الليل سريعًا، والمتظاهرون الذين ضربوا بقرار حظر التجوال عرض الحائط لا يتعبون ولا يملون، ويملأون الدنيا هتافات معادية لنظام حكم السادات، ويمزقون صوره ويرفعون صور عبد الناصر بدلاً منها، واستمرت الاشتباكات والعنف الشديد من قبل قوات الأمن حتى وقت متأخر من الليل، وتم

القبض على مئات المتظاهرين وعشرات النشطاء اليساريين، وسقط ٧٩ قتيلاً، وأصيب ٥٦٦ من بينهم ٢٠٣ من الشرطة و٣٦٣ من الأهالي، وبدا أن النهاية باتت قريبة جدًا...

وفي صبيحة اليوم التالي ١٩ يناير استمرت المظاهرات بنفس الكثافة، وخرجت الصحف الثلاثة الكبرى في مصر تتحدث عن المؤامرة الكبرى التي يشنها العالم أجمعه على مصر، وعن المخطط الشيوعي الذي يهدف لضرب الاستقرار وعجلة الإنتاج وإحداث البلبلة والاضطرابات وقلب نظام الحكم في مصر.

وخرج شيخ الأزهر عبد الحليم محمود بفتوى يؤكد فيها أن «هذه الاحتجاجات من أعمال الشيطان يراد بها الدمار لمصر وشعبها، والاشتراك في أعمال الشغب هذه بمثابة خروج عن الدين»، داعيًا المواطنين إلى التصدي بأنفسهم لمن يشترك في هذه الفتنة، وبعدها خرج وزير الأوقاف الشيخ محمد متولي الشعراوي ليؤكد ويدعم فتوى زميله في الأزهر، واستمرت المظاهرات في هذا اليوم بزخم أكبر وأكثر عنفًا، وقبل منتصف اليوم لم يجد السادات مفرًا من الاستسلام، ورضخ في النهاية وألغى قرارات رفع الدعم، وفي الثانية والنصف ظهرًا كانت نشرة الأخبار تعلن عن إلغاء القرارات الاقتصادية، وبدأت المظاهرات تنحسر تدريجيًا بعد إلغاء القرارات السابقة.

وقام الجيش والشرطة بالقبض على الآلاف بتهم المشاركة في أحداث الشغب، أو الانتماء للتنظيمات الشيوعية، وأفرج عن الأكثرية لاحقًا، إلا أن التهم وجهت تحديدًا إلى ١٧٦ متهمًا من رجال القانون والمحاماة والكتاب والفنانين، وقيادات الحركة الطلابية والعمالية وقيادات اليسار، مثل المهندس كمال خليل، والصحفية إكرام يوسف، والشاعر أحمد فؤاد نجم، أما أحمد بهاء الدين شعبان فقد تمكن من الهرب إلى لبنان قبل القبض عليه بلحظات، وتم توزيعهم على سجون طرة وسجن الاستئناف

بباب الخلق وسجن أبو زعبل، ووقف في مجلس الشعب متوعدًا «العيال بتوع انتفاضة الحرامية دول أنا حعرف أربيهم»

اختير القاضي المستشار «حكيم منير صليب» ومساعداه عضوا المحكمة القاضيان «أحمد محمد بيكار» و«علي عبد الحكيم عمارة» لنظر القضية رقم ١٠٠ لسنة ١٩٧٧ والخاصة بمحاكمات المتهمين بإشعال الانتفاضة، واستمر نظرها منذ أبريل ١٩٧٨ وحتى أبريل ١٩٨٠، وفي النهاية أصدر القاضي حكمه التاريخي المخفف بمعاقبة ١١ متهمًا بالسجن ثلاث سنوات، وحبس ٩ متهمين سنة واحدة، وبراءة باقي المتهمين جميعًا، وجاء الحكم التاريخي في القضية على قدر عال من الموضوعية والجرأة، وكانت حيثيات هذا الحكم بمثابة سيمفونية رائعة تتهم النظام بأنه المتسبب الرئيسي في ما حدث، وتسخر بشدة مما قدمته النيابة من قرار اتهام بناء على تحريات مغلوطة وعارية من الصحة، وجاء في هذه الحيثيات تقريع شديد لجهاز الأمن الذي قدم كتبًا ومجلات مما يباع في الأسواق كأدلة إدانة، ناهيك بالأخطاء الفادحة في كشوف الأسماء لمتوفين ومهاجرين خارج الوطن، وذكرت الحيثيات نكتة «الشاهد الطائر» عقيد المباحث الذي شهد على الأحداث في أكثر من منطقة في نفس الوقت.

انتهت الأحداث وانتهت معها ثقة السادات بنفسه، وأحس بضعفه وأفاق على حقيقة أنه رئيس بلا أي شعبية في الشارع على الإطلاق، ما جعله متاهبًا لإخراج الإخوان المسلمين من القيود والعزلة التي فرضها عليهم نظام عبد الناصر، وجعلهم يخرجون من كهوفهم للمشاركة في محاربة الشيوعيين والناصريين، الذين اعتبرهم السادات على رأس أعدائه، ظنًا منه أنهم سيقدرون ما فعل ويواجهون معركته ضد الشيوعيين والناصريين، بناء على نصيحة قدمها له المهندس عثمان أحمد عثمان وزير الإسكان والتعمير، ومحمد عثمان إسماعيل محافظ

أسيوط في ذلك الوقت، وبدأ بالفعل انتشار الإخوان في الجامعات والنقابات، كما ظهرت إلى جانب الإخوان جماعات إسلامية أخرى، كان من بينها جماعة الجهاد التي اغتالت السادات، وللمرة الأولى اشترك الإخوان في الانتخابات البرلمانية والطلابية والنقابية، وبدأ ظهورهم سياسيا، تحت سمع وبصر النبوي إسماعيل وزير الداخلية الذي جاء خلفًا لممدوح سالم، والذي جاء تعيينه إيذانًا بتحول في أسلوب تعاطي السلطة مع المعارضين، وشهد عهده البداية الحقيقية لتوغل الجهاز الأمني في مناحي الحياة، بدءًا من دخول الشرطة للجامعات، وتدخل الأجهزة الأمنية في انتخابات اتحادات الطلاب، ثمّ لاحقًا واحدة من أبرز حالات تزوير الانتخابات، وربما من المؤسسات لها، وهي حادثة تزوير انتخابات مجلس الشعب في ١٩٧٩، التي أطاحت بالعديد من رموز المعارضة المصرية آنذاك.

«كل ما تهل البشاير..
من يناير كل عام..
يدخل النور الزنازن..
يطرد الخوف والظلام»

أحمد فؤاد نجم

لا أحد يتعلم من التاريخ ..
انقلاب تشيلي

بحلول عام ١٩٦٩ أصبح هنري كيسنجر مستشار الأمن القومي للرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون، بالتزامن مع وصول المد الاشتراكي العالمي والحرب الباردة إلى أقصاها، ومع وصول كيسنجر لهذا المنصب قوي نفوذُ الحكومة الأمريكية، أو بالأحرى وكالة الاستخبارات المركزية CIA في الشؤون السياسية لدول أمريكا الجنوبية، بسبب اتجاه تلك الدول لتبني السياسات الاشتراكية واليسارية والشيوعية وتنامي العداء للرأسمالية، لدرجة جعلت الكثير من القسس يتركون وظائفهم الكنسية في معقل الكاثوليكية، ويتجهون للاشتراك في الثورات والتحريض ضد فساد الحكام الرأسماليين المرضي عنهم من الولايات المتحدة.

ولسنوات طوال كانت تشيلي واحدة من أهم المستعمرات الاقتصادية الأمريكية، فقد كانت أمريكا تستنفد ثروتها من النحاس بواسطة شركتي «أناكوندا» و«كينوكوت» الأمريكتين، وتستحوذ على سوق الاتصالات بواسطة شركة ITT الأمريكية، إلى جانب بعض مصانع السلع الاستهلاكية التي ينتفع منها رجال الأعمال التابعون للنظام، بالتعاون مع بعض جنرالات الجيش الذين كانوا يسيطرون على مفاصل الدولة اقتصاديًا، وأمنيا عن طريق القمع، وسياسيًا عن طريق تزوير الانتخابات، وكان «إدواردو فراي مونتالفا» المنتمي للحزب الديمقراطي المسيحي الموالي لأمريكا، آخر رئيس لدولة تشيلي يقوم الجنرالات بالتزوير والتلاعب في نتائج الانتخابات لفرضه رئيسًا للدولة بالقوة، في الانتخابات الرئاسية التي جرت يوم ٤ سبتمبر ١٩٦٤.

انتخب مونتالفا رئيسًا لتشيلي، وتولى مهام منصبه يوم ٤ نوفمبر من نفس العام، بعد خسارة منافسه المعارض الشرس «سلفادور إيزابيلينو أليندي جوسينز» للمرة الثالثة في الانتخابات الرئاسية، بعد فشله السابق في انتخابات ١٩٥٢ وانتخابات ١٩٥٨، لم يكن سلفادور أليندي الطبيب الماركسي المتطرف المنتمي للحزب

الاشتراكي التشيلي سياسيًا معروفًا أو مميزًا، لكنه كان قد اكتسب بعض الخبرة السياسية من جراء خوضه المتكرر للانتخابات، ولكونه نائبًا برلمانيًا سابقًا، إضافة إلى بعض من تأييد الشعب التشيلي الذي كان يكره الحزب الديمقراطي المسيطر على الحياة السياسية، فوضع أليندي على رأس التحالف الشعبي اليساري، ومع ذلك لم يكن هناك أي أمل في فوز أليندي أو غيره من المعارضين في الانتخابات الرئاسية، في ظل وجود العسكر على رأس السلطة الحقيقية للبلاد، وكاد أليندي يفشل في الانتخابات الرئاسية للمرة الرابعة على التوالي في انتخابات عام ١٩٧٠، لولا المفاجأة التي حدثت في اللحظات الأخيرة.

في ٢٧ أكتوبر ١٩٦٩ وقبل الانتخابات الرئاسية المستحقة في العام التالي، تولى «رينيه شنايدر شيرو» منصب القائد العام للقوات المسلحة، من قبل الرئيس «إدواردو فراي مونتالفا»، وكانت تلك غلطة العسكر الذين سيحاولون تحاشيها لاحقًا...

لم يكن أليندي هو المرشح الأمثل لقيادة الدولة، فقد كان ماركسيًا يتبع جماعة تسمى بائتلاف الوحدة الشعبية Unidad Popular ذات الأفكار الماركسية المتطرفة، وكان الشعب في حيرة من أمره بين انتخاب مرشحي العسكر والدولة العميقة، وبين انتخاب الماركسي المتطرف أليندي، فقرر عدد من الناخبين التغاضي عن مساوئ هذا الأخير، والاتجاه صوب ترجيح كفَّتُه في الانتخابات، وقد كان.

وفي الانتخابات الرئاسية التي جرت في ٤ سبتمبر ١٩٧٠، تفوق أليندي بفارق ضئيل جدًا على خصميه «جورج أليساندري رودريجيز» و«رادوميروتوميك روميرو» بنسبة ٣٦،٣٪ مُقابل ٣٤،٩٪ و٢٧،٩٪ من إجمالي عدد الأصوات بفضل أصوات عاصري الليمون، إلا أن أيا من المرشحين لم يحصل على الأغلبية المطلقة من الأصوات، وأكد المؤتمر الوطني التشيلي أن العملية

الانتخابيـة لـم تنتـه بعـد، ورفـض أنصـار أليسـاندري الاعـتراف بهزيمـة مرشـحهم.

جـاءت النتيجـة مفاجـأة لأمريـكا ولكيسـنجر نفسـه، حـتى إنـه قـال «لا أفهـم لمـاذا يجـب علينـا الوقـوف مكتـوفي الأيـدي، ونحـن نشـاهد دولـة تتحـول إلى الشـيوعية بسـبب انعـدام مسـؤولية أهلهـا، الظواهـر كثـيرة جـدًا وواضحـة للغايـة، ويجـب عـلى مواطـني تشـيلي أن يتخـذوا قرارهـم بأنفسـهم»، وبنـاء عليـه قامـت «لجنـة الأربعين» برئاسـة كيسـنجر بالتنسـيق مـع المخابـرات الأمريكيـة بالعمـل لإعاقـة تنصيـب ألينـدي رئيسًـا، مـن خـلال خطـة سريـة سـميت بالخطـة Track I والخطـة Track II، سـعت الخطـة Track I إلى منـع ألينـدي مـن الوصـول للسـلطة، مـن خـلال مـا يسـمى بالاحتيـال البرلمـاني، بينمـا سـعت الخطـة Track II إلى إقنـاع بعـض القيـادات العسـكرية في الجيـش التشـيلي للقيـام بانقـلاب عسـكري.

وكمـا أتى تقـدم ألينـدي مخيبًـا للولايـات المتحـدة الأمريكيـة، أتى أيضـا مخيبًـا لحسـابات جـنرالات الجيـش، الذيـن حاولـوا التدخـل لمنـع حـدوث ذلـك بـكل الطـرق، لكـن رينيـه شـنايدر القائـد العـام للقـوات المسـلحة تصـدى لتدخـل القوات المسـلحة، ورفض وبشـدة فكـرة منـع تنصيـب ألينـدي عـن طريـق انقـلاب عسـكري، وأكـد عـلى رغبتـه في الحفـاظ عـلى تاريـخ الجيـش بعيـدًا عـن منـاورات السياسـة، وبـدا شـنايدر عائقًـا أمـام عسـكر تشـيلي في التخلـص مـن ألينـدي، وأصبـح تحييـده أو التخلـص منـه شرطًـا أساسـيًا وضرورة قصـوى كتمهيـد لانقـلاب عسـكري مرتقـب، بالتعـاون مـع وكالـة الاسـتخبارات الأمريكيـة الـCIA، وكـرد فعـل سريـع لتنحيـة شـنايدر عـن المشـهد نهائيًـا، ووضعـت خطـة تقـضي باختطافـه والتخلـص منـه، ينفذهـا مجموعـة مـن الضبـاط بقيـادة الجـنرال التشـيلي «كاميلـو فالنزويـلا» ثـم ألقـاء تبعيـة الاغتيـال عـلى أنصـار ألينـدي.

جـاءت المحاولـة الأولى لاغتيال شـنايدر في ١٦ أكتوبـر ١٩٧٠، وحاولت

مجموعة الاغتيال الأولى اختطافه من منزله، لكنها فشلت بسبب تلقيه مكالمة هاتفية من مجهول تنذره بمحاولة اغتياله، فغادر منزله قبل هذا التاريخ بيومين ولم يعد حتى اليوم التالي، ثم جاءت المحاولة التالية في مساء ١٩ أكتوبر ١٩٧٠ عن طريق بعض الضباط الموالين للجنرال «روبرتو فياوكس» عن طريق إطلاق قنابل الغاز المسيلة للدموع وانتزاع شنايدر من سيارته عند مغادرته حفل عشاء رسمي، وفشلت المحاولة بسبب خروجه في سيارة خاصة، وليس سيارته الرسمية المتوقع أن يستقلها، ثم جاءت المحاولة الثالثة والأخيرة في ٢٢ أكتوبر ١٩٧٠ عندما غادر شنايدر منزله في سيارة مرسيدس يقودها العريف ليوبولدو مورا، فنصب المتآمرون كمينًا عند تقاطع شارعي زامورا وأميريكو، واعترضوا سيارته بعدة سيارات، وحدث كل شيء بسرعة جدًا فخرج أحدهم وسحق زجاج سيارة شنايدر الأمامي والخلفي بمطرقة، وأفرغ الآخر طلقات مسدسه عيار ٤٥ ملم إلى صدر شنايدر، الذي دافع عن نفسه ببندقيته الخاصة، إلا أنه تلقى عدة طلقات قاتلة من مسافة قريبة، وتم نقله إلى مستشفى عسكري، ليموت بعد ثلاثة أيام في ٢٥ أكتوبر، ويصبح الطريق ممهدًا أمام العسكر للانقلاب على أليندي، أو هكذا ظنوا وقتها...

أثار مقتل شنايدر عاصفة واسعة من الغضب والاحتجاجات الشعبية، وأتى بنتائج عكسية تمامًا بعدما احتشد المواطنين وراء أليندي نكاية في العسكر، فلم يجد البرلمان التشيلي بدًا من التصديق في ٢٤ أكتوبر على فوز أليندي بالمنصب، على الرغم من عدم حصوله على الأغلبية المطلقة، كما ساعد البرلمان على ضمان نقل منظم للسلطة، وأصبح سلفادور أليندي أول رئيس منتخب بدون تزوير في تاريخ دولة تشيلي، ووقف أليندي في شرفة مبنى في شارع ألاميدا ليلقي بخطاب النصر، قائلاً «النصر لم يكن سهلا، ولكنه سيكون أكثر صعوبة لتوطيد هذا

النـصر وبنـاء الوطـن الجديـد، والتعايـش بالأخـلاق مـرة أخـرى»، وفـور توليـه السـلطة وفي ٢٦ أكتوبـر، عـين أليـندي الجـنرال كارلـوس براتـس جونزاليـز في منصـب القائـد العـام للقـوات المسـلحة، خلفًـا للراحـل شـنايدر.

لـم يكـن أليـندي وجماعتـه يمتلكـون أي خـبرة حقيقيـة في إدارة البـلاد، وبـدأ يتخبـط يمينًـا ويسـارًا، فـشرع يؤمـم صناعـة التعديـن والنسـيج والبنـوك والـشركات التجاريـة الأجنبيـة العاملـة في تشـيلي، ولـم يكتـفِ بذلـك وإنمـا دفـع باتجـاه إقـرار إصـلاح زراعـي، بغيـة انـتزاع مـا يقـرب مـن ٢٠ ألـف كيلومـتر مربـع مـن الأراضي المملوكـة لكبـار الإقطاعيـين، وتسـليمها إلى المزارعـين والجماعـات البدويـة، وحـددت الدولـةُ أسـعار المـواد الغذائيـة الأساسـية، إلا أن تلـك السياسـة الاقتصاديـة سـاهمت بشـكلٍ أو بآخـر في رفـع معـدل التضخـم مـن ٢٩٪ عـام ١٩٧٠، إلى ١٦٠٪ في خـلال سـنتين فقـط، ومما زاد الطـين بلّـة، وقـوع مـا يقـرب مـن ٦٠٠ هجـوم إرهـابي في أثنـاء فـترة حكـم أليـندي، اسـتهدفت كبـاري وشـبكات السـكك الحديديـة وأنابيـب نقـل النفـط ومحطـات توليـد الطاقـة الكهربائيـة، وفي عـام ١٩٧٢ أرغمـت أزمـة عجـز المـواد الغذائيـة الحكومـةَ عـلى تقديـم تلك المـواد عـلى بطاقـة التمويـن، وعندمـا تصاعـدت وتـيرة الإضرابـات العماليـة في خريـف عـام ١٩٧٢ في بعـض الأقاليـم، وتحولـت إلى معـارك وصدامـاتٍ في الشـوارع، أعلـن أليـندي حالـة الطـوارئ ووضع الأمـور كلهـا في يـد الجيـش، وكانـت خطيئتـه الكـبرى أنـه بـدلاً مـن أن يعـزز هـذا النضـال باعتبـاره قاعدتـه الشـعبية، الـتي يمكـن أن يسـتند عليهـا ليتخـذ إجـراءات ثوريـة حقيقيـة، لجـأ إلى الاسـتناد عـلى الجيـش، فشـكل وزارة جديـدة مـن جـنرالات الجيـش، بغيـة السـيطرة عـلى الوضـع المُتصاعـدة وتيرتُـه، معتقـدًا أن هـذه هـي الوسـيلة التي يمكـن أن يمنـع بهـا الأوضـاع مـن الانفجـار، وفي مايـو ١٩٧٣ افتعـل أليـندي أزمـة مـع المحكمـة الدسـتورية، الـتي رأى أنهـا تحـد مـن

بعض سلطاته، فقام بحلها ضاربًا بالديمقراطية عرض الحائط، ثم قام بتعديل الدستور التشيلي الذي وافق الشعب عليه مرغمًا، وعلى الرغم من ذلك حصدت جماعة أليندي المسماة بـ«ائتلاف الوحدة الشعبية» ٤٤٪ من إجمالي عدد الأصوات، في الانتخابات البرلمانية التي أُجريت بداية عام ١٩٧٣، في نفس الوقت الذي كونت فيه قوى المعارضة «جبهة إنقاذ» بغية محاولة وقف تردي الأوضاع وتعدي أليندي على الديمقراطية، وثارت جموع الشعب المحبطة التي نزلت إلى الشوارع، تطالب جنرالات الجيش أن يتحركوا لإنقاذ الدولة من أليندي الماركسي المتطرف، والحقيقة أنه باستثناء تأميم مناجم النحاس، لم يكن أداء حكومة الوحدة الشعبية برئاسة أليندي أداء ثوريًا بأي حال من الأحوال، على الرغم من إصرار الحزب الشيوعي التشيلي، والحزب الاشتراكي التشيلي، القطبين الرئيسيين في حكومة الوحدة الشعبية، على تسمية عملية وصول أليندي لرئاسة الجمهورية في ١٩٧٠ بـ«الثورة السلمية»، إلا أن أداء أليندي وحكومته لم يتجاوز سقف الحكومة الإصلاحية التي سبقته، فحكومة أليندي لم تطرح قانونًا جديدًا للإصلاح الزراعي بخلاف ما طرحته الحكومة السابقة، ولم تسترد المصانع لصالح العاملين فيها، إضافة إلى أن أليندي كان قد وقع على اتفاقية مع ممثلي الرأسمالية التشيلية، سميت «قانون الضمانات»، يتعهد فيها بعدم أحداث أي تغيير جوهري في بنية مؤسسات الدولة القديمة، أي أنه ألزم نفسه بالعمل من خلال المؤسسات القديمة وبالأسلوب القديم ذاته.

في ٢٩ يونيو ١٩٧٣ قام الجنرال براتس، القائد الأعلى للقوات المسلحة، وبمساعدة عسكريين مساندين للحكومة، بإفشال محاولة الانقلاب التي نفذها لواء المدفعية في الجيش، والتي عرفت بـ«إنقلاب الدبابات»، وعندما قام البرلمان التشيلي في ٢٢

أغسطس بالتصويت على سحب الثقة من رئيس الجمهورية وطالب الجنرالات بالاستقالة، انسحب كارلوس براتس من الحكومة، تاركًا مهامه لنائبه الجنرال أوجستو خوزيه رامون بينوشيه، بموافقة أليندي الذي استحسن تعيين بينوشيه في المنصب، ظنًا منه أنه سيعاونه في السيطرة على الأمن العام.

لم يدر أليندي أن أيامه صارت معدودة، وباتت الأرض ممهدة لانقلاب عسكري شامل، بمعرفة جنرالات الجيش وعلى رأسهم «أوجستو بينوشيه»، خصوصًا بعدما تحولت تشيلي إلى كتلة من اللهب من جراء الإضرابات والمظاهرات المستعرة طوال الوقت، حتى إن المؤرخ ماريو جونجورا وصف تلك الفترة من تاريخ تشيلي بأنها «حرب أهلية منزوعة الأسلحة»، وتفيد وثائق مؤكدة بأن المخابرات المركزية الأميركية مولت إضراب سائقي الشاحنات، الذي تسبب في الفوضى الاقتصادية التي سبقت الانقلاب، وجرت عملية الانقلاب العسكري على أليندي بطريقة سرية للغاية لقبت بـ«مشروع فوبلت»، وكان وزير الخارجية الأمريكي ويليام روجرز، ووزير الدفاع ملفن ليرد، والسفير الأمريكي في سانتياجو إدوارد كوري، على اطلاع بهذه العملية، ويقال إن وزارة أمن الدولة Ministerium für Staatssicherheit في ألمانيا الشرقية المعروفة باسم «شتازي» قد علمت بالخبر عبر عملاء مزدوجين لها في ألمانيا الغربية، ولكن جاء هذا متأخرًا للغاية، ولم يتسن لهم تحذير أليندي.

كنتيجة للمظاهرات العنيفة التي عمت جميع أرجاء البلاد، وكمحاولة أخيرة فاشلة للسيطرة على الوضع من ناحيته، أعلن سلفادور أليندي في ١٠ سبتمبر ١٩٧٣ استعداده لدعوة الجماهير إلى استفتاء شعبي لتقرير استمراره في السلطة من عدمه، لكنه كان متأخرًا جدًا في اتخاذ القرار، ففي السادسة والثلث من صباح اليوم التالي ١١ سبتمبر ١٩٧٣، استيقظ أليندي على اتصال هاتفي

مـن مجهـول، أخـبره المتحـدث بـأن الأسـطول الحـربي المتمركـز قبالـة سـواحل مدينـة «فالبارايسـو» يهـدده ويطالبـه بالاسـتقالة مـن منصبـه. حـاول ألينـدي مـرارًا وتكـرارًا أن يسـتوضح الأمـر مـن وزيـر الداخليـة أو مـن القائـد الأعـلى للقـوات المسـلحَّة، الجـنرال أوجسـتو بيونشـيه، لكنـه فشـل، وبعـد أن يئـس مـن الوصـول إلى أي منهـم، قـرر أن يصطحـب أعضـاء حكومتـه وذويـه، ومسـاعدته الخاصـة وعشـيقته ماريـا كونتريـراس، وبعـض الأصدقـاء المقربـين، ويذهـب إلى قـصر الرئاسـة في لامونيـدا، وفي نفـس الوقـت تحركـت القـوات المسـلحة التشـيلية بأوامـر مـن «الخوانتـا» (المجلـس العسـكري التشـيلي) لتسـيطر عـلى المناطـق الاسـتراتيجية، ووجـه جـنرالات الخوانتـا وعـلى رأسـهم الجـنرال بيونشـيه إنـذارًا عـبر الإذاعـة التشـيلية إلى الرئيـس سـلفادور ألينـدي، مطالبـين إيـاه بالاسـتقالة مـن منصبـه وبنقـل السـلطة إليهـم، وأن تتوقـف كل وسـائل الإعـلام الرسـمية عـن بـث الأخبـار، وإلا سـتتعرض للهجـوم مـن قبـل القـوات المسـلحة، وعندمـا امتنـع ألينـدي عـن تنفيـذ طلبهـم تحركـت القـوات المسـلحة نحـو القـصر الجمهـوري، وهـددوه بتدمـير القـصر الرئـاسي عـلى مـن فيـه، وعقـب تلقيـه هـذا التهديـد قـام ألينـدي بإخـراج أغلـب الحاضريـن معـه مـن البنايـة، وبينهـم اثنتـان مـن بناتـه، وطبيبـه، وحارسـه الشـخصي، وسـكرتيره الخـاص، وقبـل دقائـق مـن قصـف القـصر الجمهـوري توجـه ألينـدي، عـبر إذاعـة سريـة، بخطابـه الأخـير للأمـة، ودع بهـا شـعبه وألقـى بفشـله في إدارة شـؤون البـلاد وتدهـور الاقتصـاد والتضخـم عـلى الإمبرياليـة وعمـلاء الغـرب، ومـع حلـول الظهـيرة دوَّت المدفعيـة وبـدأ قصـف القـصر بالدبابـات والمدفعيـة والطائـرات، وقبـل غـروب الشـمس اقتحمـت قـوات الجيـش القـصر الرئـاسي، فأعلـن سـلفادور ألينـدي استسـلامه، وارتـدى الوشـاح الرئـاسي الـذي مـيز رؤسـاء تشـيلي طـوال قرنـين مـن الزمـان، وانسـحب مـع مـن تبقـى معـه إلى «صالـة الاسـتقلال» داخـل

القصر وهناك كانت النهاية.

تقول الروايةُ الرسمية إن أليندي انتحر هناك برصاصة في الرأس، مفضلا ذلك على سقوطه في يد بينوشيه ورجاله، لكن الاحتمال الأغلب أنه قاوم القوة المناط بها اعتقاله فأردته قتيلا، ونجحت زوجة أليندي في الهروب برفقة بناته الثلاث إلى خارج البلاد، وكذلك فعلت عشيقته ماريا كونتريراس، وأعلن الجنرال أوجستو بينوشيه في خطابه عبر التلفاز استلامه السلطة وتوليه زمام الأمور لإنقاذ البلد من من الفوضى التي سببتها حكومة أليندي الماركسية، وأكد أن لديه وثائق تؤكد تخطيط حكومة أليندي لإقامة دولة ديكتاتورية في تشيلي، وأن ما فعله كان نابعًا من وطنيته الخالصة، وأصدر قرارًا بإلغاء الصحف وتعليق العمل بالدستور وحل البرلمان وحظر كل الأحزاب المحسوبة على ائتلاف الوحدة الشعبية، حتى تستقر البلاد، وحظر المجلس العسكري والحكومة رسميًا الفكر الاشتراكي والماركسي واليساري، وقبل نهاية اليوم الأول كانت قوات الشرطة العسكرية والجيش قد ألقت القبض على ٢١٣١ شخصًا لأسباب سياسية، وتجاوز عدد هؤلاء أكثر من ١٣ ألفًا بنهاية العام ١٩٧٣، واستمر القتال لبضعة أيام في الأحياء العمالية والورش والمصانع، بين الجيش من ناحية، وبين العمال ورافضي الانقلاب العسكري من ناحية أخرى، وحتى نوفمبر ١٩٧٣ وصل عدد المعتقلين أكثر من ٤٥ ألف سجين سياسي، وأغلب الحالات لم يعلم فيها ذوو المسجون عن مصيره شيئًا، ولم يكن مسموحًا بحضور المحامين للمحاكمات، ولم تقم أية محاكمات علنية، وتقول التقديرات إن نحو ٢٠ ألفًا من خصوم «الخوانتا» قد أُطيح بهم إلى المنفى، وفي ٣٠ سبتمبر ١٩٧٤ لقي كارلوس براتس القائد الأعلى للقوات المسلحة السابق، وزوجته صوفيا كاتبيرت، حتفهما إثر هجوم بقذيفة متفجرة.

في ١٧ ديسمبر ١٩٧٤ اختار أعضاءُ الخوانتا الجنرال أوجستو

بيونشيه رئيسًا لجمهورية تشيلي، ورقى نفسه بنفسه إلى رتبة «كابتن جنرال»، وحكم بينوشيه البلاد بالحديد والنار، وتحوّلت المباني العامة إلى معسكرات اعتقال، وقد مثلت مذبحة «الاستاد القومي» Estadio Nacional في العاصمة سانتياجو نقطة سوداء في تلك الحقبة، فقد سيق إلى هناك عدد من المعتقلين يقدر بالآلاف ثم فتحت عليهم قوات الجيش النيران فأردتهم جميعًا قتلى، وحتى يومنا هذا لا يعلم أحد العدد الحقيقي لضحايا مذبحة الاستاد القومي، وقاسى كثيرٌ من السجناء سوء العذاب، ولقي على الأقل ٣١٩٧ مواطنا تشيليا حتفهم، من جراء التعذيب، طبقًا للتقرير النهائي للجنة «الحقيقة والمصالحة» المعروفة اختصارًا باسم لجنة «ريتج»، واختفى الكثير من المُختطفين من دون أثرٍ لهم، وشاع أن المسجونين والقتلى كان يُقذف بهم من الطائرات في عرض البحر، وشارك بينوشيه رسميًا في العملية كوندورoperation condor، وهي برنامج أمريكي لتصفية المعارضين للسياسات الرأسمالية، جرى تطبيقه في عدد من دول أمريكا اللاتينية، وعلى رأسها الأرجنتين وبوليفيا والبرازيل وباراجواي وأوروجواي وبيرو، وتشيلي بالطبع، ونتج عنه مقتل ما يزيد عن ٦٠ ألف معارض في تلك الدول، منهم السفير التشيلي السابق لدى الولايات المتحدة أورلاندو يتيليه، الذي قتل في انفجار سيارة ملغومة، وكان التعذيب يطال جميع المعارضين، واستخدم فيه وسائل بشعة كالتعذيب بالصدمات الكهربائية والاغتصاب والعنف الجنسي بجميع أشكاله، والحرمان من النوم والطعام لفترات طويلة والترهيب بالإعدامات الوهمية، وأنشئت معتقلات جديدة كي تسع هذا الكم الهائل من المعتقلين، مثل معتقل «كولونيا ديجنيداد» سيئ السمعة الذي عرف بأنه مركز التعذيب الرئيسي في تشيلي، وعندما عارض قائد القوات الجوية الجنرال «لاي» سياسات بينوشيه بشكل متزايد، طرد من الخوانتا

في ٢٤ يوليو ١٩٧٨ واستبدل بالجنرال فرناندو ماتهي.

لم يصمت القضاء التشيلي الشامخ على تلك الانتهاكات بالطبع، وقام بمحاكمة ٧٠٠ قيادة أمنية وعسكرية على تلك الانتهاكات، أدين منهم ٧٠ جنرالا فقط، وسجن منهم ٦٠ جنرالا وقائدا عسكريا فقط، في مجمع منظم فخم يليق بمناصبهم العسكرية الرفيعة.

في أكتوبر ١٩٧٨، قدمت اللجنة التي شكلها المجلس العسكري مشروعًا للدستور، يقر على الاستفتاء على مرشح واحد للسلطة بدلاً من الانتخابات التعددية، وأدخل عليه أصحاب السلطة بعض التعديلات، وأقحم بينوشيه على مشروع الدستور مادة تنص على أنه في حالة خسارته لمنصب رئيس الدولة، يعود مرة أخرى إلى منصبه كقائد أعلى للقوات المسلحة، إلى جانب احتفاظه بمقعد ثابت في مجلس الشيوخ بما له من حصانه مدى الحياة، ووافق الشعب عليه في استفتاء تعديل الدستور عام ١٩٨٠، وبناء على الدستور الجديد، ظل أوجستو بيونشيه في منصبه رئيسًا للجمهورية بصلاحياتٍ واسعة للغاية، وهنا تحول الرئيس التشيلي السابق إدواردو فراي مونتالفا الذي كان أحد أشد المؤيدين لانقلاب بينوشيه العسكري على أليندي، إلى معارض شرس لبينوشيه، حتى إنه قاد عدة مظاهرات ضد تمديد فترة رئاسته، وفي ٢٢ يناير ١٩٨٢ قتل مونتالفا بمادة سامة من إنتاج الكيميائي «يوجينيو بيريوس» الذي أمره بينوشيه في السابق بإنتاج كميات من غاز السارين القاتل، وبتشريح جثة إدواردو فراي ثبت تعرضه لغاز الخردل القاتل.

أعاد بينوشيه الشركات التي قام أليندي بتأميمها في السابق إلى ملاكها الأصليين، وتدهور الاقتصاد في عهده بشكل غير مسبوق، وتدنى دخل الفرد، وارتفع التضخم حتى وصل إلى ٣٧٠٪، وألغى الحد الأدنى للأجور، وأبطل حقوق اتحاد العمال، وخصخص

نظـام الراتـب التقاعـدي والصناعـات الرسـمية والبنـوك، وخفـض الضرائـب عـلى الـثروات والأربـاح، وارتفـع معـدل البطالـة مـن ٤٫٣٪ في ١٩٧٣ إلى ٢٢٪ في عـام ١٩٨٣، بينمـا هبطـت الأجـور الحقيقيـة بنسـبة ٤٠٪، وبحلـول عـام ١٩٨١ كانـت تشـيلي قـد أفلسـت تمامًـا.

اسـتمر بينوشـيه حاكمًـا منفـردًا لسـبعة عـشر عامًـا، كان فيهـا العـدو الأول لـكل مفكـري وكتـاب أمريـكا اللاتينيـة، وعـلى رأسـهم الحائـز عـلى جائـزة نوبـل جابرييـل جارسـيا ماركيـز، الـذي كتـب كتابًـا عـن نظامـه أسـماه «مهمـة سريـة في تشـيلي»، واسـتلهم سـيرته في روايتـه الشـهيرة «خريـف البطريـرك»، وكذلـك الروائيـة التشـيلية «إيزابيـل ألينـدي» ابنـة أخـي سـلفادور ألينـدي، الـتي اسـتعادت انقلابـه العسـكري في روايتهـا «بيـت الأرواح» وكتبـت عـن فظائـع نظامـه، وعـبرت عـن ثرواتـه الهائلـة في أحـد فصـول الروايـة، قائلـة «لـم يكـن جـدي قـادرًا عـلى متابعـة ثرواتـه»، كان يكفـي أن يتركهـا في البنـوك لتتضاعـف وحدهـا، وحـتى الكاتـب الإنجليـزي الشـهير جراهـام جريـن الـذي كان مـن أكـبر مُعاديه، وحـرم بينوشـيه الأحزاب السياسـية اليسـارية ومنـع أي نشـاط سـياسي، وطـارد اليسـاريين في كل أنحـاء البـلاد، وقُتـل واختفـى أكـثر مـن ثلاثـة آلاف تشـيليّ عـلى يـد نظامـه، كمـا عُـذب وسُـجن أكـثر مـن سـبعة وعشريـن ألفًـا ونفُـي الكثـيرون أو هربـوا طالبـين اللجـوء السـياسي، وصـارت البـلاد كلهـا تمـور بالكراهيـة لنظـام بينوشـيه، الـذي أطلـق عليـه المعارضـون اسـم «بينوكيـو» كنـوع مـن السـخرية منـه ومـن نظامـه، وتحولـت تشـيلي إلى سـجن كبـير في عهـده، وأورد تقريـر «فاليـك» أكـثر مـن ٢٨ ألـف حالـة تعذيـب في عهـد بينوشـيه.

في مايـو ١٩٨٣ بـدأت المعارضـة والحـركات العماليـة تكـسر الجمـود السـياسي وتنهـض مـرة أخـرى مـن جديـد، وبـدأت بتنظيـم الإضرابـات وحـركات العصيـان المـدني، وأثـارت هـذه الحـركات ردود فعـل عنيفـة في الشـارع التشـيلي، وتصاعـدت وتـيرة المعارضـة ضـد

بينوكيـو بقيـادة المعـارض «ريـكاردو لاجـوس»، وتحـت الضغـط المسـتمر مـن جانـب المعارضـة، تقـرر إجـراء اسـتفتاء شـعبي غـير اعتيـادي في أكتوبـر ١٩٨٨ لتعديـل مـواد الدسـتور المتعلقـة حـول مـا إذا كان بينوشـيه ينبغـي أن يكـون المرشـح الوحيـد في الانتخابـات الرئاسـية المُزمـع تنظيمهـا لاحقًـا، وتولـت المحكمـة العليـا في تشـيلي تنظيـم الاسـتفتاء، ونشـطت المعارضـة بشـدة ونـشرت إعلانـات مسـتبشرة تحـرض الشـعب عـلى رفـض بينوشـيه، ووجـد بينوشـيه نفسـه مُطالبًـا بالإجابـة عـلى أسـئلة تتعلـق بالذيـن اختفـوا وقُتلـوا وعُذبـوا، وفي الاسـتفتاء العـام صـوت الشـعب التشـيلي بنسـبة ٥٥٪ عـلى رفـض اسـتمرار بينوشـيه كمرشـح وحيـد في الانتخابـات الرئاسـية، في مقابـل ٤٥٪ قالـوا نعـم، وبنـاء عـلى نتائـج الاسـتفتاء كان عـلى بينوشـيه أن يرحـل عـن السـلطة، وحكمـت المحكمـة العليـا بصحـة الانتخابـات، وتلتهـا الانتخابـات الرئاسـية العامـة في ١٤ ديسـمبر ١٩٨٩ الـتي فـاز بهـا «باتريشـيو آيلويـن أذوكار» الديمقراطـي المسـيحي، وفي ١١ مـارس ١٩٩٠ تـرك بينوشـيه رئاسـة الدولـة في أول انتخابـاتٍ حـرة في تشـيلي بعـد الانقـلاب العسـكري، بعـد ١٧ عامـا مـن الديكتاتوريـة والتعذيـب والقهـر، وبنـاء عـلى نصـوص دسـتور ١٩٨٠ الانتقـالي، احتفـظ بينوشـيه بمنصبـه كقائـد للجيـش، وأقسـم اليمـين كشـيخ في الكونجـرس، مـا أعطـاه حصانـة ضـد المحاكمـة.

في عـام ١٩٩٨ سـافر رجـل تشـيلي القـوي والحاكـم الديكتاتـور العجـوز، الـذي بقـي يتمتـع بنفـوذ هائـل عـلى الحيـاة السياسـية في تشـيلي، إلى بريطانيـا لإجـراء فحـوص طبيـة، وبينمـا كان هنـاك، اعتقـل بتفويـض قضـائي أصـدره القـاضي الإسـباني «بالتاسـار جارسـون»، وبقـي قيـد الإقامـة الجبريـة في بريطانيـا لأكـثر مـن سـنة، توالـت فيهـا طلبـات تسـليمه للمحاكمـة مـن دول أخـرى مثـل فرنسـا وبلجيـكا وجمهوريـة ألمانيـا الاتحاديـة، وبنـاء عليـه بـدأت محاكمتـه والتنقيـب في حسـاباته في الخـارج، حيـث اكتشـفت حسـابات لـه في

الولايـات المتحـدة تقـدر بملايـين الـدولارات مـن أمـوال شـعب تشـيلي، وفي مـارس ١٩٩٩ قضـت المحكمـة البريطانيـة بـأن بينوشـيه لا يمكـن أن يحاكـم عـلى الأفعـال السـابقة لعـام ١٩٨٨، لأن بريطانيـا انضمـت إلى اتفاقيـة مناهضـة التعذيـب في عـام ١٩٨٨، ونتيجـة لذلك تـم تجاهـل كل الدعـاوى القضائيـة بشـأنه، قبـل إطـلاق سراحـه لأسـباب طبيـة عـام ٢٠٠٠، ويعـود إلى تشـيلي حيـث اسـتقبله مؤيـدوه اسـتقبال الفاتحـين، حـتى إنهـم يفتخـرون حـتى اليـوم بكونـه البطـل الـذي أنقـذ تشـيلي مـن شـبح الشـيوعية، وقـضى عـلى الجماعـات الإرهابيـة الثوريـة مثـل مـير MIR، لكـن بينوشـيه كان قـد سـقطت عنـه الحصانـة البرلمانيـة وتـرك مقعـده كسـيناتور، ومـع ذلـك لـم يحاكـم عـلى أفعالـه بعـد قـرار مـن المحكمـة العليـا في تشـيلي بأنـه يعـاني مـن «خـرف وعـائي».

في ٣٠ نوفمـبر ٢٠٠٤ نـشرت اللجنـة الوطنيـة للاعتقـال السـياسي والتعذيـب، تقريرهـا عـن فظائـع نظـام بينوشـيه، واسـتخدام التعذيـب بشـكل منهجـي في جميـع فـروع القـوات المسـلحة مـن الجيـش، وجميـع قـوات الأمـن والشرطـة وأجهـزة المخابـرات، وفي مايـو ٢٠٠٤ حكمـت محكمـة تشـيلي العُليـا بنـاء عـلى تصرفاتـه بأنـه قـادر عـلى الصمـود في محاكمـة، وبـدأت محاكمتـه بالفعـل في ديسـمبر مـن العـام نفسـه لتهـم تتعلـق بحقـوق الإنسـان، وفي عـام ٢٠٠٥ قـام القضـاء التشـيلي بعمـل إصلاحـات عـلى تشريعـات السـلطة السياسـية الرسـمية للجيـش، وقننـت للرئيـس سـلطة إزاحـة كبـار القـادة العسـكريين مـن مناصبهـم، وفي ٣ ديسـمبر ٢٠٠٦ تعـرض بينوشـيه لنوبـة قلبيـة، وفي ١٠ ديسـمبر ٢٠٠٦ أعلـن عـن وفاتـه رسـميًا في المستشـفى العسـكري، وحدثـت مظاهـرات ضخمـة في الشـوارع مـن قبـل معارضيـه في وسـط مدينـة سـانتياجو، وكذلـك أخـرى لمؤيديـه أمـام المستشـفى العسـكري في فيتاكـورا.

خـلال فـترة حكـم بيـل كلينتـون الثانيـة، قامـت المخابـرات

الأمريكيــة بإصــدار وثيقــة تعــترف فيهــا بلعبهــا دورا في الحيــاة السياســية التشــيلية مبــاشرة، قبــل الانقــلاب العســكري في تشــيلي، لكنهــا نفــت تــورط الولايــات المتحــدة بشــكل مبــاشر في عمليــة الانقــلاب، مــع إقرارهــا أنهــا كانــت عــلى علــم بــه قبــل يومــين مــن حدوثــه. في عــام ١٩٩٥ عــثر عــلى جثــة الكيميــائي يوجينيــو بيريــوس المســؤول الأول عــن إنتــاج غــاز الســارين بأوامــر مــن بينوشــيه، مقتــولاً بالقــرب مــن مونتيفيديــو وفي ١٠ ســبتمبر٢٠٠١ تقدمــت عائلــة شــنايدر بدعــوى قضائيــة ضــد هــنري كيســنجر، واتهمــوه بالتواطــؤ مــع الجــنرال فياوكــس في الترتيــب لقتــل شــنايدر عــام ١٩٧٠ مــن قبــل عمــلاء الــCIA وهــو مــا صرح بــه محامــي العائلــة مايــكل تايجــر، والــذي قــدم للمحكمــة وثائــق تثبــت دفــع مبالــغ تصــل إلى ٣٥٠٠٠ دولار أمريــكي لــكل عميــل، لقــاء الاغتيــال.

لا أحد يتعلم من التاريخ..
ثورة إندونيسيا

في مايـو ١٩٩٨ كانـت كل الدلائـل تشـير إلى اقـتراب النهايـة بسرعـة وشـيكة في إندونيسـيا...

كانـت الجماهـير تغـلي مـن الغضـب بسـبب سياسـات الديكتاتـور سـوهارتو، وفسـاده الـذي أودى بالبـلاد إلى نفـق مظلـم، وتسـبب في أزمـة اقتصاديـة طاحنـة كان مـن نتائجهـا تدهـور شـديد في معيشـة الملايـين مـن الفقـراء والعمـال والفلاحـين، وارتفـاع هائـل في مسـتوى البطالـة والأسـعار.

لـم تكـن الحـال مثـل الحـال يـوم أن تـولى سـوهارتو حكـم البـلاد عـام ١٩٦٧ بعـد حيـاة عسـكرية حافلـة، فقـد شـهدت إندونيسـيا في بدايـة عهـده فـترات مـن الحـرب والسـلام والنمـو الاقتصـادي، لكـن السـلطة المطلقـة مفسـدة مطلقـة، وسرعـان مـا تحـول سـوهارتو إلى ديكتاتـور يحكـم البـلاد بالحديـد والنـار، وكانـت القبضـة الأمنيـة الحديديـة والاعتقـالات والتعذيـب المتواصـل هـي السـمة المميزة لعهـده، فأقـصى سـوهارتو كل أشـكال المعارضـة، واضطهـد الشـيوعيين واعتقلهـم في السـجون، وأحكـم سـيطرته عـلى الإعـلام وشـيطن المعارضـة، وأفسـد الحيـاة السياسـية عندمـا سـيطر بحزبـه «جولـكار» عـلى السـلطة، ونهـب قـادة الحـزب، بمـن فيهـم سـوهارتو نفسـه، أمـوال الدولـة، خاصـة عندمـا عـين أحـد أفـراد عائلتـه عـلى رأس الحـزب في أيامـه الأخـيرة، ومنـع قيـام أي أحـزاب أخـرى باسـتثناء حزبـين كارتونيـين، أحدهمـا حـزب «النضـال الديمقراطـي» الـذي تتزعمـه «ميجـاواتي سـوكارنو بوتـري» ابنـة النظـام وابنـة «أحمـد سـوكارنو» الرئيـس الأول لإندونيسـيا، والآخـر هـو حـزب «التفـاوض القومـي الإسـلامي» الـذي يتزعمـه «أمـين رئيـس» ممثـلاً للتيـار الإسـلامي المسـتأنس، في نفـس الوقـت الـذي كان سـوهارتو يحـارب فيـه «حركـة نهضـة العلمـاء الإسـلامية» الـتي تأسسـت سـنة ١٩٢٦، وجمـع سـوهارتو ثـروات طائلـة تقـدر بالمليـارات واسـتشرى الفسـاد في عهـده إلى مسـتويات غـير مسـبوقة، وسـط تأييـد الجيـش

الذيـن خـص سـوهارتو جنرالاتـه برعايـة سياسـية وماليـة مكثفـة، فقـد كانـت عائلتـه وحاشـيته بالتعـاون مـع رجـال الجيـش يمتلكـون أكثرمـن ١٢٠٠ شركـة في عـدد كبـير مـن الصناعـات والمجـالات الهامـة، في الوقـت نفسـه الـذي هيمـن فيـه قـادة الجيـش منـذ تحريـر البـلاد عـلى الحكـم بشـكل كامـل، ليـس فقـط مـن خـلال شـخص الرئيـس، ولكـن أيضـا مـن خـلال احتـلال كل المناصـب الهامـة في المحليـات والـشركات الحكوميـة الكـبرى والـوزارات السـيادية، وحـتى المجالـس التشريعيـة.

وكأنـه لـم يكـن يكفـي الإندونيسـيين انسـداد الأفـق السـياسي وتبخـر الآمـال الاقتصاديـة، فزادهـم سـوهارتو سـببًا آخـر للثـورة بتلميـع وتجهـيز ابنـه ليكـون وريثـا لـه يخلفـه في السـلطة، لتشـهد إندونيسـيا حالـة مـن التدهـور السـياسي والاقتصـادي والاجتماعـي عـلى كل الجوانـب، وتصـل إلى حالـة غـير مسـبوقة مـن التخلـف والفسـاد وضعتهـا في أسـفل سـلم الأمـم.

ظـل الشـعب يـئن تحـت حكـم سـوهارتو لمـدة ٣١ عامًـا حـتى عـام ١٩٩٨، عندمـا اجتاحـت الأزمـة الاقتصاديـة المنطقـة برمتهـا، وكانـت إندونيسـيا الأكـثر تأثـرًا، وتسـببت الأزمـة في إغـلاق العديـد مـن الـشركات وأعلنـت إفلاسـها، وانهـارت «الروبيـة» الإندونيسـية، وارتفعـت نسـبة التضخـم، وانتـشر الفقـر والبطالـة بـين المواطنـين، وبـدأت ملامـح ثـورة تلـوح في الأفـق، حـتى أتـت الطامـة الكـبرى عندمـا أعلـن سـوهارتو إجـراءات تقشـف اقتصاديـة، كمحاولـة فاشـلة لتـدارك تأثـير الأزمـة الاقتصاديـة، ليصـب الزيـت عـلى النـار المشـتعلة، وتخـرج عـشرات المظاهـرات العماليـة والطلابيـة ضـد النظـام.

لـم يعبـأ سـوهارتو، ولـم يأخـذ تلـك المظاهـرات عـلى محمـل الجـد، وربمـا وصفهـا أنهـا «زوبعـة في فنجـان»، وعـلى الرغـم مـن الشـارع المتقـد بالغضـب تجـاه سـوهارتو، أعـادت «الجمعيـة

الاستشارية الشعبية» انتخابه رئيسا للمرة السابعة في البرلمان الإندونيسي، وعقب بدء ولايته بأشهر اشتعلت الثورة في الشوارع، وقام الطلاب بإغلاق مداخل ومخارج العاصمة جاكرتا، كما حاصروا البرلمان للمطالبة بإصلاحات ديمقراطية رافعين شعار «ارحل واستقِل»، وحاول الكثيرون من الرموز والشخصيات العامة المحسوبة على النظام، وعلى رأسهم سوهارتو شخصيًا، توجيه الغضب المكبوت في الصدور بشكل عنصري ضد الأقلية الصينية التي تشكل أقل من ٤٪ من السكان، وتملك ما يقرب من ٧٠٪ من الثروة، واتهموهم بأنهم السبب الرئيسي في الأزمة الاقتصادية، وأن رجال الأعمال من الأقلية الصينية يعيشون مثل «الطفيليات» على أكتاف الشعب الإندونيسي، في محاولة فاشلة لإلهاء الشعب، وشجع على اضطهاد الصينيين رموز تيار الإسلام السياسي من أعضاء حزب «التفاوض الوطني الإسلامي» الذي يتزعمه «أمين رئيس»، وأدى هذا التحريض إلى مهاجمة الكثير من المحلات والمطاعم والمدارس التي يملكها الصينيون، وسرقتها أو حرقها في شهري فبراير ومارس ١٩٩٨، كما تعرضت الكثيرات من النساء والبنات الصينيات إلى الاغتصاب، لكن قوى المعارضة اليسارية والليبرالية في إندونيسيا التي كانت تعي الخدعة جيدًا، وأعادت توجيه الدفة من جديد، وخرجت المظاهرات مرة أخرى ضد نظام سوهارتو، وفي ١٢ مايو قتل ستة من طلبة جامعة «تريزاكتي» وهم يشاركون في مظاهرة ضخمة ضمت نحو ٥٠٠٠ طالب، بسبب رعونة قوات الأمن التي هاجمت الطلبة بإطلاق عشوائي للنيران، وأدى سقوط الطلاب الستة إلى تضامن طلابي أوسع في الأيام القليلة التي تلت الحادث، وارتفع سقف المطالب لتنادي الجماهير الغاضبة بتنحي سوهارتو، فخرجت «ميجاواتي سوكارنو بوتري» زعيمة «حزب النضال الديمقراطي» الذي يتبع سياسة المهادنة مع النظام القائم، مع «أمين

رئيس» زعيم حزب التفاوض القومي الإسلامي ليطالبوا الجماهير الثائرة بضرورة ضبط النفس، وعدم اللجوء للعنف والابتعاد عن المظاهرات التي تهدف لزعزعة الاستقرار وإيقاف عجلة الإنتاج، لكن الجماهير الغاضبة تجاهلتهم، وأعلن الموظفون الإضراب، وأغلقت المدارس والشركات والمكاتب وبدأ التضامن الجماهيري يعلو بوتيرة سريعة، واشتعلت نيران الثورة في قلب العاصمة جاكرتا، وضمت أعدادًا هائلة من الطلبة والعمال والفقراء، ورد البوليس بإلقاء القنابل المسيلة للدموع والرصاص المطاطي وقنص المئات من المتظاهرين، وأصبحت كلمة «ريقورماسي» -أي الإصلاح باللغة الإندونيسية- هي الكلمة المسيطرة على شعارات الطلبة والعمال، وبعد ثلاثة أيام من المظاهرات، أصبحت معظم جزر إندونيسيا مثل جاوة ومدان وبوجور وسوراكاتا وغيرها تشهد انتفاضة جماهيرية هائلة، وهربت الشرطة وقوات الأمن أمام الثوار، وسادت الفوضى واندفع الفقراء إلى المحلات الفخمة يحرقونها وينهبون ما فيها من طعام وملبس وأجهزة ثمينة ظلوا محرومين منها لسنوات طويلة، ودخل الفقراء البنوك التي يمتلكها سوهارتو وعائلته وأخذوا ما فيها وحطموا نوافذها وأبوابها، كما اندفعوا إلى محلات السيارات التي يمتلكها ابن سوهارتو وحطموها، قبل أن يحرقوا مبنى وزارة الشؤون الاجتماعية التي كانت ترأسها ابنة سوهارتو. كان غضب الفقراء موجها إلى الديكتاتور وعائلته التي نهبت موارد الشعب لأكثر من ثلاثين عامًا متصلة، مرددين هتافهم الأشهر «يسقط ملك الحرامية»، وتوقع النظام أن تؤدي عمليات النهب والسرقة التي شابت المظاهرات إلى إضعاف الموقف الثوري، لكن عمليات النهب والشغب لم تزد الرأي العام إلا تصلب الرأي ضد النظام الحاكم.

اجتمع الطلاب والقوى الليبرالية واليسارية على مطلب واحد

هـو إسـقاط سـوهارتو مـن الحكـم، وضرورة الإصـلاح والقضـاء عـلى الفسـاد بـدون وجـود قيـادة عامـة تجمعهـم وتوحـد مطالبهـم، أمـا العمـال فقـد كانـت لهـم مطالـب مبـاشرة ومحـددة، تتلخـص في زيـادة الأجـور وتحسـين شروط العمـل بشـكل عـام مـن ناحيـة أخـرى، وفيمـا يتعلـق بفقـراء المـدن كان مـا يهمهـم هـو إسـقاط سـوهارتو وتوزيـع ثروتـه عـلى الشـعب، وهـو مـا كان واضحًـا تمامًـا في اندفاعهـم لتحطيـم ونهـب مـا تطولـه أياديهـم مـن رمـوز الـثروة والرفاهيـة، واسـتجاب سـوهارتو متأخـرًا جـدًا ليتعهـد بعـدم الترشـح لفـترة رئاسـية جديـدة، في الوقـت الـذي كانـت الجماهـير تنـادي فيـه بسـقوطه مـع نائبـه حبيـبي، ورفعـوا شـعارًا ضخمًـا طولـه ٤٠ مـترًا كتـب عليـه «أعيـدوا السـلطة للشـعب يكفـي ٣٢ عامًـا مـن الديكتاتوريـة»، وفي ١٩ مايـو احتلـت أعـدادا هائلـة مـن الجماهـير البرلمـان، تحـت أعـين وأسـلحة قـوات الأمـن الذيـن لـم يكـن باسـتطاعتهم أن يفعلـوا شـيئًا، مـا دفـع الجيـش بقيـادة الجـنرال «ويرانتـو» أن يتدخـل للسـيطرة عـلى الموقـف، فاسـتعان ويرانتـو بزعيـم المعارضـة الإسـلامية «أمـين رئيـس» كي يقنـع الجماهـير الـتي احتلـت البرلمـان بـضرورة اخلائـه حـتى لاتحـدث مذبحـة أخـرى، وبالفعـل خـرج «رئيـس» للأعـداد المحتشـدة، وطالبهـم بـضرورة ضبـط النفـس حـتى يكـون باسـتطاعتهم تحقيـق الإصـلاح الـذي يبتغونـه، مسـتغلاً تأثـيره الديـني عـلى الإسـلاميين الذيـن اسـتجابوا بالفعـل وأخلـوا البرلمـان، وسـط اسـتماتة قويـة وإصرار غـير عـادي عـلى مطلـب التنحـي مـن بـاقي قـوى الشـعب.

لـم يمـر الكثـير مـن الوقـت حـتى أدرك الجيـش الموقـف جيـدًا، وحانـت المواجهـة الحتميـة، ووجـب عليـه أن يختـار إمـا اسـتخدام القـوة الغاشـمة لإنهـاء المظاهـرات، وإمـا بالدفـع بسـوهارتو رأس النظـام خـارج السـلطة، وفي نهايـة المطـاف لـم يجـد «ويرانتـو» بـدًا مـن الانحيـاز إلى الاختيـار الثـاني، وفي ٢١ مايـو ظهـر سـوهارتو

عـلى شاشـة التليفزيـون يعلـن اسـتقالته وتنحيـه عـن الحكـم، بعـد أسـبوعين ونصـف تمامًـا مـن خـروج المتظاهريـن إلى الشـوارع.

فرحـت الجماهـير بنجـاح الثـورة وخـروج سـوهارتو من السـلطة -أو هكـذا ظنـوا وقتهـا- لكـن قيـادة الجيـش الإندونيسي الـذي كان يتحكم في مجريـات الأمـور، قـرر تكليـف «بحـر الديـن يوسـف حبيـبي»، الصديـق المخلـص لسـوهارتو ونائبـه السـابق، بـإدارة شـؤون البـلاد، كان حبيـبي قـد تـولى منصـب نائـب الرئيـس قبـل الثـورة بأقـل مـن شـهرين في مـارس ١٩٩٨، وعُـرِف باسـم «الصبي الذهـبي» للديكتاتـور لشـدة تأييـده وتمسـكه بأفـكار وسياسـات سـوهارتو.

بعـد ثـورة الشـعب الإندونيـسي وإطـلاق الحريـات، زاد عـدد الأحـزاب مـن ٣ إلى ٩٥ حزبًـا، وتـم السـماح للمـرة الأولى بتكويـن أحـزاب إسـلامية، وصلـت إلى ١٦ حزبًـا إضافـة إلى حزبـين مسـيحيين، واحتفـى الإندونيسـيون كثـيرا بظهـور الأحـزاب الإسـلامية، وعلقـوا عليهـا آمـالا عريضـة في إصـلاح أحوالهـم إصلاحـا شـاملا، مـن خـلال «أسـلمة» الدولـة وتطبيـق الشريعـة، ووصـل تمثيـل الأحـزاب الإسـلامية في البرلمـان إلى ٢٥٪ في انتخابـات سـنة ١٩٩٩، وفي بدايـة عهدهـا بالديمقراطيـة، كان أهـم أهـداف الأحـزاب الإسـلامية إضفـاء مظاهـر إسـلامية جديـدة عـلى الحيـاة، مثـل إحـلال حـروف عربيـة محـل الإندونيسـية، وتسـمية الشـوارع بأسـماء إسـلامية، والقيـام بحمـلات لمنـع الأفـلام الإباحيـة، وتحريـم الخمـور والقمـار، وركـزت الأحـزاب الإسـلامية عـلى تطبيـق قوانـين محليـة تجـبر النسـاء عـلى الحجـاب وتحـارب الزنـا، بالتـوازي ثبـت تـورط العديـد مـن الإسـلاميين بتلـك الأحـزاب في جرائـم فسـاد واسـتيلاء وإهـدار للمـال العـام ورشـوة ومحسـوبيات، وأصابـت مثـل هـذه الوقائـع الشـعب بنـوع مـن خيبـة الأمـل في أداء هـذه الأحـزاب، في نفـس الوقـت تهاونـت العدالـة والقضـاء الإندونيـسي الشـامخ في محاكمـة رمـوز النظـام السـابق، وانتهـت سلسـلة المحاكمـات الـتي طالـت أشـخاصًا

متورطين في الفساد بأحكام سجن مخففة، أو بتبرئة المتهمين تمامًا وإطلاق سراحهم، ما أشعل وقود الثورة من جديد ضد حبيبي، الذي ورث بعد تنحي سوهارتو تركة سياسية واقتصادية مليئة بالمشكلات والتناقضات، فعلى المستوى الاقتصادي، كانت البلاد تعيش في أزمة خانقة تتمثل في ارتفاع الأسعار وهبوط قيمة العملة المحلية، وانخفاض معدل النمو وانتشار البطالة، وطرد ملايين العمال والموظفين بسبب الكساد، وأغلقت الكثير من المصانع والشركات، إضافة إلى ذلك، كان على الحكومة أن تفي بالتزاماتها لصندوق النقد الدولي الذي ضخ بالبلاد ٤٣ بليون دولار في أوائل عام ١٩٩٨ لتحقيق بعض الانتعاش الاقتصادي وأصبحت إندونيسيا تمر بأزمة طاحنة، أما على المستوى السياسي، فكان على حبيبي أن يحتوي الغضب الجماهيري، ويقلص من نفوذ عائلة سوهارتو التي استولت على موارد ضخمة، وأقامت الشركات والمصانع واحتلت صناعات هامة في البلاد، وعلى الفساد المستشري ليس فقط بين عائلة سوهارتو وأصدقائه المقربين وحاشيته، ولكن أيضا في الجيش الذي كان ولا يزال يملك مقاليد القوة ويسيطر على إمبراطورية اقتصادية ضخمة، وكانت الكثير من المصانع محتلة من قبل قوات الجيش كي تمنع أي أنشطة سياسية بين العمال، ما شكل وضعًا استفزازيًا بالنسبة للعمال، وبسبب مثل هذه الإجراءات القمعية وغيرها، قام الآلاف من العمال بالتظاهر أمام وزارة القوى العاملة، مطالبين بإعادة الشرعية للنقابات العمالية المستقلة، والإفراج عن القيادات النقابية المحتجزة في السجون، فخضع حبيبي لهذا المطلب ووعد العمال بأن حكومته لن تدعو أبدًا مرة أخرى الجيش للتدخل لقمع أي إضرابات عمالية، في الوقت نفسه بدأت النقابات العمالية تنشط بشكل أوسع، ونظمت إضرابات واعتصامات فئوية أكثر وأعنف مطالبين بزيادة أجورهم للتوافق

مع ارتفاع الأسعار، كما تظاهر الآلاف من العمال ليمنعوا فصل أعداد كبيرة منهم وإغلاق مصانعهم، وهكذا أصبح كل يوم يشهد إضرابا عماليًا أو تذمرًا في مصنع من المصانع في مدينة أو أخرى، وبدا واضحًا أن المد الثوري ما زال مستمرًا في أنحاء الدولة كلها، خصوصًا مع بقاء معظم الجهاز الإداري والقوانين القديمة للدولة، وقامت مظاهرات عديدة تطالب حبيبي بالاستقالة بسبب فشله في إدارة المرحلة الانتقالية، وأخيرا أعلن حبيبي تحت الضغط أن حكومته هي مجرد حكومة انتقالية، وأن الانتخابات سوف تجرى في يونيو ١٩٩٩، أي بعد عام واحد من سقوط سوهارتو.

استمرت الثورة، وتصاعد التنافس لاختيار الرئيس الجديد خلفًا لحبيبي، في وسط ضعف شديد للقوى الليبرالية واليسارية في الشارع الإندونيسي، فقد تحطمت الحركة الشيوعية على يد سوهارتو في الستينات، عندما تولى الحكم وقام بمذبحة لا ينساها التاريخ ضد أعضاء الحزب الشيوعي، وقتل ما يقرب من نصف مليون إندونيسي من المعارضين الوطنيين والشيوعيين، وصفى الحزب تمامًا إما بالقتل وإما بالسجن، كما قام بضرب الحركة النقابية وحظر وجودها هي وأي أحزاب سياسية أخرى.

وفي سبتمبر ١٩٩٩ قرر الشيخ عبد الرحمن واحد الأستاذ الجامعي، ورئيس جمعية نهضة العلماء الإندونيسية التي سبق أن اضهدها نظام سوهارتو، وعضو مركز شيمون بيريز للسلام منذ عام ١٩٩٤، الدخول في سباق الرئاسة، ما صدم الكثير من المراقبين فضلا عن الملايين من الإندونيسيين، لكن عسكر إندونيسيا الذين استفادوا من شعبية التيار الإسلامي في ضرب الشارع الثوري، عقدوا صفقة مع التيار الإسلامي تم بمقتضاها تمرير الشيخ عبد الرحمن واحد الملقب بـ«جوس دور»، لينتهي الأمر بفوزه بأغلبية أصوات أعضاء البرلمان في ٢٠ أكتوبر ١٩٩٩

ويصبح أول رئيس مدني منتخب ديمقراطيا في تاريخ إندونيسيا.

أكبر خطأ فعله التيار الإسلامي الإندونيسي هو عدم انخراطه مع الثورة، وما أن تولى واحد الرئاسة حتى تفرغ خلال تلك الفترة للتشاجر والتعارك مع المسيحيين، على الرغم من أنه قد اشتهر في السابق بتعاطفه مع الأقليات، خاصة المسيحية والصينية أو هكذا كان يدعى، وتلطّخ واحد وجماعته بالعنف الطائفي، وظهرت الجماعات السياسية الإسلامية المتطرفة التي تتطلع إلى تطبيق ترجمة مُحافِظة للقانون الإسلامي في الدولة، وصب الشعب جام غضبه عليه وعلى تياره الإسلامي، خاصة حينما تواطأ في التأخير متعمدًا في محاكمة الرئيس المخلوع سوهارتو، الذي أخذت تلاحقه تهم الفساد والقتل، واتهمته السلطات باختلاس ٥٧١ مليون دولار لتمويل مشاريع يديرها أفراد أسرته، كما وجهت لأبنائه تهما مماثلة، وصنف سوهارتو على أنه أحد أكبر المختلسين في التاريخ، وأقصى ما فعله عبد الرحمن واحد هو وضع سوهارتو في بيته تحت الإقامة الجبرية ليظل متواريًا عن الأنظار، وتعاقبت الحكومات الواحدة تلو الأخرى، وفشلت جميعها في محاكمة سوهارتو بتهم الفساد، حتى ساءت حالته الصحية وحالت دون إتمام محاكمته.

في الوقت ذاته بدأت القوى الأمنية في التلاعب بعبد الرحمن واحد، وصنع المشكلات له الواحدة تلو الأخرى، وكانت للمساتهم الفوضوية دور في ضرب شعبية الرئيس المتدين وتياره الإسلامي، ما خلق رأيا عاما مؤيدا لعودة العسكر للحكم، وشكل فرصة قوية لعودة الجيش المحتملة إلى السياسة، خاصة بعد تصاعد رائحة قضايا الفساد التي اتهم بها واحد، وتزايدت حدة المعارضة لاستمراره مع تياره في السلطة، وتشكلت «حركة الإصلاح الوطني» من قوى عديدة من النخبة السياسية المعارضة لتوجهات وسياسات الرئيس واحد بهدف استعادة

المسار الثوري، وقام الآلاف من الطلاب بمظاهرات حاشدة أمام القصر لفشله في تحقيق الإصلاحات اللازمة في البلاد، وعلى رأسها إقامة نظام حكم نظيف خال من الفساد والمحسوبية، ومحاكمة المسؤولين السابقين في عهد سوهارتو والمتهمين بالثراء غير المشروع والفساد واستغلال النفوذ، وحل المشكلات التي تواجه البلاد مثل الدعوات الانفصالية، والصدامات الطائفية والعرقية، والأزمة الاقتصادية والمالية.

ومثلت أحداث العنف الدموي العقائدي والطائفي، في وسط كالمنتان، منحنى خطيرا في الأحداث، ونتج عن هذا الصدام الدموي قتل وإصابة المئات، والأسوأ أن عددًا كبيرًا من القتلى قد عثر عليهم ممثلاً بجثثهم ومفصولي الرؤوس عن الأجساد، وأتت تلك الأحداث وسط حملة محاكمات لكبار أفراد أسرة الرئيس الأسبق سوهارتو، كابنه الأكبر وابنته وأخيه غير الشقيق بتهم الفساد واستغلال النفوذ، وذلك بعد أن حوكم ابنه الأصغر وصدر ضده حكم بالسجن ١٥ عاما، وقد لوحظ أنه كلما تصاعدت الحملة ضد الفساد وبالذات ضد أفراد أسرة الرئيس الأسبق وحاشيته، فإن أحداثا كبيرة تقع في البلاد الغرض منها إلهاء الحكومة وتشتيت تركيزها في اتجاهات أخرى، فقد وقعت عدة انفجارات في العاصمة ومدن كبرى حينما حاول المدعي العام محاكمة الرئيس الأسبق وابنه الأصغر، واشتعلت الحرب الطائفية في مالوكو وضربت الكنائس في جاكرتا في تلك الفترة، ومن ثم فإنه ليس من المستبعد أن يكون فلول نظام سوهارتو أو جنرالاته الذين استفادوا من عصره واتهموا بعد ذلك بالفساد أو انتهاك حقوق الإنسان، أن يكونوا وراء ما يجري، ليس في كالمنتان وحدها بل في شتى الحوادث التي تجري في إندونيسيا لضرب الحكومة واستعادة أركان قوتهم، وفي المقابل حرك مؤيدو واحد مسيرات كبيرة أمام البرلمان والقصر الجمهوري للمطالبة

باستمراره في السلطة حتى نهاية مدته عام ٢٠٠٤، وحدثت فوضى نتيجة الصدام بين معارضي الرئيس الإندونيسي ومؤيديه من جمعية «نهضة العلماء» وحزبه «نهضة الشعب»، موفرين مناخًا ملائمًا للقوات المسلحة للتدخل من أجل تهدئة الأوضاع والسيطرة على الموقف.

لم يحسن عبد الرحمن واحد ترويض الجيش الذي يمثل الكفة الرابحة، بل تعامل معه بصلف واضح، وأخذ يقيل قياداته ويغير مناصب رؤسائه بجرأة واضحة، حتى إنه أقال وزير الدفاع وهو في جولة أوروبية، لثبوت ضلوعه في ممارسات مناهضة لحقوق الإنسان في تيمور الشرقية، ومثل هذه التصرفات ما كان الجيش ليتركها تمر بدون حساب، فهو الذي اعتاد أن يُستشار في كل صغيرة وكبيرة في حكم البلاد، لدرجة أنه تم تعديل الدستور خصيصا لأجل أن يتضمن البرلمان نسبة ثابتة من قيادات الجيش دون انتخاب، وبدلاً من أن يعيد واحد هيكلة جهاز الشرطة، تعامل مع الأمر بعشوائية واضحة، في الوقت نفسه الذي أقال فيه رئيس الشرطة، لأن عناصر الشرطة الإندونيسية قد أظهرت تعاطفًا مع المظاهرات التي اندلعت ضده، ولأن جهاز الشرطة أعلن حياده التام في الخلافات السياسية التي تشهدها البلاد.

وفي الأول من فبراير ٢٠٠١ وجهه البرلمان الإندونيسي مذكرة تحذيرية إلى الرئيس الإندونيسي عبد الرحمن واحد، مع فرصة ثلاثة أشهر حتى أول مايو للرد عليها، بشأن توجيه اتهام له بالضلوع بشكل غير مباشر في قضيتي فساد ماليتين، هما «بولوجيت» و«بروناي جيت»، وقبل نهاية الفرصة الممنوحة، بادرت ست مجموعات برلمانية تمثل الأحزاب الكبرى في الساحة السياسية بإعداد مشروع مذكرة تحذيرية ثانية للرئيس، دون الأخذ في الاعتبار الرد الذي أعده بالفعل واحد على المذكرة الأولى، ونفى فيه أي مشاركة له في تلك القضيتين، ما أثار التساؤلات

حـول شرعيـة اللجنـة الـتي أدانتـه، ومـا يعـني عـزم المجلـس النيـابي عـلى عقـد الجلسـة الاسـتثنائية لمجلـس الشـورى، لمسـاءلة الرئيـس وإدانتـه وعزلـه.

وبينمـا كان عبـد الرحمـن خائفًـا يترقـب مـن هـذا المصـير، أخـذ يمـارس الطريقـة الدكتاتوريـة القديمـة الـتي كان مارسـها مـن قبلـه سـوكارنو وسـوهارتو، بإعـلان حالـة الطـوارئ في البـلاد، وأعلـن أن هنـاك مؤامـرات تحـاك ضـده، وتعمـل عـلى عزلـه عـن الشـعب والحكـم، والـتزم الجيـش الصمـت مـع وضـع القـوات في حالـة التأهـب القصـوى، تحسـبا لقمـع الاحتجاجـات الـتي توعـدت بهـا ميليشـيات تابعـة لجمعيـة نهضـة العلمـاء الـتي ينتمـي إليهـا ويرأسـها واحـد ضـد قـرار خلعـه المرتقـب، وخـلال أيـام قلائـل حكمـت المحكمـة الدسـتورية العليـا في البـلاد بعـدم دسـتورية إعـلان حالـة الطـوارئ، لعـدم وجـود المقتـضي الـكافي، كمـا وافـق البرلمـان عـلى طلـب إقالـة عبـد الرحمـن واحـد بأغلبيـة الأصـوات، وصـدر القـرار بعزلـه مـن منصبـه كرئيـس للدولـة بمباركـة معظـم طوائف الشـعب، وتحـرك الجيـش في ٢٣ يوليـو ٢٠٠١ لتنفيـذ قـرار العـزل بعـد ٩ أشـهر فحسـب مـن تـولي واحـد الحكـم، وأسـند العسـكر الرئاسـة إلى ابنـة مؤسسـهم ميجـاواتي سـوكارنو بوتـري، وأعلنـت الأحـزاب الإسـلامية بقيـادة رئيـس مجلـس الشـورى أمـين رئيـس سـحب تأييدهـا للرئيـس واحـد ومباركـة حركـة الجيـش، وتأييـد ميجـاواتي سـوكارنو كرئيسـة للدولـة.

تـوفي سـوهارتو في ٢٧ ينايـر ٢٠٠٨ بالعاصمـة جاكرتـا عـن عمـر ناهـز ٨٦ عامـا، بـدون أن تطولـه يـد القانـون، وكان قـد أدخـل إلى المستشـفى في جاكرتـا في الرابـع مـن ينايـر مـن نفـس العـام بعـد تدهـور حالتـه الصحيـة، كمـا تـوفي واحـد في ٣٠ ديسـمبر٢٠٠٩ عـن عمـر ناهـز ٦٩ عامـا.

لا أحد يتعلم من التاريخ..
انقلاب الأرجنتين

حـتى تلـك اللحظـات، كان كل شيء يبـدو هادئًـا في القـصر الجمهـوري.. نسـبيًا...

ففي حقيقـة الأمـر، إن الأمـور لم تهدأ قـط في الأرجنتـين منذ بداية الثلاثينـات مـن القـرن العشريـن، فمنـذ هـذا التاريـخ وحـتى النصـف الأول مـن السـبعينات، كان قـد تـوالى عـلى الأرجنتـين أكـثر مـن عـشرة انقلابـات عسـكرية، كان آخرهـا الإطاحـة بحكـم الرئيـس العسـكري «خـوان بـيرون»، في انقـلاب عسـكري قـام بـه الجيـش والأسـطول في سـبتمبر ١٩٥٥، ونفـي إلى إسـبانيا، وحظـرت حركتـه السياسـية الملقبـة بـ«البيرونيـة»، واسـتولوا عـلى جثمـان زوجتـه المحنـط «إيفـا بـيرون» الملقبـة بشـفيعة الفقـراء كونهـا رمـزا مـن رمـوز الحقبـة «البيرونيـة»، وعـلى الرغـم مـن أن «خـوان بـيرون» نفسـه كان ديكتاتـورًا سـلطويًا، أذاق شـعبه الويـل وشـدد الرقابـة والقمـع، وقـام بإيقـاف الصحـف والمطبوعـات، وسـجن وعـذب العديـد مـن الشـخصيات المعارضـة، فـإن ذلـك لـم يمنـع شـعبه مـن الافتنـان بـه إلى حـد الجنـون.

في أواخـر السـتينات وأوائـل السـبعينات، سـاء أداء الاقتصـاد الأرجنتيـني نتيجـة لـلإدارة السـيئة في الحكومـة وانتشـار الفسـاد في الجيـش، وأدى الضعـف في الاقتصـاد إلى إضرابـات وأعمـال عنـف واحتجاجـات ضـد الحكومـة، وأخـيرا سـمح القـادة العسـكريون لمؤيـدي بـيرون بالعـودة للسـلطة عـلى أمـل أن يعيـدوا النظـام للبـلاد، وفي عـام ١٩٧٣ تـم انتخـاب «هيكتـور خوزيـه كامبـورا» أحـد أتبـاع بـيرون رئيسًـا للبـلاد، وبعـد ثمانيـة عـشر عامًـا مـن الانقـلاب ضـد «بـيرون» وتحديـدًا في أكتوبـر ١٩٧٣، عـاد «بـيرون» إلى الأرجنتـين، واسـتقال «كامبـورا» ليعـاد انتخـاب بـيرون رئيسًـا بأغلبيـة كبـيرة، وانتخبـت زوجتـه الثالثـة وراقصـة الملاهـي الليليـة السـابقة «إيزابيـل بـيرون» نائبًـا لـه، ولكـن في العـام ١٩٧٤ اعتلـت صحـة الزعيـم، فكانـت فرصـة زوجتـه الذهبيـة لإبـداء مؤهلاتهـا كزعيمـة، وأصبحـت المسـيطرة الفعليـة عـلى الحكومـة، وفي خطـوة أخـيرة قبل

الموت، أعلن بيرون أن إيزابيل ستكون خليفته في الحكم، وعندما توفي متأثرًا بمرضه بعد ٩ أشهر فقط من إعادة توليه المنصب، ظهرت الجميلة إيزابيلا على شاشة التلفزيون، والدموع تنهمر من عينيها، لتعلن للشعب منتحبة خبر موت الزعيم «الذي أفنى حياته من أجل وحدة الوطن ووحدة القارة الأميركية اللاتينية، سائلة الله أن يريها الطريق إلى الأمام»...

وصارت إيزابيل رئيسة للبلاد دون أدنى معارضة، وحتى ذلك الحين كان يبدو أن الأمور في طريقها للاستقرار مرة أخرى، إلا أن القدر كان أسبق...

فمنذ اللحظة التي تسلمت فيها إيزابيل السلطة، بدأ الأرجنتينيون يتوقعون انقلابا عسكريًا يبعدها عن المنصب، وكانت النقابات والأحزاب والصحف وبرامج التلفزة جميعها تشير إلى حتمية وقوع انقلاب مرتقب، بل إن إحدى الصحف وصفت بالتمام ما سوف يحدث قبل أيام من حدوثه، لكن على ما يبدو أن إيزابيل كانت الوحيدة في الأرجنتين التي لا تصدق أن الجيش في طريقه للانقلاب عليها.

في صباح يوم ٢٤ مارس ١٩٧٦ وبعد أقل من عامين في الحكم، قام العسكر بقيادة الجنرال «خورخي رافائيل فيديلا» بانقلابهم المنتظر على إيزابيل بيرون، بسهولة اختراق سكين حاد لقالب من الزبد، فقد كانت إيزابيل على متن طائرة مروحية تنقلها من مقر الحكومة إلى منزلها في إحدى ضواحي بوينس آيرس، وبدلاً من أن يطير طاقم الطائرة بإيزابيل إلى منزلها، حط بها في مطار مدني ونزلت من الطائرة لتجد فرقة من الجنود شاهري السلاح تحيط بها، وجنرالاً مهذبًا يخبرها أنها باتت رهن الاعتقال، وعلى الفور سحبت إيزابيل مسدسًا من حقيبتها في محاولة فاشلة للمقاومة، لكنها فهمت بسرعة أن المقاومة مستحيلة، وتمكن الجنرال من انتزاع السلاح من بين يديها، ولم يلق الانقلاب معارضة من

أحـد، وكان أقـل الانقلابـات دمويـة في تاريـخ أمـيركا اللاتينيـة.

وصـف «فيديـلا» انقلابـه بـ«ثـورة إعـادة التنظيـم الوطـني» بحجـة تخليـص البـلاد مـن الـدرب المظلـم الـذي كانـت سـتتجه إليـه في ظل حكـم إيزابيـل، ووصفـت الأدبيـات التاريخيـة الأرجنتينيـة الانقـلاب بـ«الثـورة الأرجنتينيـة»، في نفـس الوقـت الـذي كان يقـوم فيـه «فيديـلا» بإغـلاق مجلـس الشـيوخ وعـزل أعضـاء المحكمـة العليـا، وحظـر الأحـزاب السياسـية والاتحـادات السياسـية والطلابيـة، ونفـى أكـثر مـن ثلاثمئـة مـن أسـاتذة الجامعـة خـارج البـلاد، وانتهكـت الشرطـة حـرم جامعـة «بوينـس آيـرس» فيمـا عُـرف بـ«ليلـة الهـراوات الطويلـة»، واقتحمـت كليـة العلـوم، حيـث تعـدت عـلى الطلبـة والأسـاتذة واعتقلـت بعضهـم، وبـدا واضحًـا أن هـدف انقـلاب فيديـلا الحقيقـي هـو كبـح تقـدم الحـركات الاجتماعيـة وتحطيـم أي نـوع مـن المعارضـة، وفي المقابـل سـعى العسـكر إلى تركـيز سريـع للـثروة في أيـدي جنرالاتهـم، وبالفعـل في ظـرف وجـيز قامـوا بتصفيـة ثلـث جهـاز الإنتـاج ولا سـيما المنشـآت الصغـيرة والمتوسـطة الوطنيـة، مـع انفتـاح متسـارع عـلى الـواردات، والاقـتراض مـن الخـارج بشـكل عشـوائي ومتدافـع، ولا حاجـة للإشـارة إلى أن قسـمًا كبـيرًا مـن المبالـغ المقترضـة مـن الخـارج لـم تكـن تصـل إلى خزانـة الدولـة، بـل تغـذي اسـتثمارات العسـكريين بالخـارج ومجموعاتهـم الاقتصاديـة بواسـطة آليـة فسـاد سـماها الشـعب «الدراجـة الماليـة»

تمـيزت ديكتاتوريـة «فيديـلا» بنـوع آخـر مـن الوحشـية، فقـام جنـوده بخطـف نحـو ٥٠٠ طفـل مـن مواليـد معارضيـه السياسـيين، ومنحوهـم بالتبـني إلى مسـؤولين أو مقربـين مـن النظـام لتربيتهـم كجنـود لـه، وكانـت المـرأة الأرجنتينيـة أكـثر مـن دفـع الثمـن بعمليـات الخطـف والاغتصـاب الواسـعة والحمـل القـسري لتربيـة جنـود للعسـكر موالـين لهـم بعـد الـولادة، وجعـل خورخـي عمليـات خطـف المعارضـين منهجًـا في صلـب سياسـة الدولـة، في ظـل نظامـه

العسكري، فقد لجأ الجيش إلى تصفية عناصر المعارضة المشتبه بهم، وقتل وشرد واعتقل ما يقرب من ٣٠ ألف شخص وامرأة وطفل، كان ٦٧٪ منهم من الشباب بين سن الـ١٨ والـ٣٠ عامًا خلال خمس سنوات من الحكم فقط، وكانت قواته تلقي بهم، بعد إخضاعهم لعمليات تعذيب، من الطائرات والمروحيات في نهر «لابلاتا» حتى لا يعثر على جثثهم على الإطلاق، ولقبت عمليات خطف المعارضين بـ«الحرب القذرة»، وأطلق على هؤلاء اسم «المختفين» أو «المفقودين»، ومنذ ذلك الوقت دأبت أمهاتهم على انتظارهم في ميدان «بلازا دي مايو» بوسط «بيونس آيرس»، ونظمن حملات للعثور على أبنائهن وأحفادهن المختفين أو حتى أشلائهم والمطالبة بالعدالة المفقودة، إضافة إلى نصف مليون أرجنتيني تم نفيهم إجباريًّا، أو اضطروا إلى الهروب من البلد اختياريًّا، وفرض رقابة صارمة على الفنون والآداب التي كان يلجأ إليها الشباب كوسيلة للتعبير عن الغضب أو المعارضة، ومنعت الحكومة الكثير من الكتب والصحف، ووضعت الكثير من المثقفين في قوائم سوداء، ومنع الكثير من الفنانين من إنتاج أعمال أو تقديم عروض بحجة أنها «غير مناسبة للظروف الحالية للدولة، في ظل المؤامرات التي يشنها عليها أعداؤها من الخارج»، وتمثلت أكثر أوجه الديكتاتورية مأساوية في وحشية القمع المعمم الذي لقب بـ«عقيدة الأمن القومي»، وبمقتضاها اعتبر العسكر كل من لم يؤيد صراحة الانقلاب عدوًا، مع صمت متواطئ من جانب الطبقة السياسية ومباركة الكنيسة الكاثوليكية للنظام العسكري، وتأييد ودعم السواد الأعظم من القطاعات الاجتماعية، عشاق الحاكم «الفحل (الدكر)» مثلما كانوا يلقبونه، حتى إن الجماهير كانت تهتف له «عاش (الدكر) Viva el macho»، ونتيجة لذلك نشأ تنظيم ثوري مسلح في الأرجنتين لمقاومة طغيان خورخي سمي «المونتونيروس»، وفي يوم ١٣

ديسمبر ١٩٧٦ وقعت مذبحة «مارجريتا بيلين» حيث قامت قوات خورخي بتعذيب وإعدام ٢٢ فردًا من الرجال والنساء من أنصار حركة «مونتونيروس»، بعد استسلامهم وطرح أسلحتهم بالقرب، وتعرضت النسوة منهم للاغتصاب وتم إخصاء ثلاثة رجال، ثم أخذ الجيش السجناء في مركبتين ترافقهما سيارة شرطة، وقادوا بهم على طول «الطريق الوطني»، وفي مكان ما من بلدة «مارجريتا بيلين» بمحافظة «شاكو»، تم إطلاق النار على السجناء وتحميل جثثهم في عدة مركبات، وبنهاية عام ١٩٧٦ كانت خسائر «المونتونيروس» تقترب من الألفين شخص، وبحلول عام ١٩٧٧ كان قد تم دحر الجيش الشعبي الثوري تمامًا، وإضعاف «المونتينيروس» بقسوة، لكنهم قاموا بهجوم مضاد ضخم تمت هزيمتهم فيه وأسدل الستار على تهديدات الحركات الثورية، وسميت سنوات حكم خورخي بسنوات «حكم الرصاص».

خلال فترة «الحرب القذرة» لم يستطع النظام القضائي حماية عشرات الآلاف من المواطنين والنشطاء، من ضحايا القتل والتعذيب والاحتجاز غير القانوني والاختفاء القسري، أو مساءلة قادة الأجهزة الأمنية عن تلك الجرائم، فقد كان القضاء الأرجنتيني خاضعًا للسلطة السياسية، خاصة بعدما عزل الجيش كثيرًا من القضاة الشرفاء عقب الانقلاب، وعيَّن مكانهم قضاة موالين لقادة الجيش وللنظام، إضافة إلى الكثير من القواعد الفوق دستورية التي وضعتها المؤسسة العسكرية، وأحكمت بها سيطرتها على القضاء والاقتصاد، وأعطت لنفسها سلطة تجاوز الدستور.

نهاية الانقلاب جاءت بالتوازي مع الكفاح والمعارضة طوال ٥ سنوات، وبسبب الفشل الاقتصادي الذريع الناتج عن الإدارة العسكرية الفاشلة، تضاعفت الديون ٢٠ مرة تقريبًا، ثم كانت

الضربة القاصمة مع هزيمة «حرب الفوكلاند».

كان خورخي يعلم أنه يواجه معارضة قوية جدًّا داخل بلاده، فبادر مع المجلس العسكري باصطناع قضية «وطنية» وهمية بالحرب ضد بريطانيا على بعض الجزر المختلف عليها، سميت بحرب «جزر الفوكلاند»، وكان ينتظر من الولايات المتحدة مساندته في تلك الحرب، لكنها خلت به وساندت البريطانيين، فمُني العسكر بهزيمة ساحقة تمامًا هزت صورة النظام، وفقدوا مصداقيتهم للأبد، ومع الاحتجاجات الشعبية المتزايدة، أجبر المجلس العسكري على تقديم استقالته وبداية انتخابات ديمقراطية، فاختارت الجماهير أول رئيس مدني هو «راؤول ألفونسين» الذي صعد للسلطة عام ١٩٨٣، وسرعان ما حاكم العسكريين محاكمات عادلة، ويعتبر «ألفونسين» الأب الروحي للديمقراطية في الأرجنتين.

حوكم خورخي فيديلا مع ثمانية عسكريين آخرين من أركان حكمه محاكمات عادلة، وحكم على فيديلا بالسجن مدى الحياة عام ١٩٨٥ لاتهامه بارتكاب أعمال تعذيب وقتل وجرائم أخرى، وحكم على خمسة من قيادات الجيش بالسجن ٢٥ عامًا بتهمة التورط في قضايا تعذيب واحتجاز غير قانوني وانتهاكات لحقوق الإنسان، وخلال حديثه عن النشطاء المفقودين وما إذا كان يعتبر نفسه مسؤولا عن قتلهم، قال فيديلا ذات مرة: «إنهم مختفون... ليسوا أحياء ولا أموات، إنهم فقط مفقودون»، وفي عام ١٩٩٠ منحه الرئيس السابق كارلوس منعم عفوًا رئاسيًا، لكن الأمر تبدل في أبريل ٢٠١٠ عندما أيدت المحكمة العليا حكمًا أصدرته المحكمة الفيدرالية يقضي بإلغاء العفو، وفي عام ٢٠١٢ وجهت إليه اتهامات جديدة بالإشراف على عملية سرقة ممنهجة لمواليد السجناء السياسيين، وحكمت عليه محكمة في بيونس آيرس بالسجن ٥٠ عاما، في حين حكم على القائد العسكري

السابق «رينالدو بيجنون» بالسجن ١٥ عاما على ما نسب إليه من ضلوعه بدور في نفس الجريمة.

لفظ خورخي فيديلا أنفاسه الأخيرة في مايو عام ٢٠١٣ عن عمر ناهز ٨٧ عاما، عجوزًا، وحيدًا في الزنزانة التي كان يمضي فيها عقوبة السجن عن الجرائم التي ارتكبها نظامه العسكري الاستبدادي، تصاحبه لعنات مئات الآلاف ممَّن آذى ذويهم، وعشرات الآلاف من الأرواح التي أزهقها في خمس سنوات فقط.

---

*للتذكرة:

الاختفاء القسري طبقا لاتفاقية المحكمة الجنائية الدولية جريمة ضد الإنسانية لا تسقط بالتقادم.

لا أحد يتعلم من التاريخ..
انقلاب سوريا

كانت الأمور قد وصلت إلى طريق مسدود، وبات الاتحاد بين مصر وسوريا الذي عرف يومًا باسم «الجمهورية العربية المتحدة» على شفا الانهيار، وفي النصف الثاني من عام ١٩٦١ قام حزب البعث بالتعاون مع عدد من الأحزاب في سوريا بالتوقيع على وثيقة الانفصال عن مصر، وانتهت الوحدة فعليًا في دمشق في ٢٨ سبتمبر ١٩٦١، وعلى أثر ذلك تم اعتقال عدد من الضباط السوريين في مصر بسبب موقفهم الرافض للانفصال، وظلوا في الأسر في سجن «أبو زعبل» لمدة ٤٤ يومًا، ثم أطلق سراحهم بعد ذلك وأعيدوا إلى سوريا، في إطار عملية تبادل مع ضباط مصريين كانوا قد احتجزوا في سوريا، كان من بين هؤلاء الضباط، الرائد في سلاح الطيران حافظ على سليمان الأسد، الذي أبعد عن الجيش بعد عودته لسوريا لموقفه الرافض للانفصال، وأحيل إلى الخدمة المدنية في إحدى الوزارات.

في الثامن من مارس ١٩٦٣، استولت اللجنة العسكرية للفرع الإقليمي السوري في حزب البعث العربي الاشتراكي على السلطة في سوريا، وانقلبت على نظام الرئيس «ناظم القدسي» والحكومة المنتخبة برئاسة «خالد العظم» بسبب الانفصال عن مصر كما ادعوا، في ما عرف بـ«ثورة الثامن من آذار (مارس)»، وبعد أن استولى حزب البعث على السلطة في انقلاب آذار، أعيد الرائد حافظ الأسد إلى الخدمة من قبل صديقه ورفيقه في اللجنة العسكرية ومدير إدارة شؤون الضباط آنذاك المقدم «صلاح جديد»، ثم رقي بعدها في عام ١٩٦٤ من رتبة رائد إلى رتبة لواء دفعة واحدة، وعُيِّن قائدًا للقوات الجوية والدفاع الجوي، بينما عُيِّن القيادي بحزب البعث والطبيب البشري «نور الدين الأتاسي» وزيرًا للداخلية، ثم رقي إلى نائب رئيس الوزراء في العام التالي، وبدأت اللجنة العسكرية بتعزيز نفوذها، وفي ٢٣ فبراير ١٩٦٦ قاد «صلاح جديد» انقلابا عسكريًا بمشاركة صديقه حافظ

الأسد، هو الانقلاب العاشر في سوريا خلال عشرين عامًا، على القيادة القومية لحزب البعث، وأطاح برئيس مجلس الرئاسة اللواء «أمين الحافظ»، وتخلى صلاح جديد عن رتبته العسكرية لإكمال السيطرة على الحزب ليصبح مساعد الأمين العام لحزب البعث، بينما تولى الأسد منصب وزير الدفاع، وأصبح نور الدين الأتاسي رئيسًا للدولة وأمينًا عامًّا لحزب البعث، لكن كانت سلطته محدودة إذ كانت السلطة الفعلية في يد مساعد الأمين العام لحزب البعث صلاح جديد، وفي عام ١٩٦٨ تبوّأ الأتاسي منصب رئيس الوزراء إلى جانب تبوّئه منصبَي الأمين العام للحزب ورئيس الدولة.

في ٥ يونيو ١٩٦٧ تحركت إسرائيل عسكريًا وقامت بضرب مصر وسوريا والأردن والعراق ولبنان، واحتلت سيناء وقطاع غزة والضفة الغربية والجولان، ودمرت نحو ٨٠٪ من العتاد الحربي للدول العربية، فيما عرف بنكسة يونيو ٦٧، أو حرب الأيام الستة، أو «ملحمة شيشيت ها ياميم»، ومن بعد النكسة بدأت الخلافات بالظهور بين الأسد وصلاح جديد، حيث انتقد جديد أداء وزارة الدفاع خلال الحرب، من تأخر غير مفهوم لسلاح الجو السوري في دعم نظيره الأردني، إضافة إلى قرار الأسد بسحب الجيش، وإذاعته نبأ سقوط القنيطرة بيد إسرائيل في العاشر من يونيو قبل أن يحدث ذلك فعليًا، ما أدى لتحميله مسؤولية الهزيمة، وكان عبد الرحمن الأكتع، وزير الصحة يومذاك، في جولة ميدانية جنوب القنيطرة، وقال الأكتع في شهادته لاحقًا «سمعت نبأ سقوط القنيطرة يذاع من الراديو، وعرفت أنه غير صحيح لأننا جنوب القنيطرة ولم نر جيش العدو، فاتصلت هاتفيًا بحافظ الأسد وزير الدفاع وقلت له: المعلومات التي وصلتكم غير دقيقة، نحن جنوب القنيطرة ولم نرى جيش العدو! فشتمني بأقذع الألفاظ، ومما قاله لي: لا تتدخل في عمل

غيرك يا... فعرفت أن في الأمر شيئًا!» وبالفعل لم تطأ القوات الإسرائيلية أرض القنيطرة إلا بعد إعلان سقوطها بما لا يقل عن سبع عشرة ساعة، وقال سامي الجندي وزير الإعلام آنذاك وعضو القيادة القطرية في كتابه «كسرة خبز»: «إن إعلان سقوط القنيطرة قبل وصول العدو لها بأكثر من يوم، أمر لا يمكن فهمه بتأويل حسن»

وصلت الخلافات بين حافظ الأسد وصلاح جديد إلى أوجها، خلال أحداث «أيلول (سبتمبر) الأسود» في الأردن عام ١٩٧٠، فقد تمكنت كتائب حركة التحرير الفلسطينية من السيطرة على كبرى المدن الأردنية في شمال المملكة الأردنية، وأعلن ياسر عرفات في بيان له أن المنطقة الشمالية من الأردن أصبحت مناطق «محررة» تخضع لسيطرة «الثوار» الفلسطينيين، وعين عرفات حكامًا إداريين لمحافظة «إربد» وفي «لواء عجلون» و«لواء جرش»، وفي ليلة ١٨ سبتمبر ١٩٧٠ أرسل صلاح جديد الجيش السوري لدعم الفلسطينيين في اعتدائهم على الأردن، وقاد الرئيس السوري نور الدين الأتاسي الهجوم بنفسه من مقر القيادة في درعا، في محاولة لتعزيز قوات عرفات في شمال الأردن، لكن حافظ الأسد امتنع عن تقديم التغطية الجوية للجيش السوري وتسبب في إفشال مهمته، وتصاعدت حدة الخلاف إلى أوجها، وفي أكتوبر ١٩٧٠ استقال نور الدين الأتاسي من جميع مناصبه، احتجاجا على تدخل الجيش في السياسة، وعلى ممارسات رفعت الأسد شقيق وزير الدفاع حافظ الأسد، وعلى أثر هذه الاستقالة فرغت المناصب الثلاثة الرئيسية في الدولة، وفي ٣٠ أكتوبر ١٩٧٠ قام صلاح جديد بعقد المؤتمر العاشر الاستثنائي الطارئ للقيادة القُطرية لحزب البعث، والتي قررت بالإجماع إقالة وزير الدفاع حافظ الأسد ورئيس الأركان مصطفى طلاس من منصبيهما، لكن الأسد لم ينصع للقرار، وفي ١٦ نوفمبر ١٩٧٠، وبمساعدة من

القطـع الموالیـة لـه في الجیـش، ومسـاعدة شـقیقه رفعـت الأسـد قائـد الفرقـة الرابعـة الملقبـة بسرایـا الدفـاع، قـاد وزیـر الدفـاع السـوري المقـال حافـظ الأسـد انقلابًـا عسـكریًا عـلى رفیقـه وصدیقـه صـلاح جدیـد، وعـلى رئیـس الجمهوریـة الدكتـور نـور الدیـن الأتـاسي أول رئیـس مـدني مـن البعثیـین، واعتقلهمـا مـع العدیـد مـن رفاقهمـا مـن قیـادات حـزب البعـث في سـجن المـزة، واسـتولى عـلى الإذاعـة والتلیفزیـون، وقـرأ المذیـع «محمـد قطـان» رئیـس شـعبة المذیعـین آنـذاك بیـان الانقـلاب العسـكري الـذي لقـب لاحقًـا بـ«الحركـة التصحیحیـة»، وبعدهـا بخمسـة أیـام وفي ٢١ نوفمـبر، تـولى الأسـد منصـب رئاسـة مجلـس الـوزراء، إضافـة إلى منصـب وزیـر الدفـاع في الحكومـة الجدیـدة، وعـین «أحمـد الحسـن الخطیـب» رئیـس نقابـة المعلمـین السـابق وعضـو حـزب البعـث رئیسًـا صوریًـا للبـلاد، حیـث كانـت السـلطة الحقیقیـة في یـد رئیـس الـوزراء اللـواء حافـظ الأسـد، واسـتمر الخطیـب في منصبـه لفـترة انتقالیـة دامـت لمـدة أربعـة أشـهر، مـن ١٨ نوفمـبر ١٩٧٠ إلى ٢٢ فبرایـر ١٩٧١، قضاهـا في «قـصر المهاجریـن» مشـغولاً باسـتقبال المهنئین والفرحـین والفخوریـن بـه، متلقیًـا الآلاف المبایعـات المكتوبـة بالـدم وبرقیـات الـولاء، وفي أول هـذه الأیـام أصـاب حمـاس التأییـد تجـار دمشـق وحلـب، وركضـوا إلى المطابـع لیشـتروا صـور الرئیـس الجدیـد لیعلقوهـا كالمعتـاد في صـدر دكاكینهـم كعادتهـم، عمـلاً بمبـدأ مـات الملـك عـاش الملـك، لكنهـم تفاجـأوا بـأن الصـور المطبوعـة والموزعـة كانـت لوزیـر الدفـاع ورئیـس الـوزراء حافـظ الأسـد فقـط، وعـلى الفـور جفـت وفـود المهنئـین مـن دمشـق وحلـب حیـث مقـر الخطیـب، وتحـول مسـارها إلى رئاسـة الـوزراء حیـث مقـر الأسـد، وخـلال هـذه الفـترة كانـت جمـوع الشـعب السـوري تقـوم بمسـیرات یومیـة عفویـة، مطالبـین حافـظ الأسـد بالترشـح لرئاسـة الجمهوریـة، وكانـت الإذاعـة السـوریة تذیـع أغنیـة «تسـلم یـداك یـا معلـم.. قـود السـفینة یـا

معلـم» قاصديـن اللـواء حافـظ الأسـد وزيـر الدفـاع، الـذي «أنقـذ البـلاد مـن الفـوضى» عـلى حـد تعبـير المذيعـين السـوريين، وبالطبع اضطـر الأسـد -كمـا قـال فيمـا بعـد- للـنزول عـلى رغبـة الشـعب، وقبـول تكليـف الشـعب لـه بهـذه المهمـة الشـاقة.

بمجـرد تـولي الأسـد الحكـم في ٢٢ فبرايـر ١٩٧١، توالـت مجـازره ضـد الشـعب السـوري الواحـدة تلـو الأخـرى، وابتـدع نظـام الأسـد طرقـا مبتكـرة لإرهـاب الشـعب السـوري وقمـع الحريـات، بدعـوى القضـاء عـلى الإرهـاب والتطـرف، مثـل الاعتـداء عـلى حرمة المسـاكن واختطـاف النسـاء والفتايـات، والسـطو عـلى الأمـوال والممتلـكات وقتـل الأزواج والتمثيـل بهـم أمـام الزوجـات والأولاد، تحـت مسـمى «تمشـيط المـدن والقـرى»، إذ تقـوم الحوامـات والدبابـات والقـوى المحمولـة بتطويـق المـدن والقـرى التي يراد تمشـيطها، ويؤمـر الناس بمنـع التجـول والمكـوث في بيوتهـم، وتقسـم المدينـة إلى قطاعـات، تتـولى كل قطـاع مجموعـة كبـيرة مـن الجنـود والوحـدات الخاصـة وسرايـا الدفـاع الـتي يقودهـا رفعـت الأسـد، وعنـاصر المخابـرات والكتائـب الطائفيـة، ويسـتبيحون كل شيء في أثنـاء «التمشـيط»، يسرقـون وينهبـون ويدمـرون ويعتـدون عـلى النـاس، ويقتلـون كل مـن يرفـع صوتـه محتجًـا ومعترضًـا عـلى هـذه الانتهـاكات، زاعمـين أنـه مـن الإخـوان المسـلمين، وكثـيرًا مـا أبـادوا أسرًا كاملـة، وقطعـوا أيـدي النسـاء وأصابعهـن مـن أجـل الأسـاور والخواتـم الذهبيـة، ولـم تكـد تخلـو مدينـة أو قريـة في القطـر إلا وتعرضـت للتمشـيط، فحلـب مثـلاً مشـطت مرتـين، ومدينـة حمـاة مشـطت تسـع مـرات، وهكـذا سـائر المـدن والقـرى، واسـتمرت البـلاد في حالـة مـن الخـوف والذعـر بسـبب «الشـبيحة»، وهـم عصابـات مـن المرتزقـة اسـتعان بهـم الأسـد لحفـظ أركان نظامـه وكبـت المعارضـة.

في العـاشر مـن يونيـو ٢٠٠٠ تـوفي حافـظ الأسـد، وتـولى منصـب الرئاسـة بعـده ابنـه طبيـب العيـون «بشـار الأسـد»، إثـر اسـتفتاء

عـرض عـلى مجلـس الشـعب السـوري لتعديـل سريـع لدسـتور الجمهوريـة العربيـة السـورية، لخفـض الحـد الأدنى لعمـر الرئيـس مـن أربعـين إلى أربـع وثلاثـين عامًـا، لتمكينـه كقيـادي في حـزب البعـث العـربي الاشـتراكي مـن عـرض ترشـيحه عـلى مجلـس الشـعب لمنصـب الرئاسـة، وبالفعـل ورِّث الحكـم لبشـار الأسـد، وظـل صالـح جديـد رهـن الاعتقـال بـدون محاكمـة نحـو ٢٣ سـنة، حـتى تـوفي في السـجن في ١٩ أغسـطس ١٩٩٣، وكذلـك نـور الديـن الأتـاسي الـذي أمـضى ٢٢ عامًـا في السـجن في زنزانـة ضيقـة مـن دون محاكمـة، وفي عـام ١٩٨٠ أنـزل الأتـاسي مـن سـجن المـزة ووضـع قيـد الإقامـة الجبريـة في حـي القصـور، وقامـت السـلطات بمفاوضتـه عـن طريـق الجـنرال محمـد الخـولي رئيـس المخابـرات الجويـة ليعـترف بشرعيـة نظـام الأسـد، ولكـن المفاوضـات أدت إلى إعادتـه إلى سـجنه، وأصيـب الأتـاسي بسرطـان المـريء ولـم تُقـدِّم لـه السـلطة العلاج المناسـب، وتدهـورت حالتـه وأُدخـل إلى مشـفى تشريـن العسـكري لمـدة ٤ أشـهر، وفي نوفمـبر ١٩٩٢ علمـت السـلطات الفرنسـية بحالتـه الصحية السـيئة فعرضـت عـلى السـلطات السـورية أن تتـولى علاجـه، فأرسـل الأتـاسي إلى المستشـفى الأمريـكي بباريـس في ٢٢ نوفمـبر ولكـن الوقت لـم يسـعفه، وتـوفي بعـد أسـبوع مـن وصولـه في ٣ ديسـمبر عـام ١٩٩٢ عـن عمـر يناهـز الثلاثـة وسـتين عامًـا، ودُفـن في مدينتـه حمـص وخرجـت لـه جنـازة مهيبـة.

عن اضطراب سلوك السلطة المطلقة

تجربة سجن ستانفورد

The Stanford Prison Experiment

في سبعينات القرن الماضي، عرضت البحرية الأمريكية على عالم النفس الأمريكي «فيليب زيمباردو» تمويل تجربة تحت إشراف جامعة ستانفورد، لتفسير وفهم الصراعات التي تحدث في السجن، ولفهم التغيرات النفسية والسلوكية على الأفراد عند امتلاكهم للسلطة المطلقة، أو عند تعرضهم للقهر والقمع والكبت، عن طريق إجراء محاكاة لسجن وملاحظة التغييرات التي ستطرأ على الأفراد، كما عنت التجربة بدراسة قوة طغيان المواقف الاجتماعية على الفردية، واختبار استجابة الشعوب للأنظمة القمعية، هل سيقبلونها أما أنهم سيتحركون ضدها؟

ولخص زيمباردو هدف هذه التجربة قائلاً «لنفترض أن مجموعة من الأشخاص الصحيحين نفسيًا وجسديًا علمت أنها ستخضع لظروف مماثلة لظروف السجن، وأنها ستخسر بعض حقوقها المدنية، هل سيتأثر أولئك الأشخاص الطيبون بوضعهم في هذا المكان السيئ المليء بالشر؟ هل سيطغى الخير على الشر؟ ولماذا تصبح السجون مكانًا خصبًا للعنف والجريمة؟ هل بسبب طبيعة المسجونين؟ أم أنها نتيجة لتأثير التآكل في هيكل السلطة من السجون نفسها؟»

تم الإعلان عن التجربة في الصحف للحصول على متطوعين مقابل ١٥$ يوميًا، للمشاركة في تجربة مدتها أسبوعين في الفترة ما بين ١٤ إلى ٢٩ أغسطس ١٩٧١، ولاق الإعلان قبولاً واسعًا واستجاب ٧٠ شخصا، اختار زيمباردو منهم ٢٤ شخصا فقط، كانوا الأكثر ملائمة من حيث الاستقرار النفسي والصحة البدنية، واشتراكهم جميعًا في الرفض التام لكل صور العنف وأشكاله، وجميعهم بدون أي سوابق إجرامية، غالبيتهم كانوا من البيض، والذكور، ومن الطبقة الوسطى، وهم جميعًا طلاب في المرحلة الجامعية، وقسمت مجموعة الطلبة عشوائيًا إلى مجموعتين متساويتين، مجموعة لعبت دور المساجين والأخرى لعبت دور السجانين،

ومـن المثـير أن المسـاجين قالـوا فيمـا بعـد إنهـم كانـوا يظنـون أن اختيـار السـجانين تـم بنـاء عـلى أجسـادهم الأكـبر، لكـن الواقـع أنهـم فـرزوا بالقرعـة باسـتخدام قطعـة نقـود، ولـم تكـن هنـاك أيـة فـروق موضوعيـة مـن حيـث البنيـة بـين المجموعتـين، وتسـلم الحـراس هـراوات شرطـة، وبـزات اختاروهـا بأنفسـهم مـن محـل أزيـاء عسـكرية، وتـم تزويدهـم بنظـارات عاكسـة لتجنـب التواصـل البـصري مـع المسـاجين كمـا اقـترح زيمبـاردو نفسـه الـذي لعـب دور مديـر السـجن في التجربـة، وقبـل بـدء الاختبـار بيـوم واحـد، عقـد زيمبـاردو جلسـة تمهيديـة مـع الحـراس، وقـال لهـم بـأن إدارة السـجن تقـع عـلى عاتقهـم، ولهـم أن يديـروه كمـا يشـاؤون، وعليهـم ضبـط الأمـن والمحافظـة عـلى النظـام وامتـلاك السـلطة، وضرورة إشـعار المسـاجين بـأن النظـام يسـيطر عليهـم وعـلى حياتهـم، وأنهـم لا يملكـون أي حريـة شـخصية ولا أي سُـلطة في هـذا المـكان، ويجـب إشـعارهم بفقـدان كل حقوقهـم المدنيـة خـلال فـترة التجربـة، واتخـاذ كل التدابـير اللازمـة لذلـك دون أي مسـاءلة مـن أي نـوع، ولا توجـد أي قواعـد أو خطـوط أو توجيهـات محـددة، فقـط يمنـع اسـتخدام العنـف الجسـدي تحـت أي ظـرف، وقـدم زيمبـاردو الجمـل التاليـة للحـراس خـلال ملخـص «يمكنكـم أن تولـدوا إحساسًـا بالخمـول لـدى السـجناء، ودرجـة مـا مـن الخـوف، مـن الممكـن أن توحـوا بـشيء مـن التعسـف يجعلهـم يشـعرون بأنكـم وبـأن النظـام وبأننـا جميعًـا نسـيطر عـلى حياتهـم.. لـن تكـون لهـم خصوصيـات ولا خلـوات، سنسـلبهم مـن شـخصياتهم وفرديتهـم بمختلـف الطـرق، بهـذا الشـكل سـوف تكـون لنـا السـلطة المطلقـة ولـن تكـون لهـم أي سـلطة»

في المقابـل قيـل للسـجناء بـأن ينتظـروا في بيوتهـم حـتى يحـين الموعـد ويتـم اسـتدعاؤهم، وبـدون أي تحذيـر تـم اتهامهـم بالسـطو المسـلح واعتقالهـم، واقتيادهـم مـن منازلهـم معصـوبي

الأعين لتضليلهم عن أماكن وجودهم، ومكبلين بالأصفاد على يد الطلاب الذين لعبوا دور السجانين، وقد ارتدوا زي ضباط الشرطة، وتم إخضاع السجناء لإجراءات الاعتقال التقليدية بما فيها التسجيل، وأخذ البصمات، والتقاط الصور، كما تليت عليهم حقوقهم تحت الاعتقال، واقتادوهم إلى سرداب قسم علم النفس بجامعة ستانفورد المعد للاختبار حيث تم تفتيشهم عراة، وتنظيفهم من القمل، وبالطبع بدأ الحراس بالسخرية من أعضائهم التناسلية، وكان على المساجين أن يرتدوا رداء فضفاضًا من دون ملابس داخلية وصنادل مطاطية، وهو أمر رجح زيمباردو أنه سيجبرهم على التأقلم مع عادات ووضعيات جسمانية غير مألوفة ومزعجة، وقد رمز إلى كل سجين برقم عوضًا عن اسمه، وقد خيطت الأرقام على ملابسهم، وكان عليهم أن يرتدوا قبعات ضيقة من النايلون لتبدوا رؤوسهم كما لو أنها محلوقة تمامًا، كما وضعت سلسلة صغيرة عند الكاحل كمنبه دائم على أنهم مسجونون ومضطهدون، وتضمن هذا السجن الصوري ثلاث زنازين جماعية بمساحة ٥ مترات مربعة للزنزانة الواحدة، كل زنزانة تحتوى على ثلاثة أسرة، إضافة إلى غرفة صغيرة جدا للحبس الانفرادي، واستخدمت بقية الغرف من قبل حراس السجن، وعلى عكس المساجين تمتع الحراس بدوام على شكل دوريات، يعودون إلى بيوتهم بعد انقضائها.

ومع بدء التجربة تُركت مجموعة المتطوّعين تحت المراقبة من خلال كاميرات خفية ومسجلات صوت، ولكن دون تدخل مباشر، ومر اليوم الأول بسلاسة دون ما يستحق الذكر لدرجة أن زيمباردو قال «إن هذه قد تكون تجربة طويلة ومملة جدًا، لأنه لا يمكن تصور أن يحدث أي شيء أبدًا»، لكن في صباح اليوم الثاني قرر السجناء تصعيد الأمور وبدأوا في عصيان حقيقي بإقامة المتاريس أمام الزنازين باستخدام الأسرة بقيادة السجين

رقم ٨٦١٢، ولم يكن من الواضح ضد أي شيء يتمردون، لكنهم كانا يتمردون على الوضع برمته، يتمردون على كونهم مجهولين، وعلى اضطراراهم لاتباع أوامر من هؤلاء الطلبة الآخرين، وربما شعروا أن دورهم في تلك التجربة أن يتقمصوا دورهم كمساجين، والمساجين يتمردون طوال الوقت بدون أسباب واضحة، وكعقاب لردع التمرد تم وضع السجين رقم ٨٦١٢ في الحبس الانفرادي، وتحول الحراس إلى المساجين الآخرين لتأديبهم، فتم إيقاظهم عدة مرات في منتصف الليل، وجعلهم الحراس يقومون بمهام جسدية وضيعة كتنظيف المراحيض بأيديهم العارية، كجزء من العقاب وإحكام السيطرة.

كان المثير للاستغراب هو تطوع الحراس للعمل ساعات إضافية للقضاء على التمرد، رغم علمهم أنها بدون أجر...

في الأيام التالية حاول الحراس أن يفرقوا السجناء ويحرضوهم ضد بعضهم البعض، من خلال تقسيمهم إلى زنزانتين، واحدة للجيدين والأخرى للسيئين، ليوهموا السجناء من وراء ذلك إلى أن هناك مخبرين تم زرعهم سرًا بين السجناء، ونجحت الخطة فلم يظهر بعد ذلك أي تمرد كبير، لكن مضايقات الحراس جعلت قائد التمرد السجين رقم ٨٦١٢ يطلب من زيمباردو مغادرة التجربة، لكن زيمباردو الذي كان قد تقمص بالفعل دور مدير السجن رفض، وهدده بدفع غرامة إن أصر على الرحيل، وفي المقابل وعده بتحسين المعاملة مقابل أن يعمل كمخبر وواشٍ على زملائه المساجين، فعاد إلى زنزانته ليخبر باقي السجناء أنهم لن يمكنهم الرحيل أبدًا، وسرعان ما خرج الاختبار عن السيطرة، فعانى السجناء واحتملوا ممارسات سادية ومهينة على أيدي الحراس الذين شعروا بأن لديهم سلطة مطلقة، وتذكروا أن القاعدة الوحيدة في اللعبة هي: لا قوانين، وصار الدخول إلى الحمامات امتيازا قد يحرم منه السجين، وتم إخراج الفرش

والوسائد مما سميت زنزانة السيئين، وأجبر السجناء على النوم عراة على البلاط، أما الطعام فكثيرًا ما حرم السجناء منه كوسيلة للعقاب، وفرض العري على السجناء، وتعرضوا للتحرش الجنسي والإذلال من قبل السجانين، زيمباردو قال بأن السجناء استجابوا بإحدى ثلاث طرق، إما المقاومة بنشاط، وإما الانهيار، وإما بالرضوخ والطاعة.

مع تقدم التجربة ازداد السلوك السادي عند بعض الحراس وخاصة خلال الليل، حيث ظنوا أن الكاميرات كانت مطفأة، فصفوا السجناء لدخول المرحاض وقد وضعوا أكياسا على رؤوسهم وسلاسل في أرجلهم، كما سرى شعور بالتعسّف لدى المساجين، وقام بعضهم بالعصيان وإعلان الاضراب عن الطعام، وقام البعض الآخر بالتخطيط للهروب من السجن، بينما عانى بعضهم من انهيارات نفسية وشعور بالرعب، ما أدى إلى ظهور حالات انهيار عصبي، وأظهر خمسة من السجناء مشاعر سلبية متطرفة تتضمن البكاء والقلق الحاد، ومن هنا بدأ الحراس في التحول الجذري إلى أشخاص أكثر قسوة وعنفا، وقال المشرفون على الاختبار بأن واحدا من كل ثلاثة حراس تقريبًا أظهر ميولاً سادية حقيقية، حتى إن معظم الحراس انزعجوا عندما تم إجهاض التجربة قبل الوقت المحدد لها.

وقد أثار زيمباردو فكرة مفادها أن المشاركين تقمصوا أدوارهم تمامًا، وبدا ذلك واضحًا عندما عُرض على السجناء أن بإمكانهم تقديم طلبات لتخفيض في المدة، مقابل إلغاء الأجر المتفق عليه، فوافق غالبية السجناء على هذا العرض وتقدموا بطلبات خفض مدة السجن مقابل التنازل عن مستحقاتهم كاملة، وعندما رفضت طلبات خفض المدد، لم يقرر أي منهم الانسحاب من الاختبار، وهو ما أثار الاستغراب، فالانسحاب لم يكن ليكلفهم أكثر مما قبلوا بالتنازل عنه سلفًا، وهو الأجر الذي سيتقاضونه،

وفقد العاملون في هذه التجربة الإحساس بواقعية ما يحدث، وباتت الحدود بين التظاهر وبين الحقيقة غير واضحة حتى بالنسبة لزيمباردو نفسه الذي راقب السلوك المسيء للحراس من كثب بدوره رئيس الحرس، لا بدوره عالم نفس يشرف على تجربة علمية، واستمر ذلك حتى أتى اليوم السادس الذي حضرت الباحثة «كريستينا ماسلاتش» خطيبة زيمباردو آنذاك وزوجته لاحقًا، وصدمت من الوضع الكارثي للسجن، وشككت بأخلاقية الاستمرار بهذه التجربة، لتفيق الجميع من الغيبوبة التي سقطوا فيها بمن فيهم زيمباردو نفسه الذي اندمج في الدور، وبناء عليه قرر زيمباردو إجهاض الاختبار قبل الموعد بعد انقضاء ٦ أيام فقط.

دعمت النتائج الكارثية للاختبار فكرة «التنسيب المكاني» والتي تقول بأن الوضع أو الواقع هو الذي سبب سلوك الأفراد في الاختبار، أكثر من أي شيء موروث في شخصياتهم، أي أن الحاكم الديكتاتور يمكن أن يبدو في غاية الطيبة والاحترام عندما يوجد بعيدًا عن مكان ممارسة سلطاته، الأمر ذاته بالنسبة للجلادين وضباط أمن الدولة المتهمين بالتعذيب وخلافه، فقد تجدهم في غاية الرقي الأخلاقي والحنو في غير أماكن عملهم، ولاحقًا قال زيمباردو في كتابه «تأثير الشيطان» أو The Lucifer Effect إن «قليلين فقط من استطاعوا مقاومة إغراءات الموقف لاستخدام القوة والسيطرة، وحافظوا على مظهر أخلاقي لائق، بالتأكيد لم أكن من ضمن هذه المجموعة النبيلة»، ولخص استنتاجه عن التجربة بأنه إذا توافرت ظروف القوة والسلطة المُطلقة للإنسان فإنها ستؤدي به إلى التعسّف والظُلم، وفي المقابل يؤدي الشعور بالظُلم والتعسّف إلى ظهور أمراض نفسية متعددة، يكون نتيجتها إما التأقلم مع الظروف المحيطة والانصياع لها مع كبت مشاعر الذُل والقَمْع، وإما الثورة بكل الوسائل الممكنة بصرف النظر

عـن شرعيـة هـذه الوسـائل أو العواقـب المترتبـة عـلى اسـتخدامها، والسـلطة المطلقـة تُغـير مـن ملامـح الإنسـان وتخـرج أسـوأ مـا في النفـس البشريـة.

عن اضطراب الوطنية المفرطة (الشوفينية)
(The exaggerated patriotism) chauvinism

قبل تسعة أعوام من الثورة الفرنسية وتحديدًا في العام ١٧٨٠، ولد «نيكولاس شوفان Nicolas Chauvin» في بلدية «روشفور Rochefort» بمحافظة «أين Ain» في فرنسا، وفي سن الثامنة عشر تطوع في جيش الجمهورية الفرنسية الأولى مع بداية بزوغ نجم نابليون بونابرت، الذي قام في العام ١٧٩٩ بعزل حكومة الإدارة وأنشأ بدلاً منها حكومة مؤلفة من ٣ قناصل، وتقلّد هو بنفسه منصب القنصل الأول، ثم سعى في إعلان نفسه إمبراطورا على فرنسا.

كان شوفان مهووسًا بحب نابليون، متيمًا به ومخلصًا له، على الرغم من فشل نابليون المزري في إدارة شؤون الدولة، وهزائمه المتكررة في كل حملاته العسكرية على مصر وروسيا وإيطاليا وإسبانيا وغيرها، وعلى الرغم من هزيمته النكراء في معركته الأخيرة في «ووترلو waterloo»، وعلى الرغم من أن نيكولا نفسه قد أصيب نحو ١٧ مرة في أثناء خدمته العسكرية من جراء أطماع نابليون وجنونه المستمر، فقد استمر شوفان مثابرًا في ولائه لنابليون، ويقال إن نابليون نفسه قد منحه ميدالية جوقة الشرف ومعاشًا قدره ٢٠٠ فرنك.

ظل نيكولا شوفان مدافعًا شرسًا عن نظام بونابرت، متعصبًا بشدة له ومبررًا محترفًا لكل إخفاقاته، مقتنعًا بعبقريته، وبأن فرنسا سوف تسقط يوم أن يرحل نابليون ويترك عرش الإمبراطورية التي نصب عليها نفسه بنفسه، كان شوفان يهاجم بدون أي منطق أو عقلانية كل من يتجرأ على انتقاد النظام والشطحات النابليونية، ويتهمه بأنه عدو للوطن، هو لا يبرر منافقًا، بل هو يصدق كل تلك الاعتقادات، ويا للغربة، لم يكن شوفان نفسه من المستفيدين أو المستنفعين بالنظام، سواء ماديًا أو معنويًا، بل على العكس تمامًا، كان في حقيقة الأمر من المتضررين وبضراوة من نظام بونابرت، ومن اسمه لقبت ظاهرة

المغـالاة في حـب الوطـن، والإيمـان غـير المـبرر بتفـوق الوطـن وعظمتـه الزائفـة وأمجـاده العسـكرية، والدفـاع غـير العقـلاني عـن النظـام مـع تحقـير الـرأي المخالـف بالشـوفينية chauvinism.

لكـن مـا الـذي يجعـل مواطـن، سـواء كان متـضررًا أم لـم يكـن مـن النظـام، مسـتفيدًا أم غـير مسـتفيد مـن النظـام، أن يحـذو مثـل هـذا الحـذو؟

في كتابـه العقـل الصالـح The Righteous Mind يفـسر عالـم النفـس الأخـلاقي د. جوناثـان هايـدت Jonathan Haidt لمـاذا يسـلك البعـض مثـل هـذا السـلوك، فيقـول إن بدايـة هـذا الاضطـراب ترجع عندمـا اختـبر الإنسـان أول مـرة في حياتـه مفهـوم الخطـر، وشـعر بحاجتـه إلى كيـان قـوى ينضـم إليـه كي يشـعر بالأمـان، ووجـد هـذا الكيـان في جيرانـه الذيـن يشـاركونه الأرض واللغـة والثقافـة، ومـن هنـا نشـأ «الوطـن»، ومـع بدايـة خلـق الانتمـاء للاوطـان، زرعـت داخـل «المواطـن» مفاهيـم جديـدة مثـل «الـولاء»، و«الخيانـة»، واقـترن مفهـوم «الـولاء» في العقـل اللاواعـي بالانتمـاء إلى مجموعـة معينـة تحتضنـه وتشـعره بالأمـان، ويشـعر بالفخـر في الانتمـاء إليهـا، أمـا مفهـوم «الخيانـة» فقـد اقـترن بالخـوف مـن الطـرد خـارج تلـك المجموعـة، والعـودة مـرة أخـرى لشـعور القلـق والخـوف والوحـدة، لـذا وحـتى يسـيطر الإنسـان عـلى سـلوكه مـن شـبهة «الخيانـة» المقترنـة بالقلـق والوحـدة والضعـف حـال الخـروج مـن المجموعـة القويـة والكيـان الـذي يشـعره بالأمـان، يتغـاضى العقـل اللاواعـي تلقائيًـا عـن كل مـا يمكـن أن يدفعـه ناحيـة التفكـير في الخـروج عـن النظـام أو حـتى مجـرد انتقـاده، حـتى لـو كان مـا يتغـاضى عنـه مـن تصرفـات هـي عكـس اعتقاداتـه تمامًـا، فيـبرر تصرفـات النظـام، ويـبرر تغاضيـه شـخصيًا عـلى مضـض، تحـت مسـميات مـن نوعيـة «الـضرورة»، «المصلحـة العليـا»، «الظـروف الحاليـة»، «الدواعـي الأمنيـة» ومـا إلى ذلـك، لأن الخـوف مـن الانفصـال يسـيطر عـلى

العقـل الباطـن، فـلا يجعلـه فقـط يمنـع عقلـه مـن التفكـير، بـل ويحـاول أن يمنـع الآخريـن مـن التفكـير في أداء النظـام.

تكمـن الخطـورة عندمـا يصبـح الانتمـاء للمجموعـة في المطلـق، ويتسـبب مجـرد التفكـير في الانفصـال عـن آراء المجموعـة أو حـتى الاختـلاف، الاضطـراب والذعـر الشـديد، ويـذوب الفـارق الضخـم بـين الوطـن والنظـام، فيتحـول الانتمـاء للوطـن الدائـم إلى تقديـس للنظـام المؤقـت، عندهـا فقـط يمكـن أن تتغـير معايـير الإنسـان الأخلاقيـة، ويفعـل كل مـا هـو ضـد ضميره ومبادئـه، فيدعـم الظلم والسـجن والتعذيـب والقتـل لمعـارضي النظـام، الذيـن يعتبرهـم أعـداء الوطـن، بحجـة حمايـة هذا الوطـن، ويقتنـع أن هـذا التناقض بـين اعتقاداتـه هـو أخـلاقي وضروري لحمايـة المجموعـة، ودائمًـا مـا يكـون مصابًـا بـداء هـلاوس المؤامـرات والمخططـات الخارجيـة.

دائمًـا مـا يدعـي الشـوفينيون أن تصرفاتهـم نابعـة مـن الوطنية، إلا أن الفـارق بـين الاثنـين شاسـع، فالوطنيـة هـي الانتمـاء للوطـن، أمـا الشـوفينية فهـى الانتمـاء للنظـام، ولذلـك فـإن مصطلـح الشـوفينية يعتـبر نـوع مـن أنـواع العنصريـة، فيقـول الإنجليـز «إن الشـوفينية هـي عنصريـة ترتـدى حلـة فاخـرة chauvinism is racism wearing a tuxedo».

أشـاع التسـمية مسرحيـة هزليـة لكاتـبي المسرحيـات والمخرجـين الفرنسـيين المشـهورين الأخويـن كونيـارد Cogniard brothers سـميت بـ«الشريـط ذي الألـوان الثلاثـة» La Cocarde tricolore، وظهـر في المسرحيـة شـخصية نيكـولاس شـوفان المصـاب باضطـراب الوطنيـة المفرطـة، وبالتبعيـة أضحـى للمصطلـح في الوقـت الحـاضر دلالات تتضمـن التحـيز المفـرط واللاعقـلاني للجماعـة الـتي ينتمـي إليهـا الفـرد، وخاصـة عندمـا يتضمـن التحـزب والحقـد والكراهيـة تجـاه الجماعـات المنافسـة.

عن اضطراب الخوف من الانفصال

متناقضة أبيلين

Abilene Paradox

منذ اندلاع أحداث العنف والتعذيب من قبل ميليشيات جماعة الإخوان المسلمين، ضد المعتصمين في محيط القصر الجمهوري، والتي عرفت لاحقًا بأحداث الاتحادية، بدأت الخطوات الجدية لتحرك جاد على أرض الواقع لخلع الرئيس الإخواني محمد مرسي، وظهرت حركة تمرد التي يقودها بعض الشباب المعارض، والتي دعت لسحب الثقة من مرسي والمطالبة بانتخابات رئاسية مبكرة، عن طريق مظاهرات حاشدة تبدأ في الثلاثين من يونيو ٢٠١٣، دعمها وشارك فيها كل طوائف المعارضة على مختلف توجهاتهم -ما عدا القوى الإسلامية بالطبع- إلى جانب دعم شديد الوضوح من قبل الجيش والشرطة المصرية، وانتهى الأمر فعليًا في ٣ يوليو بإعلان وزير الدفاع الفريق أول عبد الفتاح السيسي، إنهاء حكم محمد مرسي، وتسليم السلطة لرئيس المحكمة الدستورية العليا المستشار عدلي منصور.

بعد انتهاء صخب الأحداث، بدا الانقسام واضحًا في معسكر الثوار، الذين لعبوا دورا المعارضة في السابق، وباتوا الآن من مؤيدي السلطة، فالأغلبية منهم الذين وقفوا في الميدان في الأعوام القليلة المنصرمة، ينادون بإنهاء دولة مبارك الفاسدة، ثم وقفوا في نفس المكان ينادون بسقوط حكم العسكر، ثم وقفوا ثالثة منادين بسقوط حكم الإخوان المسلمين، باتوا اليوم يتغنون بمزايا الحكم العسكري، ويعربون عن أسفهم لمشاركتهم يومًا في الثورة التي «خربت البلاد» على حد تعبيرهم، ويؤيدون وبكل شماتة الاعتقالات والتعذيب وسفك الدماء، التي طالت زملاءهم السابقين الذين ظلوا على موقفهم، والذين لقبوهم بـ «الشمامين الكلة» كنوع من السخرية على هؤلاء المتشبثين بحلمهم بوطن أفضل ودولة مدنية حديثة، متهمين إياهم بأنهم كادوا يلقون بمصر في التهلكة، لأن الثورة قد جلبت لمصر حكم الإخوان، ناسين أو متناسين أن الإخوان لم يصلوا إلى حكم

البلاد إلا بعد أن فتح لهم العسكر الباب على مصراعيه، لم يكتف الثوريون السابقون بذلك، بل وضعوا المعارضين للحكم العسكري ولترشح السيسي، في موضع الخصومة والمنافسة، وصار النيل منهم ومن سمعتهم هدفًا في حد ذاته، وتبارى هؤلاء الثوار السابقون في السخرية منهم، وهلل من نادوا يومًا بالحريات، بتكميم الأفواه، ورقصوا طربًا يوم أن أجبر «باسم يوسف» على إيقاف برنامجه، بل صارت عدواتهم للمتشبثين بحلم الثورة، أكثر من عداوتهم للإخوان أنفسهم، لكن لماذا حدث ذلك؟

في يوم شديد الحرارة من صيف ١٩٦٠ خارج مقاطعة كولمان بولاية تكساس الأمريكية، وفي ساعة الظهيرة كانت الأسرة بأكملها مسترخية تلعب الدومينو بهدوء في شرفة المنزل المكيفة الهواء، إلى أن اقترح والد الزوجة فجأة الذهاب في رحلة إلى مدينة «أبيلين Abilene» التي تبعد نحو ٥٣ ميلاً نحو الشمال فقط بقصد العشاء. للوهلة الأولى كان لا بد أن تبدو الفكرة للجميع غبية ومرهقة، خصوصًا في ظل درجة الحرارة المرتفعة والغبار الذي يلوح في الأفق، لكن يا للغرابة لم يبد على أي منهم الاعتراض، فأيدت الزوجة على الفور الفكرة ووصفتها أنها فكرة رائعة، وكذلك فعل الزوج على الرغم من أنه يملك أسبابًا منطقية للرفض، فالمسافة طويلة والجو شديد الحرارة، لكنه لم يفعل خشية الخروج عن رأي القطيع، وخارج ما ترغب به المجموعة، لكنه -وكأمل أخير في تغيير رأى المجموعة- تعلل براحة الأمر وخوفه من رفضها للذهاب، غير مدرك أنه بذلك كان يدفعها دفعًا للموافقة حتى لو كانت سترفض الأمر، فالخوف من فكرة الخروج عن القطيع قد سيطرت على الجميع، فوافقت الأم، بل تمادت في تأكيد الموافقة، معللة بأنها لم تذهب منذ فترة طويلة، وذهبت العائلة ويا ليتها ما ذهبت، فالطريق كان شديد

الحـرارة والغبـار يلتصـق بوجههـم الغارقـة في العـرق ليزيدهـم ضيقًـا فـوق ضيقهـم، وعندمـا وصلـوا لمطعـم لتنـاول العشـاء، كان الطعـام سـيئًا للغايـة بقـدر سُـوء الطريـق، فانصرفـوا عائديـن إلى المـنزل، ووصلـوا بعـد أربـع سـاعات كاملـة مـن الإنهـاك المتواصـل، قـال أحدهـم مُجاملاً محـاولاً تلطيـف التأثـير السـيئ للرحلـة «لقـد كانـت رحلـةً رائعـة، أليـس كذلـك؟»، وقالـت أم الزوجـة «إنـه كان من الأفضـل لهـا البقـاء في المـنزل، ولكنهـا ذهبـت برفقتهـم حـين وجدت الثلاثـة الآخريـن متحمسـين جـدًا»، وقـال الـزوج «لـم أكـن مـسرورًا للقيـام بمـا قُمنـا بـهِ، أنـا كُنـت أرغـب فقـط في إرضـاء الجميـع»، وقالـت الزوجـة «أنـا ذهبـت برفقتكـم لإبقائكـم سـعيدين، قـد أكـون مجنونـةً للرغبـةِ في الذهـاب خارجًـا في حـرارة الشـمس هـذه»، ثـم قـال والـد الزوجـة إنـه «اقـترح ذلـك فقـط لأنـه ظـن أن الآخريـن قـد يشـعرون بالملـل»، أصيـب الجميـع بالدهشـة والحـيرة لأنهـم قـرروا معًـا الذهـاب في رحلـة لـم يرغـب أحـد منهـم بهـا قـط، بـل إن جميعهـم قـد اعترفـوا أنهـم قـد فضّلـوا البقـاء والاسـترخاء في المـنزل، ولكـن لـم يعترفـوا بذلـك.

في عـام ١٩٧٤ كتـب جـيري هـارفي Jerry B. Harvey البروفيسـور بجامعـة جـورج واشـنطن، مقالـة شـهيرة بعنـوان متناقضة أبلـين The Abilene Paradox وتحـدث فيهـا عـن ظاهـرة أبلـين الـتي تعـد شـكلاً مـن أشـكال الخضـوع أو التأثـير الجماعـي، بسـبب ثقافـة الخـوف مـن الخـروج عـن القطيـع، الـذي يعـرف علميًـا باضطـراب قلـق الانفصال separation anxiety، والـذي يعـني أن الفـرد عـادة لا يفضـل أبـدًا التـصرف عكـس مـا تريـده المجموعـة، ويؤثـر قلـق الانفصـال عـن القطيـع عـلى سـلوك الجماعـة بشـكل مبـاشر، ويثـني الفـرد في أغلـب الأوقـات عـن التعبـير عـن مشـاعره بصراحـة أو السـعي وراء أهوائـه، لأن ألـم الانفصـال عـن القطيـع يكـون أشـد إيلامًـا مـن ألـم كبـت الأهـواء والآراء الحقيقيـة، وبعـد فـترة لا يلبـث الفـرد إمـا أن يقتنـع

تمامًا برأي الجماعة ويصير من أشد المدافعين عنه حتى لو كان معارضًا له في البداية، وإما أن يستعيد عقله مرة أخرى ويجد في نفسه الشجاعة للخروج عن القطيع، بعد هدوء هوجة الخضوع الجماعي، ويعبر عن آرائه المناقضة لآراء الجماعة، وهذا التغيير اللاحق يتعلق مباشرة بمدى نضج الفرد وسلامة صحته النفسية وقوة شخصيته، وتستخدم هذه النظرية عادة لتبرير القرارات والخيارات السيئة في الحياة بشكل عام، وتفسر بشكل مبسط، التناقض الهائل في سلوك جزء ضخم من الثوريين، قبل وبعد أحداث ٣٠ يونيو، وتبريرهم مثلا لمذبحة رابعة واعتقالات مجلس الشورى، بشكل يرضي ضمائرهم ويقيهم من ألم الانفصال عن القطيع.

عن رهاب الاضطهاد الجماعي
«عدوانية القزم»

في مساء الجمعة الثالث عشر من نوفمبر من العام ٢٠١٥، عاشت فرنسا ليلة دامية خلفت ما يقرب من ١٢٨ قتيلاً و٣٠٠ مصاب، بينهم ٨٠ في حالات حرجة، إثر سلسلة من التفجيرات وعمليات إطلاق النيران واحتجاز رهائن بعدة مناطق متفرقة من عاصمة النور باريس، وبلغت تلك الحوادث الإرهابية ٧ حوادث متعاقبة ومنظمة.

البداية كانت في تمام التاسعة مساءً بتوقيت فرنسا، إذ اقتحم مسلحان مطعم «لوكاريون» الواقع بـ«الدائرة العاشرة» في باريس، وبادرا بإطلاق النيران من أسلحة «كلاشينكوف» على رواد المطعم، مما أسفر عن مقتل ١٠ فرنسيين وإصابة آخرين، وقرابة العاشرة إلا الربع مساءً، شهد محيط استاد «دي فرانس»، الذي كان يستضيف مباراة فرنسا وألمانيا الودية، بحضور آلاف المشجعين والرئيس الفرنسي «فرانسوا أولاند»، ٣ انفجارات متتالية، دفعت السلطات لإخراج الرئيس إلى قصر «الإليزيه» ومنها إلى «اجتماع الأزمة» الذي ترأسه بوزير داخليته ورئيس الوزراء، وبعد «تفجيرات الاستاد» بدقائق، شهد عدد من شوارع العاصمة ظهورًا للعناصر المسلحة التي أطلقت النيران على المارة وفي الهواء بكثافة، منها شارع «شارون» الذي شهد إطلاق نحو ١٠٠ عيار ناري من قبل مسلحين اثنين، إلى جانب الاشتباكات الدموية التي شهدها محيط «متاجر آلز» ومنطقة «متحف اللوفر» و«مركز بومبيدو» بوسط العاصمة، وتطورت الأحداث بعد ذلك، وتجمع أكثر من ٦٠ مسلحًا بالقرب من مسرح «باتكلان» القريب من شارع «بوليفار فولتير»، ثم دخله بعضهم بقوة السلاح، واحتجزوا ما يقرب من ١١٢ رهينة داخل المسرح، الذي كان يشهد عرضًا لفرقة «إيجل أوفديس» بحضور ١٥٠٠ متفرج، وبحسب مراسل قناة «أوروبا ١» الذي كان موجودًا داخل المسرح، فإن نحو ٣ مسلحين غير ملثمين دخلوا المسرح،

وبـدأوا في إطـلاق النـار بشـكل عشـوائي عـلى الحاضريـن لمـدة مـن ١٠ دقائـق إلى ربـع السـاعة، مضيفًـا «انتـشر الرعـب بـين الحاضريـن، وحـاول الجميـع الهـرب، غـير أن التخبـط أعطـى المسـلحين الوقـت لتعبئـة أسـلحتهم بالرصـاص ٣ مـرات».

لـم تـثر الحادثـة ذاتهـا الاسـتغراب والدهشـة، بقـدر مـا أثـاره كـم الشـماتة والتشـفي الصـادر مـن المصريـين، ومـن رمـوز الإعـلام المؤيديـن للنظـام الحـالي، فكتبـت الإعلاميـة «لميـس الحديـدي» سـاخرة عـلى حسـابها عـلى موقـع twitter: «عاوزيـن نبعـت لجنـة تفتيـش عـلى المطاعـم في باريـس، كـده قلـق»، بينمـا كانـت هـي بنفسـها تنـدد بالشـماتة في المـوت في حادثـة مقتـل النائـب العـام منـذ شـهور قائلـة «قلوبهـم قاسـية.. حـتى في المـوت يشـمتون، تناسـوا أن للمـوت حرمـة وقدسـية لا تحتمـل السـخرية، الشـماتة في المـوت ليسـت مـن أخـلاق الإنسـان»، وكتبـت الإعلاميـة الكويتيـة «فجـر السـعيد» المعروفـة بدعمهـا الشـديد للنظـام المـصري عـلى ذات الموقـع قائلـة «شرطـة باريـس تدعـو المواطنـين إلى عـدم الخـروج إلا للـضرورة القصـوى.. هههههههـه شـمتانة بصراحـة»، ثـم أتبعتهـا بتعليـق آخـر قائلـة «أطالـب الفرنسـيين بضبـط النفـس والمحافظـة عـلى أرواح الإرهابيـين ولا بديـل عـن الحـوار وإعـلان الطـوارئ، ومنـع التجـول يتعـارض مـع حقـوق الإنسـان» وأتبعتهـا برمـوز ضاحكـة.

وعـلى الرغـم مـن أنـه في الوقـت الـذي حظـرت فيـه ألمانيـا وبريطانيـا السـلاح عـن مـصر بعـد ٣ يوليـو، وفي الوقـت الـذي جمـدت فيـه أمريـكا جـزءًا مـن مسـاعداتها العسـكرية الدوريـة، وأوقفـت صفقـة الطائـرات الأباتـشي، كانـت فرنسـا تتفـاوض مـع النظـام الحـالي عـلى صفقـة طيـارات «الرافـال»، وبعدهـا صفقـة حامـلات الطائـرات «الميسـترال»، بـل حـضر رئيسـها «فرانسـوا أولانـد» بنفسـه حفـل افتتـاح مـا يسـمى بقنـاة السـويس الجديـدة،

وكان أهـم شـخصية تحـضر هـذا الحفـل، وفي الوقـت الـذي كان الحليـف الـروسي يجـلي رعايـاه عـن مـصر، ويحظـر عـلى الطـيران المـصري دخـول أجوائـه، ويفعـل الحليـف البريطـاني المنتظـر الأمـر ذاتـه ويجـلي رعايـاه، كان رئيـس النظـام المـصري في ضيافتـه، لـم يتخـذ الفرنسـيين أي رد فعـل عـلى الحـادث، وفي الوقـت الـذي كانـت صحافـة بريطانيـا وأمريـكا تعنـف النظـام المـصري يوميًـا عـلى صفحاتهـا، كانـت الصحافـة الفرنسـية تصمـت عـن تنـاول الأوضـاع في مـصر خـيرًا أو شرًا، لكـن كل ذلـك لـم يمنـع أنصـار النظـام الحـالي مـن الشـماتة العلانيـة والتشـفي في الحـادث الإرهـابي في باريـس، بـل وبـدى واضحًـا أن إعـلان حالـة الطـوارئ في أماكـن متفرقـة في العالـم في الأسـبوع المـاضي كتبعيـة لكارثـة مـا -وخاصـة فرنسـا- يعطـي نشـوة وسـعادة للمصريـين مـن مؤيـدي النظـام، بـدون وجـود سـبب واحـد مبـاشر يدفعهـم لهـذه الأفعـال، الـتي قـد تبـدو للوهلـة الأولى أفعـالا صبيانيـة، اللهـم فقـط بسـبب العدوانيـة والشراسـة تجـاه كل مـن ليـس معهـم وفي صفهـم، وكأنهـا حـرب مـع الجميـع بـلا أي منطـق أو تفكـير، هـي فقـط عدوانيـة القـزم وشره وحنقـه عـلى كل مـن حولـه، النابعـة مـن عقـدة الاضطهـاد ورهـاب الارتيـاب الجماعـي الـذي تصـاب بـه الـدول الفاشـلة، فمـع اشـتداد السـجال السـياسي وسـقوط الأنظمـة الفاشـلة في العديـد مـن الأزمـات، يكمـن دائمًـا المهـرب في الأعـداء الخفيـين الذيـن يتآمـرون عـلى الدولـة واسـتقراراها، فالجميـع بـلا اسـتثناء يتآمـرون عـلى الوطـن، وهـم السـبب في محنتـه وقلـة حيلتـه، بـدءا مـن جميـع المعارضـين وكل حـركات المعارضـة، الذيـن يصنفهـم النظـام عـلى أنهـم «أعـداء الداخـل»، مـرورًا بـ«المؤامـرات الدوليـة» الـتي يشـنها كل مـن يرفـض الاعـتراف بشرعيـة النظـام ومـن ينتقـد أداءه مـن دول العالـم، مثـل أمريـكا، وقطـر وقنـاة الجزيـرة، وتركيـا، وغيرهـا، وحـتى حـين تعجـز قريحـة النظـام عـن تخيـل أعـداء حقيقيـين في مواجهـة الكـوارث

الطبيعيـة، يلجـأ إعلاميـو النظـام إلى اخـتراع أعـداء وهميـين مثـل «مجلـس إدارة العالـم»، و«الماسـونية العالميـة»، و«حـروب الجيـل الرابـع» وغيرهـا.

ردود الأفعـال هـذه، تتجـلّى في حالـة مـن التوحـد حـول الـذات، واتخاذهـا معيـارا لفهـم وتفسـير كل الأحـداث والظواهـر، فكلّمـا ثـارت مشـكلة سياسـية أو اجتماعيـة في البـلاد، لـم يوجـد سـبب آخـر لتفسـيرها إلا المؤامـرة الخارجيـة والأعـداء، الذيـن يتربصـون بالوطـن في الداخـل وفي الخـارج، وتمثّـل هـذه الظاهـرة انعكاسـا لمـا يسـمّى بـ«عقـدة الاضطهـاد»، وتأخـذ هـذه الظاهـرة الشـاذة والمرضيّة شـكل الوبـاء الجماعـي، لتسـيطر عـلى عقليـة الجماهـير.

رهـاب الاضطهـاد الجماعـي، مثلـه مثـل معظـم الاضطرابـات النفسـية الـتي تصيـب الفـرد، يـأتي مـن عوامـل خارجيـة ضاغطـة، مثـل الكـوارث المتلاحقـة، والفشـل عـلى جميـع نواحـي إدارة الدولـة، والاقتصـاد المـتردي، والأمـن المنعـدم ومـا إلى ذلـك، ويتميـز الأفـراد المصابـون برهـاب الاضطهـاد الجماعـي بكونهـم غايـة في العنـد، ولا يتقبلـون انتقـاد النظـام بتاتًـا، وكل مـن يحـاول أن يثنيهـم عـن سـوء ظنهـم، يضعونـه في القائمـة السـوداء ويضمونـه إلى قائمـة السـيئين، والشـعور بالاضطهـاد يولـد عدوانيـة داخليـة، فهـم ضـد كل مـن يخالفهـم الـرأي، ويضمـرون الكراهيـة أو عـدم الارتيـاح أو عـدم الحـب لمعظـم النـاس، ومـن السـهل أن يتحـول الفـرد المصـاب برهـاب الاضطهـاد الجماعـي، إلى شـخص عـدواني يـؤذي إذا أتيحـت لـه الفرصـة لذلـك، والحـوار مـع تلـك الشـخصية مضـن ومتعـب، لا يسـتند إلى المنطـق في كل الأحـوال، ولا يتقبـل ظاهـر الـكلام، وإنمـا دائـم البحـث عـن الدوافـع الخفيـة والمعـاني الدفينـة، والنقـاش معـه يطـول، وهـو في الغالـب محـاور بـارع يجهـد مَـن يحـاوره، ويحمـل المواقـف والكلمـات أشـياء ومعـاني بعيـدة أو مبالغًـا فيهـا، تتـوه وأنـت تحـاوره وقـد لا تفهـم مـاذا يقصـد، وتدهشـك تفسـيراته

وتحليلاتـه المشـبعة بسـوء الظـن، وتوقـع الغـدر والخيانـة وكل مـا هـو سـيئ، ويبقـى أبـرز مـا في الأمـر أن الشـخص المُصـاب برهـاب الاضطهـاد الجماعـي لا يتقبـل الانتقـاد مُطلقًـا، ويكـون متمسـكًا بآرائـه، ولا يغـير رأيـه وإن بُرهـن لـه العكـس، بـل يعتـبر أن مغالطتـه إهانـة، هـذا الشـخص إذا أكـدت الأحـداث توقعاتـه شـعر بزهـو شـديد، أمـا إذا أكـدت الأحـداث خطـأ توقعاتـه وتحليلاتـه، فإنـه لا يتراجـع عن سـوء ظنـه، وتتميز عقـدة الاضطهـاد الجماعـي باعتقادات باطلـة راسـخة، يتشـبث بهـا الفـرد عـلى الرغـم مـن سـخافتها وقيـام الأدلـة الموضوعيـة عـلى عـدم صوابهـا، وتتسـم قناعـات الشـخص بالمنطـق، لكنـه منطـق لا يقـوم عـلى أسـاس صحيـح، ويسـيطر هـذا النـوع مـن الرهـاب عـلى مؤيـدي الأنظمـة الديكتاتوريـة والفاشـلة، وهـو رهـاب مصطنـع، يخلقـه الإعـلام المنحـاز ويغذيـه باسـتمرار لصنـع البيئـة المناسـبة لاسـتمرار النظـام.

الفهرس

مقال بدون عنوان الجزء الأول ١٥
مقال بدون عنوان الجزء الثاني- حتى لا ننسى ٣١
مقال بدون عنوان الجزء الثالث- حتى لا ننسى ٤٩
مقال بدون عنوان الجزء الرابع- حتى لا ننسى ٧٣
من قال لا في وجه من قالوا نعم أوجست لاندميسير ٨٣
من قال لا في وجه من قالوا نعم أوسكار روميرو ٩١
من قال لا في وجه من قالوا نعم صوفيا شول ١٠١
من قال لا في وجه من قالوا نعم محمد مصدق ١١١
سيناريو فيلم سياسي الجزء الأول ١٢١
سيناريو فيلم سياسي الجزء الثاني ١٢٧
من ثورات المصريين المظلومة الجزء الأول ثورة البشمورين ١٣٧
من ثورات المصريين المظلومة الجزء الثاني انتفاضة الخبز ١٥٣
لا أحد يتعلم من التاريخ..انقلاب شيلي ١٦٥
لا أحد يتعلم من التاريخ..ثورة إندونيسيا ١٨٣
لا أحد يتعلم من التاريخ..انقلاب الأرجنتين ١٩٧
لا أحد يتعلم من التاريخ..انقلاب سوريا ٢٠٧
عن اضطراب سلوك السلطة المطلقة-تجربة سجن ستانفورد ٢١٥
عن اضطراب الوطنية المفرطة –الشوفينية ٢٢٥
عن اضطراب الخوف من الانفصال -متناقضة أبيلين ٢٣١
عن رهاب الاضطهاد الجماعي -عدوانية القزم ٢٣٧

في **كيان للنشر والتوزيع**، هدفنا نشر كل إنتاج إبداعي، جودته عالية، وأفكاره أصيلة، في مختلف مجالات الأدب والسياسة والصحافة والفن، باللغة العربية والإنجليزية. نهتم بالمواهب، ونرعاها، ونتيح لها فرصة الوصول للقارئ العربي، مع مراعاة أفضل معايير الجودة والاحترافية في النشر.

رسالتنا في كيان، تشجيع حب القراءة والكتابة في مصر وعالمنا العربي، وتطوير مهارات الإبداع، وتعزيز ثقافة التميز والابتكار. كُتّابنا موهوبون، متمرسون، مصريون، ومن جميع أنحاء الوطن العربي، وإصداراتنا متنوعة، متميزة، مختلفة. دائمًا نرحب بالكتاب الشباب، والمواهب الجديدة، ونعطي فرصة متساوية للجميع؛ لأن مرادنا هو الارتقاء بفنون الأدب العربي ككل، والوصول بالإنتاجات الابداعية العربية إلى العالمية .

لو تحب **تراسلنا**، لو عندك استفسار، لو حابب ترسل لنا إنتاجك الأدبي، سواء كان رواية، أو شعر، أو مقال، باللغة العربية أو الإنجليزية، ما تترددش. ابعت لنا على:

kayanpub@gmail.com

info@kayanpublishing.com

أو زور موقعنا:

www.kayanpublishing.com

وللاتصال الهاتفي:

هاتف أرضي: **0235688678- 0235611772**

هاتف محمول: **01001872290/ 01005248794 / 01000405450**

ويمكنك التواصل معنا إلكترونيًا على الروابط التالية، للاطلاع على كُتّابنا، ومتابعة إصداراتنا الجديدة، وأنشطتنا وأنشطة كُتّابنا الثقافية:

Kayan.publishing

kayan_publishing

Kayanpublishing

kayanpubishing

+KayanPubishing

KayanPublishing